الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة وهران
معهد التاريخ و علم الآثار

مذكرة لنيل شهادة الماجستير: في التاريخ الوسيط الإسلامي

الموضوع :

الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس
(316- 422 هـ / 929 – 1031 م)

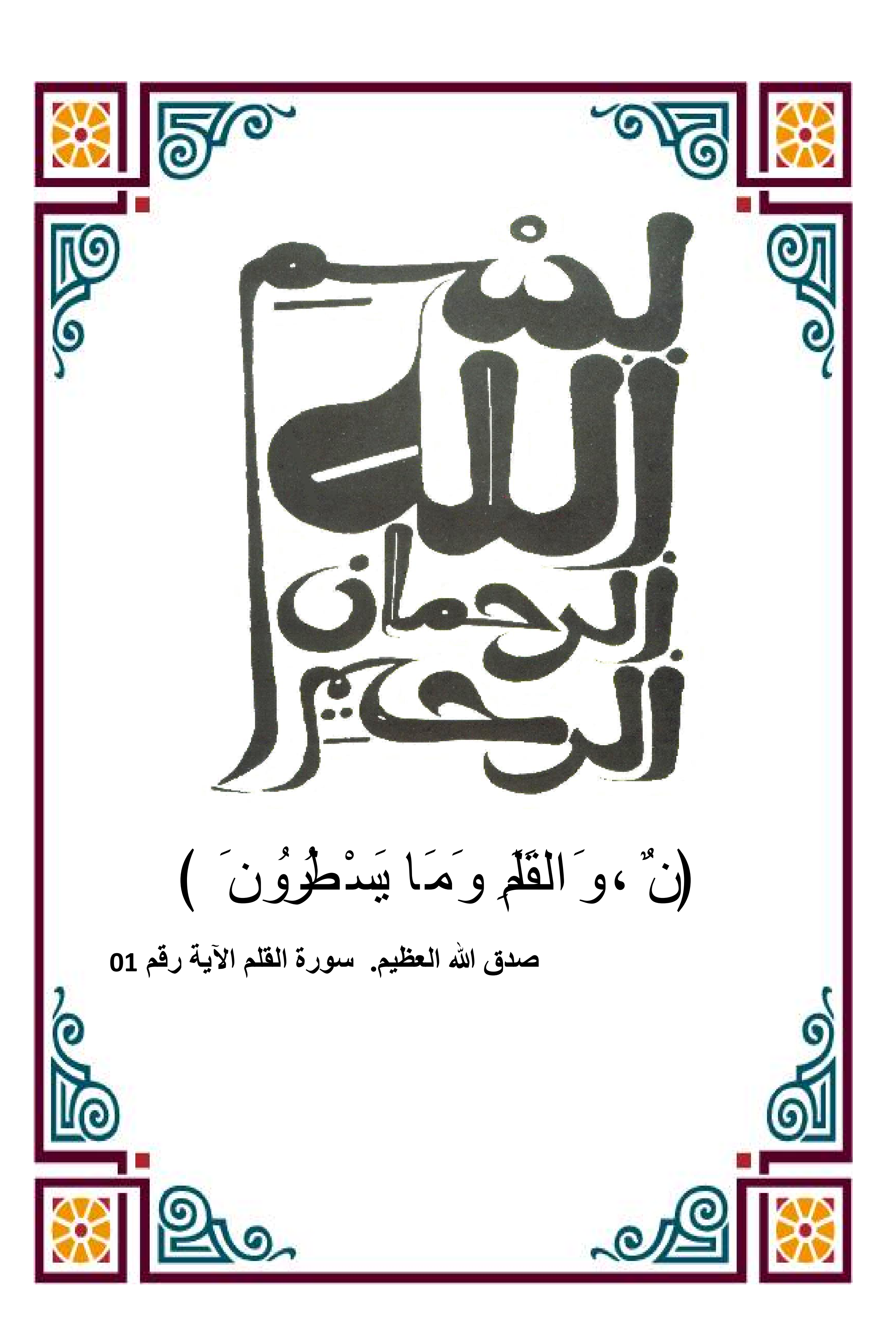
تقديم الطالبة :
طيطح نصيرة

تحت إشراف :
د. بلهواري فاطمة

لجنة المناقشة

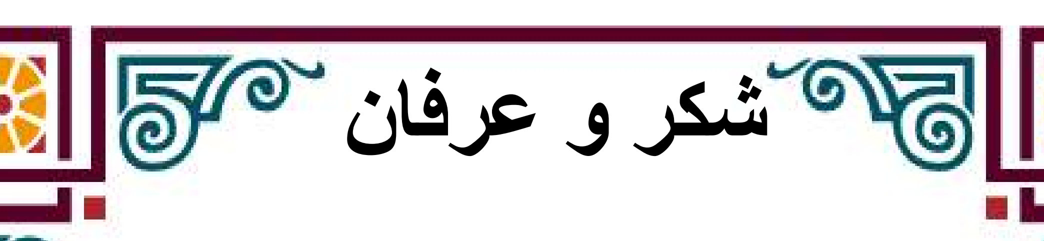
- أ/ د عبد القادر بوباية رئيسا
- د فاطمة بلهواري مشرفا ومقررا
- د غازي جاسم الشمري مناقشا
- د عبيد بوداود مناقشا

السنة الجامعية 1429- 1430 هـ / 2008-2009 م

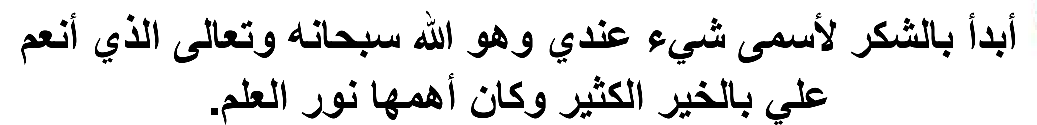


(نٌ ،وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُوْنَ)

صدق الله العظيم. سورة القلم الآية رقم 01



شكر و عرفان



أبدأ بالشكر لأسمى شيء عندي وهو الله سبحانه وتعالى الذي أنعم علي بالخير الكثير وكان أهمها نور العلم.

كماأوجّه شكري إلى كل من ساعدني في إعداد هذا البحث وزودني بمعلوماته وتوجيهاته، وأخص بالذكر أستاذتي الفاضلة الدكتورة فاطمة بلهواري التي أشرفت على هذه الرسالة،

كذلك أقدم شكري لكل من أساتذتي الكرام الأفاضل، وأخص بالذكر كل من الأستاذ الدكتور غازي جاسم الشمّري

والأستاذ الدكتور عبد القادر بوباية

والأستاذ الدكتور محمد بن معمر

والأستاذ الدكتور عبيد أوداود

بما قدموه لي من مساعدة وكتب وعلم نافع قيّم.

وإلى الأستاذ الدكتور خليفي عبد القادر.

كما لا أنسى زملائي في الدفعة وأخص بالذكر الأستاذ ورّاد طارق الذي ساعدني كثيرا بكتبه، وكذلك الأستاذ صفي الدين محي الدين.

كما لا أنسى أن أقدم شكري إلى شيخنا الإمام قوميدي محمد الهبري على مساعدته المتفانية، بما قدمه لي من مكتبته الغنية.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى زميلتي السيدة عزروق يمينة على إخلاصها و مساعدتها لي.

وإلى أمين مكتبة المعهد بمستغانم دواودي محمد.

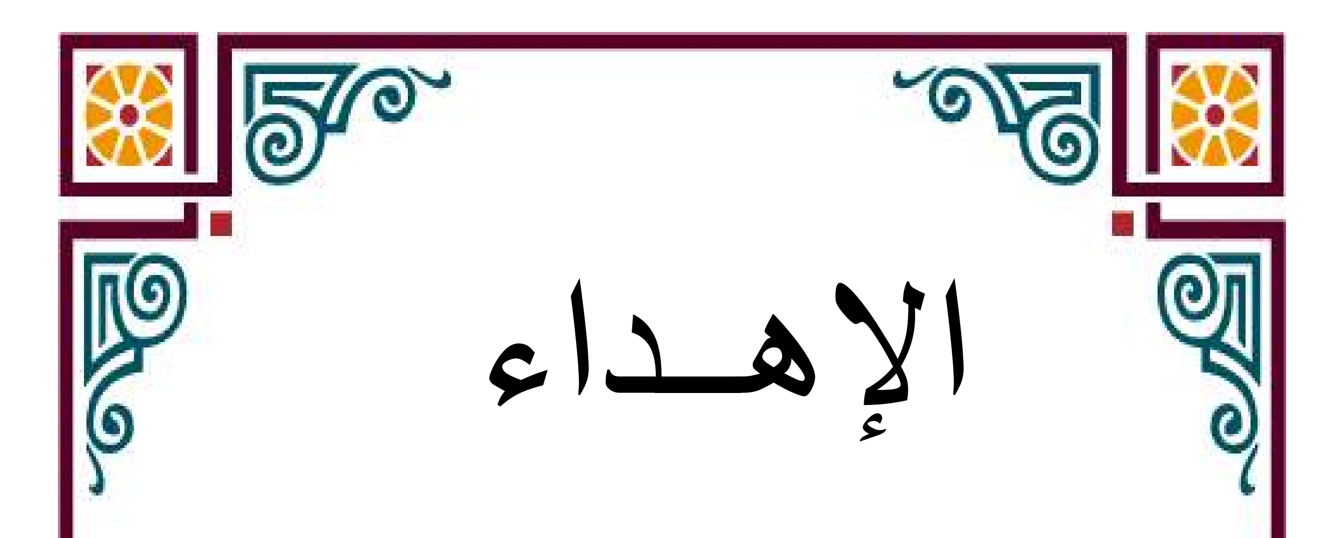
وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذه الرسالة



من قريب أو من بعيد.







الإهـــداء

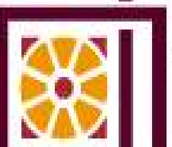
إلـى روح أمـي – رحمـها الله وطيّـب ثـراها -

وإلى أبي الذي كان ولا يزال يشجعني أطال الله في عمـره،

وإلى زوجي وأولادي الذين صبروا عليّ ومدوا لـي

يد المساعدة وقت كنت في أمس الحاجة إليهـا ،

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا العمل المتواضـع.






المقــدمـــة

تشكل النظم الإدارية وما يرتبط بها من تشريعات وأحكام، إحدى المظاهر الحضارية لما توفره من استقرار وأمن وازدهار. ومن هذا القبيل عمل حكام بني أميّة منذ أول عهدهم بالأندلس على وضع أسس قواعد الأطر التنظيمية وسعوا إلى تطويرها وتجدرها من أجل حكم وإدارة بلادهم، ذات المفارقات الكبرى التي أفرزها تعايش مجتمع مختلف الأجناس، نتجت عنه آليات لعلاقات تميزت في كثير من الأحيان بالمرونة والتشابك. ومن هذا المنطلق استقطبت الكتابة السلطانية مجال انشغالات وعناية الدولة الأموية بالأندلس. استعملتها كأداة محركة ووسيلة من وسائل الاتصال المباشر، التي لا يمكن الاستغناء عنها، لأن الوثائق المكتوبة عموما والمراسلات الرسمية خصوصا لها قيمتها بما تقدمه من أدلة وإثباتات مادية، لاسيما في مجال العلاقات الإدارية من أجل تسيير وتوجيه دواليب مؤسسات نظم الحكم وإدارتها.

ولعل من خلال هذا الموضوع الموسوم "الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس (316-422هـ/ 929 -1031م)" أي خلال القرن الرابع إلى غاية العقد الثاني من القرن الخامس الهجري –القرن العاشروالثلث الأول من القرن حادي عشر ميلادي -سأحاول التعريف بهذه الكتابة السلطانية وإبرازها كمظاهر لكيان وحضارة الأمويين بالأندلس الإسلامية ، لأنها تمثل جزءا من كل النظم الأندلسية التي كان لها دورها الهام في ترتيب وانسجام شؤون الدولة الأموية في جميع المجالات.

وعلى هذا الأساس تم اختياري لدراسة هذا الموضوع، إذ كان اهتمامي دوما منحصرا حول الكتابة السلطانية لعصر الخلافة الأموية للأن هذا العصر مثل بحق فاصلا تاريخيا –ذهبيا- بما تميز به من نضج سياسي ورقي حضاري انفردت به الأندلس في عالم القرون الوسطى، ومما زاد في قناعتي اتجاه الدراسات الحضارية، أهمية قضايا التنظيم الإداري لأن دارستها ستحتم عليّ إلقاء الضوء على بنيات خطة الكتابة كمؤسسة إدارية بأبعادها السياسية والحضارية المختلفة، لذلك تعتبر الكتابة السلطانية من أهم الموضوعات وأفضلها طرقا لاستكشاف خبايا الأحداث السياسية والفكرية والحضارية على وجه التحديد.

ومن الأسباب التي شدتني نحو هذا الموضوع ، أنّ العديد من المصادر المتعلقة بتاريخ وحضارة الأندلس قد احتوت فصولها على الكثير من نصوص رسائل الكتابات السلطانية، كما كانت في كثير من الأحيان لصيقة بتراجم أصحابها الكتّاب الذين لازموا مراحل قوة وضعف الخلافة الأموية بالأندلس. ولقد بقي شيء يشدني نحو تلك النصوص السلطانية وأولئك الكتّاب المتميزين بما تركوه من بصمات حاولوا من خلالها المواءمة بين زخرفة بيان القلم و إرادة السلطة الحاكمة.

أما البواعث الإضافية التي زاد من خلالها ارتباطي بهذا الموضوع وتعمق الرغبة في دراسته فيمكن حصرها في:- أن نظام الكتابة السلطانية برصيده التوثيقي يقدم لنا صورة عن بعض الأوضاع السياسية والإدارية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية والعقائدية، هذه - المستحثات المستخرجة من حفر- المادة العلمية لتلك الوثائق سيكون لها بكل تأكيد الدور المساعد في تفسير الأحداث التاريخية وبعض المظاهر الحضارية لزمن هذا البحث.

و من الدوافع التي زادتني تصميما على مواصلة البحث أن جانب النظم الإدارية لتاريخ وحضارة الأندلس بصفة عامة لم يلق من قبل الباحثين العناية الكافية، إذا ما قورن بالجانب السياسي والعسكري لتاريخ هذه البلاد. في حين لا ننفي أهمية تلك المبادرات المتخصصة في تاريخ النظم الإسلامية للقرون الوسطى، حيث تناولت موضوع الكتابة السلطانية، ضمن السياق العام لمظاهر نظام الدواوين وكان ديوان الإنشاء -أي الرسائل- الذي كانت تجري فيه كل المكاتبات السلطانية إحدى مؤسسات النظم الإدارية الهامة وأبرز مظاهرها الحضارية.

وسأحصي البعض من هذه الدراسات لأن المجال لا يسمح بجردها كلها، فمن بينها: تاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان[1] والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام لآدم متز [2] والإسلام والحضارة العربية لكرد علي[3]، و تاريخ العرب مطول لفيليب حتي[4]، ودولة الإسلام في الأندلس العصر الأول -الخلافة الأموية

---

(1) منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت .
(2) نقله إلى العربية عبد الهادي أبو ريدة ، الدار التونسية للنشر، تونس و المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1405 هـ/ 1986 م .
(3) مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر القاهرة، ط3 ، 1968م.
(4) بمساعدة إدوارد جورجي وجبرئيل جبور، دار الكشاف للنشر و الطباعة و التوزيع، بيروت ، ط4، 1965م .

والدولة العامرية لمحمد عبد الله عنان[1] و النظم الإسلامية نشأتها و تطورها لصبحي صالح[2]، و دراسات في النظم الإسلامية لغازي جاسم الشمّري[3].

بالإضافة إلى هذا النوع من الدراسات العامة، أولت البحوث الأكاديمية الخاصة بتاريخ الأندلس وحضارته اهتماما بالموضوع ذاته وكان من بينها دراسة سالم عبد الله الخلف حول نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس [4]، والتي كشفت عن غالبية الخطط التي سارت عليها شؤون الدولة الأموية وكذا الرسوم السائدة فيها، وكانت خطة الكتابة من بين الخطط التي تعرض لها هذا الباحث غير أنها كانت مختصرة وعامة.أما عن دراسة جباري سامية :أدب الرسائل الديوانية في المغرب و الأندلس من92-897 ه ، رسالة ماجستير بجامعة الجزائر معهد اللغة العربية وآدابها سنة 2000م.فلقد عالجت تطور الرسائل الديوانية من الناحية الأدبية .

لكن هذا لا يعنى أن ميدان تاريخ النظم الإدارية في الأندلس قد استوفي حقه، ومن هذا القبيل ارتأيت أن يكون نطاق بحثي ضمن النظم الإدارية وبالتحديد حول الكتابة السلطانية كإضافة متواضعة إلى جانب تلك الدراسات والإسهامات التي سبقتني إلى البحث في هذا المجال.

أما عن إشكالية هذا الموضوع فلقد تمحورت حول عدة تساؤلات منها :

- ما هي الأوضاع التي نشأت فيها الكتابة السلطانية في بلاد الأندلس؟ وهل كان لبني أميّة دور في تطورها وبلورة معالمها كمؤسسة إدارية لها مكانتها ضمن تقاليد سياسة الأمويين ونظم حكمهم بالأندلس؟ وكيف؟

- وهل اعتبر حكام بني أمية الكتابة السلطانية – الكتابة العليا- وسيلة أداتية للإعلام وتبليغ إرادة سلطتهم فقط؟ أم كانت لها غايات وأبعاد؟ وبالتالي ما هي إذاً انشغالات الاعتبارات الإستراتجية ومحددات الهاجس الأمني وراء توظيف الخطاب السلطاني؟ ولماذا؟ وهل استطاعت الكتابة السلطانية مواكبة النقلة الحضارية التي أفرزتها المتغيرات السياسية والحضارية لعصر الخلافة الأموية بالأندلس؟ وكيف؟ ما هي الشواهد الدالة التي عكست علاقة هذه المتغيرات على بنية الخطاب السلطاني ونسيجه الفني؟

---

[1] مكتبة الخانجي ، القاهرة، د. ت .
[2] دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2 ،1388 ه/1968 م .
[3] مكتب الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، 1424هـ/2002م.
[4] الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، السعودية، 1424ه/2003 م .

- وهل استطاعت قوة بيان قلم كتّاب بني أمية اختراق حدود قوة سيف السلطان؟ وهل كان لذلك أثره في غياب حضور مواقفهم اتجاه قضايا وأزمات بلاد الأندلس؟

- وما أثر تداعيات الفتنة على بريق وصيت الكتابة السلطانية وكتابها؟

وكما نرى فإن الإحاطة ببعض عناصر هذه الإشكالية ومحاولتي الإجابة عليها، ما هي إلاّ مقاربة لأهم محاور موضوع هذا البحث.

وفي ثنايا تلك التساؤلات، يمكن تحديد أهمية هذا الموضوع الذي سعيت من خلاله إلى تسليط الضوء على الكتابة السلطانية في عهد الخلافة الأموية بالأندلس، ودورها في قولبة الأطر التنظيمية والإدارية، وما نتج عنها من تطورات في جانب المؤسسات الإدارية ورسومها واستجابتها في توظيف أنماط مستحدثة من أصناف الكتابة السلطانية، اكتسحت موضوعاتها مساحة كبيرة من مجالات حياة الخاصة والعامة من الناس.

وبالتالي فأهمية هذا الموضوع لا تكمن في نوعيته أو طبيعة الإشكالية التي يطرحها وإنما تكمن أيضا في كونه يبرز لنا إحدى المجالات الهامة في التاريخ الحضاري للأنظمة الإدارية في بلاد الأندلس وهو تاريخ الإعلام والاتصالات- حسب المدلول الحضاري لعصرنا- وكيفية توظيفه من أجل خدمة الدولة والرعية ضمن رصيد التفاعلات والتطورات التي شملت ميادين مختلفة بما في ذلك الإجراءات الإدارية. ولا تقتصر أهمية الكتابة السلطانية على الجانب الوظيفي بل مثلت كذلك القالب الذي تحددت بموجبه الكينونة السياسية لوحدة السلطة واستمرارية الدولة الأموية بالأندلس. فمن خلالها برزت مجهودات الخلفاء الأمويين خاصة في عصر القوة في وضع مؤسسات جديدة للحكم والإدارة اختلفت إلى حد بعيد عما كان سائدا ومعروفا قبل اعتلائهم عرش سلطان الأندلس.

وهنا لابد من التأكيد على نقطة مهمة وهي أن موضوع رسالتي هذه قد اقتصر على دراسة الكتابة السلطانية -أي كتابة الخلفاء الناتجة عنهم أو عن ديوان الكتابة العليا لدولتهم- فقط دون أن أتناول الكتابة الرسمية بصفة عامة ككتابة الولاة والقضاة والحجاب والقادة وبقية أصحاب دواوين الخطط الكبرى في الدولة الأموية بالأندلس، والتي تخول لهم السلطة والنفوذ من أجل الأمر أو النهي...الخ. لأن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة أخرى مفصلة مستفيضة لا يتسع لها مجال موضوع هذه الرسالة.

و عن أهداف هذه الدراسة فيمكن حصرها فيما يلي: أ- محاولة إبراز قواعد النظم الحضارية المتطورة للكتابة السلطانية ورسومها،التي حررتها من جمود زخرفة صنعة المحسنات البديعية وقربتها أكثر إلى الدلائل السياسية كمظهر من مظاهر مؤسسات الحكم والإدارة.

ب- تحديد البعد الإستراتيجي لوظيفة الكتابة السلطانية كأداة حية هادفة فاعلة وفعالة أثرت وتأثرت بالقضايا المحلية والإقليمية وكذا العالمية في مسار تاريخ الأندلس الخاص والعام لعصر الخلافة الأموية.

هذا ولقد قمت برسم معمارية المادة العلمية لهذا البحث ضمن خطة موزعة بين مدخل ومقدمة وثلاثة فصول، كل فصل يتفرع إلى محاور وعناصر، وخلصت إلى خاتمة تقييمية لهذه الدراسة.

لقد اقتضت طبيعة هذا العمل أن يسبق بمقدمة وافية شرحت فيها أسباب ودوافع اختيار هذا الموضوع، كما بينت فيها أهم المناهج التي استندت عليها في بناء هذا البحث وكذا الصعوبات التي واجهتني خلال جمع المادة وإعدادها لإخراج هذا العمل، وعملت على تعريف وعرض لأهم المصادر والمراجع التي واكبت سير البحث.

كما خصصت لهذه الدراسة فصلا تمهيديا وعنونته بـ (ملمح تاريخي حول الكتابة السلطانية في عصر الإمارة الأموية في لأندلس138-316هـ/756-929م) ، إذ ارتأيت أن يكون كمدخل تاريخي لموضوع هذه الدراسة، واشتمل على محورين، الأول يتناول دلالة مصطلح الكتابة السلطانية وأدواتها وهذا المحور بدوره تفرع إلى عنصرين الأول، يدور حول الجانب النظري لدلالة مصطلح الكتابة السلطانية، ولقد عملت على رصد و بناء معنى هذا التعريف من خلال بعض التعريفات المختلفة التي جمعتها من مصادر الأدب التراثية، وكذلك من بعض الدراسات الحديثة، أما العنصر الثاني منه فخصصته للتعريف بالأدوات التي اتصلت بالكتابة السلطانية مباشرة و أكسبتها الأبهة ومفاخر المراتب والألقاب السلطانية ورسومها.

أما في المحور الثاني تعرضت فيه بصفة عامة إلى أوضاع نشأة الكتابة السلطانية وعوامل تطورها في عصر الإمارة الأموية بالأندلس، ومن خلال عناصره الثلاثة، تناولت في العنصر الأول منه الاهتمام بالكتابة السلطانية إبان الصدر الأول من عصر الإمارة وفيه عملت على إبراز انجازات "الأمير عبد الرحمان الداخل" في سبيل إرساء قواعد إدارية ثابتة

لإمارته، حيث أصبحت بموجبها الكتابة السلطانية إحدى ضرورات السياسية التي سار عليها أولاده من بعده. أما العنصر الثاني منه تمثل بالخصوص في إبراز الإصلاحات الإدارية التي قام بها "الأمير عبد الرحمان الثاني (الأوسط)" في ضبط وبلورة الملامح الإدارية للكتابة السلطانية، إذ كان من نتيجتها ميلاد منصب رسم "كاتب السلطان" أي الكاتب الخاص للخليفة. و في العنصر الثالث وضحت فيه سياسة أمراء بني أمية في اصطناع بيوتات والعرب البربر التي شغلت في ديوان الكتابة السلطانية وجعل خطتها متوارثة في تلك الأسر.

أما الفصل الأول جاء عنوانه "إدارة الكتابة السلطانية ورسومها" في عصر الخلافة الأموية بالأندلس من 316-422هـ/929-1031م" انقسم هذا الفصل إلى ثلاثة محاور: المحور الأول يتناول أسباب احياء الخلافة الأموية بالأندلس وكان عبد الرحمان الثالث أول من تلقب بألقاب الخلافة بالأندلس واتبعه في ذلك عقبه ، أما المحور الثاني عملت على التعريف بالدواوين المساعدة للكتابة السلطانية وهذا المحور بدوره يتفرع إلى عنصرين، الأول منه تناولت فيه التعريف بديوان الرسائل (أو الإنشاء) الذي كانت تتم فيه جميع إجراءات المكاتبات والتواقيع وختم المراسلات السلطانية، ويسمى رئيس هذا الديوان في الأندلس بصاحب الكتابة العليا، وفي بعض الأحيان كان صاحب هذه الخطة تجمع له العديد من الخطط السلطانية كالقيادة والشرطة، والمدينة، وكانت أعلاها خطة الحجابة، وفي المقابل نال الكثير من الامتيازات والجريات والتشريف في الألقاب كلقب الوزير، ولقب قلم بني أمية الأعلى أو العظيم. كما قمت بالتعريف ببعض الكتاب المساعدين والعمال الذين ضمهم ديوان الرسائل.

أما العنصر الثاني منه فلقد تطرقت فيه إلى ديوان البريد الذي تتصل به المراسلات السلطانية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ونظرا لأهميته البالغة اعتنيت بالتعريف بمصلحة هذا الديوان وصاحبه،وركزت على جانب المهام وصلاحياته، دون أن أهمل العناية الفائقة التي خصها حكام بني أمية لهذه المصلحة، بما وفروه من تعبئة إدارية وتقنية من وسائل مختلفة برية وبحرية، سخرت من أجل خدمة هذا الديوان رغم نفقاتها المكلّفة.

أما المحور الثالث منه فخصصته للتعريف برسوم الكتابة السلطانية وكتّابها وقد تفرع إلى ثلاثة عناصر، الأول أفردته للشروط المتعلقة بتعيين كاتب السلطان، أما العنصر الثاني فخصص لرسوم كاتب السلطان، في حين تناولت ضمن العنصر الثالث والأخير الحديث عن الرسوم وخصائص الكتابة السلطانية، ومن خلال ذلك بينت مدى أثر المتغيرات السياسية

والحضارية التي ظهرت وتحققت خصوصا فـي عصـر الخليفـة عبد الرحمان الناصر لدين الله على تلك الرسوم.

وجاء الفصل الثاني تحت عنوان **"**مظاهر تطور أنماط وصيغ الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس**"**، وقد وزعته إلى جملة من العناصر، إذ انصب اهتمامي هنا على النص السلطاني لإبراز قدرة الكتابة السلطانية على مواكبة التطور ونمو حاجات الخلافة وقضايا شؤونها كنتيجة طرديه للتطور الذي أعقب النقلة النوعية في حضارة الأندلس لهذا العصر. فسعيت لإظهار وجوه التقليد والتجديد مهتدية إلى أنماط جديدة في الكتابة السلطانية عنها لعصر الإمارة، مراعية في ذلك اظهار الملامح والخصائص الأسلوبية والأشكال الفنية الجديدة المستخدمة في ضروب النثر السلطاني لعصر الخلافة، وبيّنت أثر تنوع الروافد في تطعيم وإثراء نسق نثر الخطاب السلطاني. رغم المسحة الفنية للنموذج المشرقي الذي غلب على هذه الصيغ إلاّ أن هناك محاولات، للإستقلال عنها. ومن هذه الأنماط التي تم تسليط الضوء عنها ضمن هذه الدراسة المناشير الإعلامية بأنواعها،و كتب المقاليد الخطط السلطانية،و كتب الاستفسار، وكتب عرض الحال أو التقرير، وكتب التهديد المستتر.

- أما الفصل الثالث والأخير من هذا البحث المعنون بـ **"**نماذج من موضوعات الكتابة السلطانية**"** فقسمته إلى عدة عناصر فرعية، تناولته بشيء من الوصف وتحليل مجالات قضايا الكتابة السلطانية وأدوارها في عصر الخلافة من خلال أغراض موضوعاتها التي اكتنفت العديد من الشؤون ذات الصلة الوثيقة بانشغالات الدولة واهتماماتها، وفي نفس الوقت وبالموازاة عملت على استجلاء القيمة التوثيقية لنصوص الكتابة السلطانية، مراعية في ذلك أهم محطاتها التاريخية التي اتسمت بملامح وسمات البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية الأندلسية، وكذا العلائق الخارجية المتميِّزة التي طبعت عصر الخلافة وانعكست طردا على أفق خريطة الخطاب السلطاني.

- أما خاتمة موضوع هذه الدراسة فجاءت عبارة عن خلاصة عامة وتقييم لأهم نتائج البحث التي توصلت إليها.

عرض المصادر المعتمدة في هذا البحث: لم يكن هذا البحث ليظهر بشكله النهائي الذي هو عليه - لولا مشيئة الله سبحانه وتعالى – ومن جهة أخرى ارتكازه على دعامة من المصادر والمراجع التي زودته بمادة علمية مختلفة ومتنوعة حسب تعدد اختصاصاتها.

أولا: مصادر التاريخ العام

1- كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس"[1] لابن القوطية القرطبي (ت367 هـ/977م) أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز، تناول ابن القوطية في كتابه هذا تاريخ الأندلس من الفتح إلى سنة 323 هـ/934م. ولقد أفادني خاصة في الاطلاع على بعض محاورات" الأمير محمد بن عبد الرحمان الثاني" مع وزيره، التي أظهرت بوضوح سياسة حكام الأمويين في اصطناع بيوتات المختصة في الكتابة السلطانية، كما تناول بعض الرسوم والألقاب المتعلقة بخطتها.

2- كتاب "المقتبس من أنباء أهل الأندلس" لأبي مروان حيان بن خلف (ت469 هـ/ 1076م) ولقد كانت بعض القطع من هذا الكتاب مرافقة لكل مراحل هذا البحث:

***القطعة الأولى: "السفر الثاني من كتاب المقتبس"[2]** أما عن مادتها فتشمل أحداث إمارة "الحكم بن هشام" المعروف بالربضي من (180-206هـ/796-822م)، ثم جزء من إمارة ابنه عبد الرحمان بن الحكم الأوسط من سنة (206-232هـ/822-847م)، معنى هذا أن هذه القطعة مهمة جدا لأنها تغطي فترة من تاريخ الأندلس خلال 88 سنة أي ما بين أواخر القرن الثاني الهجري وأواخر القرن الثالث ما يوافق القرنيين الثامن والتاسع الميلاديين، والأهم من ذلك أنها احتوت على فترة حافلة بالأبحاث السياسية ومعالم القواعد الحضارية، رغم الثورات التي عكرت صفوة استقرار عصر الإمارة الأموية وهي في قمة ازدهارها. هذا ولقد استفدت من هذه القطعة حيث شملت بداية إمارة الأمير عبد الرحمان الأوسط الذي عرفت فيه الأندلس ازدهارا كبيرا في معالم حضارتها، تجلى ذلك في مظاهر الفخامة والأبهة التي أفردها للخطط الكبرى في الخدمة السلطانية، واستقرار الرسوم و النظم الإدارية.

كما احتوت هذه القطعة على بعض النصوص السلطانية خاصة الكتاب الذي بعثه الأمير الحكم الربضي إلى الآفاق عندما قضى على ثورة الربض التي كادت أن تؤدي بعرشه. وكذا نص جواب الكتاب الذي بعثه الأمير عبد الرحمان الأوسط للإمبراطور البيزنطي الذي طلب وده.

(1) تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1410 هـ/ 1989م.
(2) تحقيق و تعليق، محمود علي مكي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، د ت.

* **القطعة الثانية[1]: وتبدأ من سنة 232-267هـ/ 846-880 م**، وهي بذلك تشمل ست سنوات من عهد الأمير عبد الرحمان الأوسط ومعظم عهد ابنه الأمير محمد، وبغض النظر عن أهمية المادة العلمية للقطعة في حد ذاتها، لقد أفادتني كثيرا فمن خلالها توصلت إلى معرفة كيف جاء ميلاد رسم كاتب السلطان. كما اطلعت على الإصلاحات الإدارية التي قام بها الأمير عبد الرحمان الأوسط في تنظيم الخطط السلطانية.

* **القطعة الثالثة: "المقتبس في تاريخ رجال الأندلس"[2] وتتناول عهد الأمير عبد الله الأموي (275-300 هـ/888-912 م)**، ومن هذه القطعة تبين لي بأن أشهر من تولى الكتابة السلطانية في الدولة الأموية على الإطلاق هو الخليفة عبد الرحمن الناصر، فقد اختبره جده الأمير عبد الله بن محمد عندما أمره أن يكتب كتابا لأحد عماله بأمر هام، ويبدو أن عبد الرحمن (الثالث) قد أصاب بغية جده، الذي لم يخف سروره بنبوغ حفيده، فاتخذه كاتبا لسره.

* **القطعة الرابعة: "المقتبس لابن حيان القرطبي"[3] الجزء الخامس، تشمل عهد "الخليفة عبد الرحمان الناصر" وتبدأ من سنة (300-330هـ/912-931م)**، وهذه القطعة مفيدة جدا في معرفة الأسلوب الإداري الذي اتبعه عبد الرحمان الناصر، والذي اعتمد فيه على السلطة المركزية المطلقة، ويتضح ذلك من خلال التغييرات الوزارية بما فيها خطة الوزارة والكتابة العليا. كما أفدتني في الإطلاع على موقف هذا الخليفة من عقيدة ابن مسرة، من خلال النص السلطاني من إنشاء قلم كاتبه عبد الرحمان بن عبد الله الزجالي الذي وجهه إلى الآفاق للتنكيل بأتباعه و مريديه.

* **القطعة الخامسة: "المقتبس في أخبار بلد الأندلس"[1]** وتتناول هذه القطعة أحداث خمس سنوات غير كاملة من خلافة الحكم المستنصر بالله وتبدأ من **(360–364هـ/970-975م)**، ومنها اطلعت على العديد من الرسوم وكذلك على الكثير من نصوص كتب الخليفة المستنصر بالله المختلفة المجالات.

---

[1] تحقيق محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ، 1393هـ/ 1973 م. و لقد قام هذا المحقق بنشرها وإخراجها بفصل للتعليقات التي أفادتني كثيرا في تزويدي بالمعلومات وتوجيهي إلى العديد من المصادر.

[2] نشر الأب ملشور م. أنطونية بولس كتنر الكتبي، باريس، 1937م.

[3] نشر و تحقيق، بيدرو شالميتا، وفيدريكو كورنيطي، و محمود صبح، و غيرهم، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979 م.

[1] نشر و تحقيق ، عبد الرحمان علي حجي ، دار الثقافة، بيروت، ، 1965م.

3- كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"[2] لأبي العباس أحمد بن عذاري المراكشي، والمؤلف يرجع إلى أصل مغربي، عاش في زمن الموحدين (كان حيا عام 712 هـ / 1312م) يعد كتاب "البيان المغرب" ذو قيمة تاريخية كبرى ومصدرأساسي في تاريخ الأندلس والمغرب، فلقد شملت الأجزاء الثلاثة لهذا الكتاب فترة من تاريخ المنطقة من الفتح إلى غاية 669 هـ/ 1268 م، اعتمد في أخباره على العديد من المصادر المفقودة ومن هنا تكمن أهميته التاريخية. وقد غطت مادته في الجزء الثاني والبعض من الجزء الثالث، نسبة كبيرة من جوانب هذا البحث لما تضمنته من معلومات ذات صلة بمعظم فصول الموضوع،على الرغم من أن الكتاب غلب عليه السرد التاريخي للأحداث السياسية والعسكرية، إلاّ أنه تضمن معلومات في غاية الأهمية من ناحية النظم وكذا الرسوم المتعلقة بالكتابة السلطانية والعديد من النصوص السلطانية التي أفادتني كثيرا،حيث انفرد بخبر توزيع أعمال خدمة الكتابة السلطانية على أربعة مصالح إدارية بموجب إصلاحات الخليفة عبد الرحمان الناصر لسنة 344ه/955م.

4- كتاب "أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق ذلك من كلام"[3]: للوزير لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب (ت776 هـ/ 1374م) برز ابن الخطيب في الحياة السياسة بمركزه ولقبه ذي الوزارتين الذي أتاح له الإطلاع على الوثائق والمراسلات الرسمية المحفوظة بقصر الحمراء في غرناطة فاعتمدها في كتبه التاريخية.

وهذا الكتاب هو تاريخ عام للعالم الإسلامي،و ينقسم إلى ثلاثة أقسام الأول منه : يتناول تاريخ المشرق العربي ابتداء من سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى عصر المماليك.

القسم الثاني: وهو خاص بتاريخ الأندلس. وقد أطلعني على العديد من النصوص السلطانية، خاصة نص احتفال الخليفة المستنصر بالله ببيعة هشام المؤيد وليا للعهد، كما سجل ما قام به الحاجب المنصور بالخليفة هشام والحجر عليه، حيث ذكر فيه العديد من رجالات الدولة وأعيانها الذين سجلوا شهادتهم للبيعة في السجل الخاص. وذكره لكتابات تخص زمن

[2] قام بتحقيق الجزء الأول و الثاني، ج . س. كولان وإ ليفي بروفنسال ، دار الثقافة، بيروت ،د ت ، الجزء الثالث ، تحقيق ، إ ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ، د.ت.

[3] تحقيق كسروي حسن ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.

حكم الخليفة "هشام المؤيد بالله" للأسرة العامرية كنص منح الألقاب السلطانية الذي خصه للحاجب عبد الملك المظفر ونص البيعة لعبد الرحمان شنجول كولي عهده.

5- كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمان بن خلدون[1] (ت 808 هـ / 1406م). يقع هذا الكتاب في سبعة أجزاء الأول هو المقدمة التي غطت تاريخ العمران والحضارة في الأندلس وبلاد المغرب الإسلامي بصفة خاصة وبقية مواقع الدولة الإسلامية بصفة عامة معلومات موسوعية في مختلف المجالات كالعمران والجغرافية وعلم الطب والصناعات. لقد أفادني هذا الجزء في الجانب الحضاري منه خاصة في ما يتعلق بالخطط السلطانية كخطة الكتابة والوزارة ونظم الحكم في المشرق والمغرب والأندلس. أما كتاب العبر أي تاريخ ابن خلدون فلقد استعنت كثيرا بالجزء الرابع منه حيث تناول تاريخ الدولة الأموية بالأندلس وسرد ه للعديد من أحداث عصر الخلافة التي أفادت جوانب كثيرة من هذا البحث.

6- كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء[2] للقلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، (ت821هـ /1418م) والكتاب موسوعة في التاريخ والسير واللغة ولأدب والفقه والتفسير والحديث وشرح الأمثال والأحكام العربية وبسط لنظام الحكومات والوثائق. يتضمن هذا المؤلف أربعة عشر جزءا مطبوعا. وقد قسم المؤلف كتابه وبوبه ونسقه بطريقة خاصة، إذ جعله على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة.

كما ذكر فيه الخلافة الإسلامية وشروطها ورسومها ومن وليها من الأمويين والعباسيين والأندلسيين الأمويين والفاطميين. كما تناول جانب النظم الذي أفادني كثيرا لأنه المصدر الوحيد الذي أحاط بالكتابة الديوانية بما فيها السلطانية، فتحدث عن الإنشاء وديوانها وكل ما يحتاج إليه الكاتب من الأدوات والأمور العلمية والعملية من صفة المكاتبات الرسمية، والألقاب والتجليات وهيئة دواوين الإنشاء وتقسيم الوظائف والرتب. كما تناول ديوان البريد فعرفه لغة واصطلاحا، وتطرق إلى نظام البريد ومهامه بالتفصيل والتحليل الدقيق، لأن القلقشندي عمل كاتبا في ديوان الإنشاء في عصر المماليك بمصر فجاءت معلوماته بتلك الدقة والإفاضة.

---

[1] مؤسسة جمال للطباعة و النشر ، بيروت ، 1399ه/1979 م.

[2] نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ، د.ت. ولقد قام محمد قنديل البقلي بوضع كتاب خاص : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1983م .

7- كتاب "رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير"[1] لأبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن محمد ابن سماك العاملي الأندلسي. يرجح أنه عاش مابين (النصف الثاني من القرن الثامن وجزءا من القرن التاسع الهجريين ما يوافق النصف الثاني من القرن الرابع عشر وجزء من القرن الخامس عشر الميلاديين) يعد ابن سماك العاملي من بين مثقفي الأندلس الذين تخرجوا على يد لسان الدين بن الخطيب، خدم بديوان الإنشاء، الذي كان يعمل فيه أبوه أبو العلاء ودامت خدمته في الدار السلطانية لبني الأحمر بغرناطة النصرية مدة طويلة، اكتسب خلالها مكانة علمية وإدارية هامة مثلما صرح به في مقدمة هذا الكتاب «وجمع العبد الآن في هذا الموضوع، من السياسات المستحسنة ما استفاده من بابهم الكريم (ملوك بني نصر) منذ ثلاث وثلاثين سنة اتصل الى معرفة ذلك بالحنكة والتجريب، والممارسة والتدريب فلخص معانيه، وقرب أبوابه أحسن التقريب ليخف النظر فيه على من تأمله، ويلفي قوانينه مستوفاة ومكملة، (توشحت من الحسن في أبهى المضارب والأبواب، وانحصرت في جملة من الأبواب) بلغت عدتها إلى الأربعين».[2]

يندرج موضوع هذا الكتاب ضمن أدب التهذيب السلطاني، والذي يختص بفنون السياسة وآداب الحكم. قصد به صاحبه تربية الأمراء وإرشاد من يخدمهم. ولقد جعل ابن سماك كتابه الذي بناه على أربعين بابا في حال الملك وما يتطلبه من أعوان وآليات، وفصل القول فيما يقتضيه من ضوابط وتقاليد في إنشاء مؤسسات الدولة، وأساليب تسييرها في حالة السلم والحرب، وما ينبغي أن يتبع رجال الدولة مع الحكام من سلوك.كما احتوى على العديد من النصائح والوصايا والقواعد السياسية والأخلاقية التي يستوجب التقيد بها لأجل تسيير المملكة واستقرار السلطة ودوامها. ألف هذا الكتاب من أجل السلطان محمد المستعين أبو عبد الله محمد الغني بالله(797- 811هـ /1394م -1408م).

وتكمنيقة هذا المؤلْ َ ف كونه يشكل المرجعية المحلية ، بالرغم من أن ابن السماك العاملي اتكأ في جمع مادة هذا الكتاب على رصيد متنوع تقاطع فيه خلاصة التراث العربي والفارسي واليوناني. ولقد أفادتني أبوابه لأنها توزعت على أهم محاور فصول البحث أذكر على سبيل المثال؛ باب اختيار كاتب السلطان، والأقلام، والخط، ورسوم الكتابة، في باب اختيار السفراء الملوك، وفي باب الهدية.

---

(1) تحقيق سليمان القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ، 1424 هـ/ 2004م.

(2) المصدر نفسه ، ص 20,

8– كتاب " تاريخ الأندلس"[1] لمؤلف مجهول يرجح محققه الباحث عبد القادر بوباية أنه ألف في الفترة الممتدة من سنة(895- 897 هـ /1490-1492م) إلى تاريخ سقوط مدينة غرناطة والكتاب نفسه نشره سابقا الباحث الإسباني لويس مولينا[2] بعنوان **" ذكر بلاد الأندلس"** لقد استعنت بالنسختين نظرا لأهمية كل منهما وخاصة تلك المحققة من قبل الباحث عبد القادر بوباية لما تضمنته من مادة جديدة، والتي تميزت بالدقة والتحليل.

وقد جرى بناء هذا الكتاب على الجمع بين الجغرافية والتاريخ تقليدا لسنة كثير من الجغرافيين والمؤرخين الأندلسيين. إذ استهله صاحبه بذكر جغرافية الأندلس، ثم تعرض لأخبار مدينة قرطبة وسائر المدن الأندلسية. وتناول إلى جانب ذلك، تاريخ الأمراء والخلفاء من دولة بني أمية في الأندلس وملوك دول الطوائف. و استفدت منه في استخراج الجدول الذي خصصته لعبارات نقوش أختام أمراء و خلفاء بني أمية في الأندلس. كما انفرد بخبر إلغاء الحاجب المنصور بن أبي عامر خاتم الخليفة هشام ولذلك سمي بالمؤيد بالله، واقتصاره على خاتمه.

9- كتاب"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"[1] للمقري التلمساني (ت1041 هـ/ 1631 م). يمثل هذا الكتاب موسوعة ضخمة عن تاريخ وحضارة الأندلس حقق فيه المقري التعريف بتاريخ الأندلس وجغرافيتها وآدابها ورجالها إضافة إلى التعريف بوزيرها لسان الدين بن الخطيب. والكتاب ينقسم إلى ثمانية أجزاء، يعد مصدرا أساسيا للباحثين جميعا في تاريخ الأندلس، لأن صاحبه جمع فيه تاريخ العرب في الأندلس ما لا نجده في كتاب غيره. وقد أتاح له تأخر زمانه في القرن الحادي عشر الهجري، أن يصل من أخبار الأندلس ما انقطع بعد النكبة التي أصابت الأندلس وسكانها من العرب المسلمين، وبهذا استطاع أن ينقل نصوصا كثيرة ودقيقة عن المراحل المتأخرة من تاريخ هذه البلاد منها لا نستطيع الآن الحصول عليها. ولقد أفادني كثيرا في معرفة الأحداث و تراجم الشخصيات التاريخية، وقد ذكر خطة الكتابة غير أنه كان مختصرا فيها جدا.

ثانياً: كتب التراجم والطبقات

---

(1) دراسة و تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ، بيروت، ط1، 1428 هـ/2007 م..

(2) نشر و تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1983 م – Una Description Anonima de Al Andalus- editada y traducida por Luis Molina-c.s.i. instituto Miguel Asin.Madrid, 1983.

(1) تحقيق و ضبط، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

1- كتاب "تاريخ علماء الأندلس"[(2)] لابن الفرضي (قتل عام 403هـ/1012م) إبان الفتنة القرطبية. وهو كتاب تراجم على نسق المعاجم جمع فيه عدة فئات من التخصصات المختلفة من العلماء والفقهاء ورواة الحديث والشعراء واللغويين الذين عاشوا في الأندلس أو رحلوا عنها أو استوطنوها. والكتاب غني بالمعلومات التاريخية التي أفادتني كثيرا في تراجم خلفاء الأمويين والتعريف ببعض وجوه أعلام الأندلس من كتاب ووزراء.

2-كتاب"جمهرة أنساب العرب"[(3)] لابن حزم القرطبي (ت 456هـ/1063م) أشهر شخصيات الأندلس وصاحب كتب كثيرة، كان أبوه أحمد وزيرا للحاجب المنصور بن أبي عامر. وهذا الكتاب يعد من أهم كتب الأنساب، واستفدت منه في معرفة أصل بعض رجالات الذين شغلوا في ديوان الكتابة العليا التي عاشت في الأندلس مثل بيت الزجالي.

3-كتاب "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس"[(4)] للحميدي الميورقي (ت في بغداد عام 488هـ/1095م) ولد المؤلف بقرطبة ثم استوطن ميورقة. تتلمذ على ابن حزم استقر في بغداد إلى حين وفاته، وبدون شك أن وجوده بالعراق أتاح له فرصة الاحتكاك بالمراكز العلمية. والكتاب يعد معجما بأصحاب الحديث من الأندلس، وهو الغرض الذي ألف من أجله. مع ذلك فلقد اهتم كثيرا بأحداث تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي مرورا بعصر الولاة وعصر الإمارة والخلافة إلى غاية منتصف القرن الخامس الهجري. وجاءت تراجمه على حروف المعجم. ولقد استعنت بمجموعة من هذه التراجم التي سمحت لي بالاطلاع على العديد من الأخبار السياسية والثقافية والمذهبية لتاريخ الأندلس.

4-كتاب "مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس"[(1)] للفتح بن خاقان الغرناطي (ت 529 هـ/1134 م) ولقد أخرجته الباحثة **مديحة الشرقاوي** بطبعة جديدة تحت عنوان **"تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس"** قسم كتابه هذا إلى ثلاثة أقسام ولقد أفادني القسم الأول منه إذ يشمل على سرد لعدة تراجم باعتبار وظائفهم السياسية، ومناصبهم الإدارية، وما اشتهر عنهم من فنون العلم والآداب فلقد أفرد أبوابا للوزراء والكتاب والقضاة. استعنت به في التعريف ببعض وجوه الكتابة السلطانية الذين نالوا لقب الوزارة مثل الحاجب المصحفي والكاتب وزيرالدولة العامرية عبد الملك الجزيري.

---

(2) تحقيق، روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997 م.
(3) تحقيق، عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، د، ت.
(4) تحقيق روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1417هـ /1997 م .
(1) تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، الظاهر، مصر، ط1، 1422 هـ/2001 م.

5-كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"[2] لابن بسام الشنتريني (ت حوالي 542هـ/1147م). وهو على أربعة أقسام؛ حسب التقسيمات الجغرافية الإقليمية للأندلس، كل قسم يتناول تاريخ هذه الأقاليم وأمرائها وشعرائها.

فالقسم الأول، خصصه لقرطبة وما جاورها من بلاد وسط الأندلس، والقسم الثاني تعرض فيه للمنطقة الغربية من الأندلس (اشبيلية وما جاورها) في حين تناول في القسم الثالث للناحية الشرقية من هذه البلاد (بلنسية وما جاورها). بينما القسم الرابع فقد خصصه للغرباء الوافدين على الأندلس.

ولما كان ابن بسام أديبا وليس مؤرخا، فقد اعتمد على ما كتبه كبير مؤرخي الأندلس ابن حيان في كتابه المتين، فحفظ الشيء الكثير من هذا التراث التاريخي المفقود. ولقد أفادني هذا القسم، لأنه تناول تراجم خلفاء وكتاب السلاطين لفترة الفتنة. هذا ولقد استعنت ببعض النصوص السلطانية المهمة التي انفرد بها مثل: الكتاب السلطاني لأهل الخدمة الذي وضح فيه التقيد برسوم الكتابة –الرسمية - بالإضافة إلى بعض المعلومات التاريخية الدقيقة والتراجم التي احتواها ديوانه.

6 – كتاب "الحلة السيراء"[1] إبن الأبار القضاعي البلنسي (ت 658 هـ/ 1260م) يعد ابن الأبّار أكبر مؤلفي كتب تراجم الرجال، وهو مؤرخ صادق كان يؤلف معتمدا على ما في يده من وثائق كانت على جانب كبير من الأهمية. وكتابه هذا عبارة عن تراجم لمشاهير أمراء وأعلام في السياسة والحرب وأعيان من رجال الأندلس وبلاد المغرب. والكتاب يفيد في تاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح إلى منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. ولقد انفرد بكثير من الروايات التي لا نجدها في كتاب آخر. ومن خلاله تبين صاحب الكتابة العليا في الكتابة السلطانية وكيف يطبعها -أي يختمها بخاتم الخليفة- في ديوان الرسائل بباب السدة ثم ويوزعها على ولاة أقاليم الخلافة. كما اتضح لنا كيف كانت تجمع للكاتب الوزير العديد من الخطط.

ويقسم الكتاب إلى جزأين ويسرد الوقائع حسب القرون: من المائة الأولى للهجرة إلى المائة السابعة. ولقد استعنت به كثيرا خاصة في تراجم حكام الأمويين وكتّابهم لعصري الإمارة والخلافة.

(2) تحقيق، إحسان عباس، دار الغرب للملايين، بيروت، ط1، 2000م.
(1) تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف ، القاهرة ، ط2، 1985 م .

7- كتاب "إعتاب الكتّاب"[2] للمؤلف نفسه، يضم هذا الكتاب العديد من تراجم الكتاب التي بلغت خمسا وسبعين ترجمة، فلقد ضرب بها الأمثال عن حلم السلاطين واستعطاف الكتّاب، لينالوا العفو عن أخطائهم ويغفر ذنبهم. صنف تراجم كتابه إلى قسمين جعل القسم الأول للمشارقة، والقسم الثاني لبلاد المغرب والأندلس. لكن ما يلاحظ عليه عدم الضبط الدقيق في هذا التقسيم حيث تداخل بعض تراجم المشارقة في قائمة المغاربة والعكس مثل ترجمةعبد الله بن محمد الزجالي و ترجمة كاتب صلاح الدين الأيوبي.

مع ذلك فالكتاب مصدر تاريخي كشف عن حياة عدد من الكتاب والوزراء في المشرق والمغرب، كما احتوى على معلومات بينت من خلالها حياة تلك الشخصيات السياسية التي كان لها دور هام في التاريخ الحضاري، لأن من خلالها تعرفنا على بعض الجوانب من النظم والتقاليد التي كانت متبعة في تنظيم الدواوين، منها مثلا أنه عرض صورة -حية- لإنجاز توقيع في ديوان الكتابة العليا أيام الحاجب المنصور العامري.

8-كتاب"المغرب في حلي المغرب" تكملة علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت 685هـ/ 1268م)[1] ينحدر صاحب هذا الكتاب من بيت علم اشتهر بالأدب والتاريخ، ولقد اشترك عدة أفراد من هذه الأسرة في كتابة تاريخ كامل للأندلس في مدة استغرقت أكثر من مائة سنة. وكان أبو الحسن علي بن سعيد آخر أفراد هذه الأسرة الذي أكمل هذا الكتاب وأخرجه في صورته النهائية.

والاسم الكامل للكتاب هو "فلك الأرب المحيط بحلي لسان العرب" وينقسم إلى كتابين كبيرين "المغرب في حلي المغرب" و"المشرق في حلي المشرق" والأول تاريخ للمغرب العربي والأندلس فيما بين سنتي (529 و640 هـ/1135 و1243م) تضمن جزأين إذ هو ترجم للشخصيات البارزة في الأندلس حتى نهاية عصر الموحدين .ومنه اطلعت على الحادثة التي جعلت من ابن سعيد الزجالي- مؤسس بيت الكتابة السلطانية بالأندلس - وكيف أصبح كاتبا خاصا للأمير عبد الرحمان الأوسط، وعلى إثرها أنشئ رسم كاتب السلطان.

ثالثاً: كتب الجغرافية

---

[2] تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1380هـ/1961 م .
[1] تحقيق، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417ه/1997 م .

1- كتاب "الروض المعطار في خبر الأقطار"[2] لمؤلفه محمد بن عبد المنعم الحميري (ت723 هـ/ 1323م أو 727 هـ/ 1326م) فهو من أهل سبتة وقدم غرناطة على عهد ملوكها -بني نصر- ثم عاد إلى المغرب ومات بسبتة. والكتاب عبارة عن معجم جغرافي مرتب على حروف المعجم، فبالإضافة إلى مادته الجغرافية والتي تخص المدن والكور، احتوى على جانب كبير من الأحداث التاريخية الدقيقة كمسألة نقل الحاجب ابن أبي عامر دواوينه إلى مدينة الزاهرة. وكذلك تضمن البعض من النصوص السلطانية كالنص الذي بعثه الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير لملك تدمير، وكذلك الحوار الذي دار بين الخليفة عبد الرحمان الناصر ومنذر بن سعيد البلوطي، والتعريف بكاتب الحاجب المنصور بن أبي عامرا بن دراج القسطلي وإيراد أبيات من شعره. ومن هنا يتبن بوضوح أهمية مثل هذا المصدر لموضوع هذا البحث.

بالإضافة إلى هذه المصادر القيّمة اعتمدت على عدد من المراجع والدراسات العربية وكذا الأجنبية التي أفادتني كثيرا وكان أهمها:

1- "دولة الإسلام في الأندلس (في عصر الخلافة والدولة العامرية)" العصر الأول- القسم الثاني منه[1] **لعبد الله عنان،** حيث تضمن الفصل الأخير من هذا الكتاب الجانب الحضاري، ومنه النظم في عصر الخلافة، لكنه لم يفصل في مؤسسات الحكم وإدارتها وبخاصة خطة الكتابة.

2- "قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة"[2] لأحمد فكري. ركّز فيه على التعريف بمدينة قرطبة من الناحية التاريخية والحضارية، كما أشار إلى الأبحاث الأثرية المتعلقة بهذه المدينة ولقد استفدت من كتابه في الفصل الذي خصصه التعريف بقصر الخلافة- القصر الكبير- الذي ظل مقرا للحكم في عهود مختلفة من تاريخ الأمويين، والمعروف أن في قسمه الأول الشرقي ضم مجالس الديوان السلطاني. كما أطلعنا على عدة أبواب لهذا القصر فمنها باب السُّدة، الذي ينفتح مباشرة على ديوان الرسائل. كما أشار الكاتب في الفصل الثامن الذي خصصه لنظم الحكم والخدمة إلى الخطط الكبرى الهامة في الأندلس ((خطة الرسائل)) هذا ولقد أتبعها بذكر بعض الرسوم المتعلقة بها كإصدار صك التعيين والاختبار، وكذلك رسم

[2] تحقيق، إليفي بروفنسال، القاهرة، 1937 م .
[1] مكتبة الخانجي، القاهرة، ، د ت.
[2] مكتبة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ت .

اصطناع أصحاب الخطط من بيوتات الأندلس المشهورة في الخدمة لدى الأمويين، لكنه كان مختصرا في معلوماته فهي لا تتجاوز فقرة أو فقرتين.

3- "نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس" لسالم عبد الله الخلف، إذ قدم مادة علمية دسمة ومتنوعة بين الأحداث التاريخية والحضارية، فعرف بالخطط ورسومها، وكانت خطة الكتابة وديوان البريد من ضمنها، وبالرغم من أنها كانت مقتضبة لكنني اعتمدت عليها في إزالة بعض الغموض.

كما استعنت بكتب تاريخ الأدب الأندلسي التي أفادتني كثيرا وكان أهمها: - كتاب أحمد هيكل **"الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة"**، وكتاب إحسان عباس **"تاريخ الأدب لأندلسي عصر سيادة قرطبة"**، وكلا الكتابين استعنت بهما في معالجة نصوص المكاتبات السلطانية والتطور التاريخي وإتجاهاتها الأدبية والفنية وأهم مؤثرات المدارس الأسلوبية المشرقية التي ساهمت بشكل أو بآخر في بلورة أنساق صيغ موضوعات الخطاب السلطاني. كما تبين من خلال هذين المرجعين أثر الاتجاهات الفنية المشرقية فيما يكتبه أندلسيو القرن الرابع والخامس الهجري،وكيف تدرجت نحو القالب الفني الذي أكسبها مميزات الخصوصية والاستقلالية .

- أما كتاب علي بن محمد **"النثر الأندلسي في القرن الخامس الهجري، مضامينه وأشكاله"** قد أفاد البحث في الدراسة العمودية التي بفضلها اتضحت الخصائص الفردية لكل جنس من أجناس النصوص السلطانية واعتمدته فضلا عن ذلك في الدراسة الأفقية التي بفضلها استجليت طبيعة النسيج الفني الذي يرتكز عليه النثر السلطاني لتلك المكاتبات.

وتتصدر دراسة ليفي بروفنسال E Levi Provençal حول "تاريخ اسبانيا الإسلامية" : (Histoire de l’Espagne musulmane) باقي الدراسات الأجنبيةو الاستشراقية التي اهتمت بهذا الطرح. وقد استفدت كثيرا من هذا الكتاب وخاصة الجزء الثالث منه، حيث تناول صاحبها جوانب من حضارة الأندلس وبشكل موسع عن عصر الخلافة بحيث تضمن التنظيم الاقتصادي والعسكري، والحياة الاجتماعية العامة والخاصة بالبلاط الخلافي، خصص الجزء الأخير منه للتنظيم الإداري، فذكر ديوان الكتابة وديوان البريد، ومظاهر رسومها، وكان الجانب المهم في هذا الكتاب أنه اعتمد كليا على أمهات مصادر التاريخ الوسيط الإسلامي.

استندت في هذه الدراسة على مجموعة من المناهج نظرا لطبيعة الموضوع كالمنهج التاريخي الذي عادة يستعمله الباحثون في التاريخ، إذ جمعت النصوص السلطانية لعصر الخلافة وقمت بفحصها وترتيبها كرونولوجيا. ولقد بذلت الجهد في تفسيرها والسعي في تفكيكها وربط قرائنها عن طريق المنهج التحليلي الذي يتخطى الجانب الشكلي من الكتابات السلطانية إلى مستوى العمق والدقة، وساعدني في ذلك المنهج الحفري (الأركيولوجي) أي حفر معرفة المادة العلمية لتلك النصوص لإزالة الغموض الذي يكتنف بعض حقائق هذا الموضوع الدقيق، والتي عادة لا نستطيع رؤيتها إلاّ عن طريق هذا المنهج. وهذا المنهج مكمل للمنهج التحليلي والذي بفضله استطعت استجلاء القيمة التوثيقية التي تضمنتها أسطر نصوص تلك المكاتبات السلطانية.

هذا وقد استعملت المنهج المقارن للمطابقة واستخلاص ما هو خاص، وما هو مشترك عام من حيث الاختلاف والتشابه بين مختلف النظم في المشرق والأندلس، لأن هذه البلاد مثلت جسر عبور وملتقى العالم الإسلامي والعالم الغربي الأوربي المسيحي، ولقد أكسبهاهذا التقاطع خصائص التميز والتفرد في الكثير من مظاهر حضارتها. كما زاوجت بين منهج المقاربة والإسقاط لأجل شرح وتوضيح بعض المعلومات التي هي في العادة غير متوفرة في المصادر التاريخية المحلية للأندلس. هذا والجدير بالملاحظة أن ارتكازي على هذا المنهج وظفته في كثير من الأحيان على النظم المشرقية، لأنها اشتركت مع الأندلس شكلا ومضمونا ضمن قواسم روافد موروث الحضارة الإسلامية على وجه الخصوص. أما المنهج الوصفي فقد استعملته عند تناولي للمظاهر الحضارية لخطة الكتابة السلطانية وما يتبعها من وسائل مادية ورسوم وتقاليد، والتي لا يكتمل رسمها المعرفي إلاّ عن طريق الوصف.

قبل أن يخرج هذا البحث بالصورة التي هو عليها، اعترضتني صعوبات كثيرة مختلفة العوامل والأسباب عرقلت سير هذا البحث بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. فمنها ما يرجع لطبيعة الموضوع كونه يتناول النظم الإدارية في القرون الوسطى والتي في العادة يكتنفها الغموض والالتباس وكذلك صعوبة التحكم في بعض المصطلحات الخاصة بالنظم الإدارية لخطة الكتابة السلطانية التي انفردت بها بلاد الأندلس، وذلك في غياب المصادر والدراسات المتخصصة الدقيقة عن تاريخ المؤسسات للخطط (النظم) وإدارتها. فبالرغم من أن المصادر

الأندلسية تزخر وتجود بالعديد من أسماء الخطط السلطانية، لكنها في مقابل ذلك تكاد تكون خالية من أية إشارة للنظام الإداري لتلك الخطط.

إلى جانب هذا، عدم تمكني من الحصول على بعض المصادر المهمة مثل كتاب: الحميدي: "تسهيل السبيل في تعليم الترسيل"، وكتاب أبي القاسم محمد الكلاعي: "إحكام صنعة الكلام"، وكتاب أمين الدين أبي قاسم (ابن منجب الصيرفي): "القانون في ديوان الرسائل"، وكتاب "طبقات الكتّاب" ليزيد محمد بن موسى بن هشام النحوي المعروف بالأفشين.

ومن الصعوبات كذلك أن نصوص الكتابة السلطانية كانت مبعثرة ينعدم فيها التنظيم والتصنيف الأرشيفي فطبيعة مادة الموضوع ارتكزت بالأساس على نصوص الوثائق الرسمية الصادرة عن ديوان الكتابة العليا للخليفة. كما أن غياب دور المحفوظات الأرشيفية لمعالجة مثل هذا الموضوع، يطرح إشكال الأمانة العلمية في نقل النص الأصلي لهذه الكتابات، وبخاصة إذا ما كانت تخص الجانب السلطاني، لأن المادة التوثيقية لهذه النصوص، جمعتها كلها من المصادر التاريخية وهي بالتالي كانت عرضة لميول وأهواء كتابها، وكان لتعدد الطبعات مختلفة التحقيق جعل بعض النصوص تعرف الاضطراب بل والسقط التصحيف والتحريف. بالإضافة إلى هذا كثرة الأعلام التي احتواها النص السلطاني مما أجهدني سعيا لإيجاد تعريفات وتراجم لها، كما شتت وقت واتجاه مسار البحث في أغلب الأحيان. هذا بغض النظر عن تنقلاتي بين المكتبات الوطنية لكل من مدينة وهران وقسنطينة والجزائر العاصمة حيث اطلعت في مكتبة الحامة على بعض المخطوطات. كل ذلك من أجل جمع المادة العلمية لهذه الدراسة.

رغم ذلك كان عليّ أن أتحلى بالصبر وبذل الجهد الكبير للتغلب على هذه الصعوبات محاولة قدر الاستطاعة الوصول إلى أفق هذا البحث وإخراجه في صورته العلمية.

وفي الأخير ينبغي أن أوجه شكري في مثل هذه اللحظات الهامة من عمر هذه الرسالة إلى كل من ساعدني في إعداد هذا البحث وزودني بالمعلومات والتوجيهات ، وأخص بالذكر الدكتورة الفاضلة فاطمة بلهواري التي أشرفت على هذا البحث، لما قدمته لي من كتب وملاحظات دقيقة وإرشادات سديدة، عبر أحاديثها الشفوية أو تعليقاتها الكتابية، كذلك أقدم شكري لكل من أساتذتنا الكرام الأفاضل، وأخص بالذكر كل من الأستاذين الكريمين الدكتور غازي جاسم الشمّري الذي ساعدني و ساندني كثيرا ووقف الي جنبي و فتح لي داره

ومكتبته الغنية التي أفادتني كثيرا ولم يبخل عليا بارشاداته القيمة ووقته الثمين من أجل اخراج هذا المشروع ، وكذلك الأستاذ الدكتور عبد القادر بوباية الذي فتح لي الباب من جديد لكي أكون من بين دفعته الأولى لمشروعه القيّم الذي أخصه حول "تاريخ وحضارة بلاد الأندلس" بالإضافة إلى إعارته لي الكتب والنصائح السديدة.

وفي الختام لابد من الاعتراف، أن الخوض في أي موضوع لا يسلم من نقص، وبالتالي سيكون لجلسة المناقشة دورا في تصويبه ،وبذلك تكون الفائدة مرجوة. ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر والامتنان لأعضاء لجنة المناقشة الموقرة على جهدهم وصبرهم لقراءة وتصويب وتقويم هذه الرسالة.و الله هو الموفق .



الفصل التمهيدي

ملمح تاريخي حول الكتابة السلطانية في عصر الإمارة الأموية بالأندلس (*138-316هـ/756-929*م)

أولا: دلالة مصطلح الكتابة السلطانية وأدواتها

ثانياً: عوامل تطور الكتابة السلطانية في عصر الإمارة الأموية بالأندلس (138–316هـ/756-929م)









أولا: دلالة مصطلح الكتابة السلطانية وأدواتها

الكتابة* أداة استعملها الإنسان لينقل إلى ما سواه ما لديه من أفكار ومعارف. واختراعها كان أبرز مظاهر الحضارات الباكرة التي سادت في القديم. لقد كانت مدركات الشعوب اتجاه الكتابة جليلة، كما أصطبغتها بصفات الألوهية وقدستها(1)، وجعلت منها أداتها الرسمية دونت بها تشريعاتها العقائدية ونظمها السياسية والإدارية. وتبقى الكتابة أعظم ما أنتجه عقل الإنسان، فباختراعها كان بداية تاريخه الحقيقي(2)، كما كانت ثورة حضارية(3) ارتقت بالإنسان إلى مستويات عالية اختزلت بها مجازات التعبير **الثقافي** في المجتمعات البشرية التي منحتها الهوية والقومية.

1- دلالة مصطلح الكتابة السلطانية:

أثبتت الدراسات المتعلقة بتاريخ الكتابة وأهمها الإبيغرافيا** (Epygraphy) والباليوغرافيا ***(Paléography) أن الكتابة العربية هي نتاج خبرة معرفية تراكمية في النسق

---

*لكتابة: في اللغة، من كتب، وكتبه، بمعنى خطبه، والكاتب اسم لما كتب مجموعا. الإمام أبو بكر بن محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي: أدب الكتّاب، شرح و تعليق أحمد حسن لبج، دار الكتب العلمية بيروت ط1، 1415هـ/ 1994م، ص 114؛ ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم: لسان العرب المحيط، قدمه العلامة الشيخ العلايلي، إعداد وتصنيف يوسف خياط، ، دراسات العرب، بيروت ،دت، ج 2، ص118، لأنه يجمع الحروف، وسميت الكتيبة، كتيبة لأنها تجمع الجيش . شهاب الدين أحمد بن عبد الله النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للنشر كوستا توماس وشركاؤه، القاهرة د، ت، ج7، ص1 .
اصطلاحا: يرتبط هذا المعنى بتاريخ الكتابة، و بعلاقة اللغة بالحياة أي علاقة اللفظ المصور بالحروف بالشيء الذي يدل إليه إسماعيل أحمد علي وفكتور الكك: صناعة الكتابة، دار السؤال بدمشق ، ط4، 1401هـ/ 1981م، ص35 . وفكرتها الأولى تعود إلى النصف الثاني من الألف الرابعة قم .نشأت في مهد بلاد الرافدين و تحديدا في مدينة سومر(Sumer) فلقد أظهرت التنقيبات الأثرية الحديثة بأنها كانت أقدم المدنيات الإقليمية نظرا للتطور الذي عرفته هذه المدينة في مجال الكتابة و المعمار الديني، ولقد دلت البقايا الحفرية بأن المجتمع السومري كان متعلم . و خلال الألف الثالثة قبل الميلاد ظهرت الكتابة الهيروغليفية بمصر الفرعونية المتأثرة بالكتابة السومرية .
أرنولد توينبي : تاريخ البشرية ، ترجمة، نقولا زيادة ، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، ط2، 1983. ج1، ص ص 77 83. للمزيد حول هذا الموضوع ينظر العدد الخاص من مجلة: (العلم و الحياة).
Jacques Glassner : Sumer, Comment est née L'écriture, Science et Vie, Hors Série Nº219, Juin, 2002, France, pp 22-38.
Bordas Encyclopédie, Histoire Universelle Le Monde antique, T4, Ed G.L. 1968, Paris, p 32.
ثم انتقلت إلى الفينيقيين الذين طوروها و نقلوها إلى العالم عبر سواحل البحر الأبيض المتوسط
G. Contenan: La civilisation Phénicienne, Ed. Payot, Paris, 1949, p, 21
محمد صغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1979، ص ص 18- 32.
دافيد ديرنجر: متحف الأبجديات، ترجمة: عبد المنعم الصاوي، مجلة اليونسكو، العدد60، سبتمبر 1962، ص8.

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) محمد رجب فضل الله:عمليات الكتابة الوظيفية وتطبيقها وتعليمها وتقويمها، عالم الكتب القاهرة، ط1، 1423 هـ/2003 م، ص1.

(3) دافيد ديرنجر، المرجع السابق، ص6.

** الإبيغرافيا Epygraphy : هو علم فك رموز الكتابات القديمة ، .المرجع نفسه، ص8.
Grand Dictionnaire Encyclopédique Larousse, Librairie Larousse, Montparnasse, Paris 6º, pp 3548-3549.

*** الباليوغرافيا Poléography: هو علم قراءة و تفسير النصوص القديمة المنقوشة على الأجسام غير الصلبة كالجلود، و أوراق البردي والورق، والأقمشة والشمع . دافيد درينجر: المرجع السابق، ص8.ولقد أحدثت دراسات الإبيغرافيا ثورة في معارف العالم القديم، كما أدت إلى اكتشاف حضارات بأسرها و تنظيم معارفها حتى كونت وحدة متكاملة. أما دراسات الباليوغرافيا، فكانت ذات أهمية عظمى لدراسة التاريخ القديم و تاريخ العصور الوسطى. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الحضاري. وما احتفالية سوق عكاظ والمعلقات إلاّ شكلا يعكس أنماط الثقافة التواصلية والواقع المعاش. وعلى هذا الأساس فإن الإسلام لم يبدأ من الصفر بل كانت ثمة أجواء ملائمة وبطانة معرفية حاضنة لرسالته، ومن نافلة القول أن يعتبر أهل قريش أمة أمية*، إن العمق الفكري والأسلوب البليغ الذي تضمنه القرآن الكريم يعني أن هناك من يفهمه و يحمل رسالته.

ازداد شأن الكتابة بالإسلام لقد شرفها القرآن في الكثير من آياته الكريمة خاصة عندما وصف بها ملائكته في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[1] الأمر الذي جعل صناعة الكتابة** ((أي العلم المحيط)) كما يسميها اليونانيون[2]. والكتابة السلطانية*** هي إحدى أنواع صناعة الكتابة التي نالت اهتماما واسعا من لدن اللغويين والعلماء.

رغم أنّ هذه الدراسات التي تناولتها كانت واسعة فضفاضة يصعب التحكم في دقة شموليتها سأحاول حسب منهج يجمع معنى مصطلح الكتابة السلطانية عند الكتاب المتقدمين والمتأخرين على حد سواء آملة بذلك الوصول إلى تعريف هذا المدلول من زوايا عديدة.

ويأتي كتاب صبح الأعشى للقلقشندى في طليعة كتب المتقدمين التي درست هذا النوع من الصناعة دراسة شاملة. فلقد أدرجها ضمن الكتابة الديوانية قائلا: « وصل طناعة

---

* (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِين) سورة في الجمعة الآية رقم 2: قال القرطبي: « قال ابن عباس: « الأميون هم العرب كلهم، من كتب منهم ومن لم يكتب؛ لأنهم لم يكونوا أهل الكتاب" وليس للفظة الأمية صلة بالأمية التي تعني الجهل بالقراءة و الكتابة»أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)، مطبعة دار الكتب ، القاهرة، ط1368هـ/1949م، ج18، ص91 .بخصوص فكرة الأمية عند عرب قريش، ينظر الشيخ محمد الحضري، محاضرات في تاريخ الأمة الإسلامية : الدولة الأموية دار المعرفة، بيروت. ط7، 1422هـ 2001 م . ج1، ص 48.

(1) سورة الانفطار: الآيتين: 10- 11.

** صناعة الكتابة: تعني صناعة المعاني والألفاظ. عبد الواحد حسن الشيخ: صناعة الكتابة عند ضياء الدين ابن الأثير، مكتبة ومطبعة القاهرة ، ط1، 1419هـ/1999 م، ص 43. و تكسب صاحبها عقلا وعن طريقها تحصل ملكة لانتقال من الأدلة إلى المدلولات، وهي ملكة من التنقل تفيد كمال العقل ومزيد فطنه. أبو عبد الله بن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق علي سامي النشار، دار الحرية والنشر، بغداد، ط 1357هـ /1977م، ص 333. أما الأمير عبد القادر الجزائري فيضيف قائلا :« و من المعلوم أن البيان بيانان اثنان: بيان اللسان و بيان البنان» . ذكرى العاقل و تنبيه الغافل. الكتاب موجود في مكتبة الأرشيف ولاية. قسنطينة برقم 200. ص 112-113.

(2) محمد مسعود جبران : فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب (المضامين و الخصائص الأسلوبية) دار المدار الإسلامي، بنغازي ، ط1، 2004 م ، ج 2 ، ص 404 .

*** السلطاني: نسبة إلى السلطان وهو من ألقاب الملوك يثني قي ألقاب المقام الشريف ونحوه فبقال :المقام الشريف العالي السلطاني. ابو العباس احمد بن علي القلقشندى:صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، مطابع كوستا توماس و شركائه ، الطبعة الأميرية، ج6، ص15 . منذ بداية ظهور الإسلام استخدمت الرسائل فالرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يراسل أول الأمر في الداخل و الخارج للدخول في دين الإسلام، و كان من الطبيعي أن يستخدم كتّابا وعن اسماء بعض من كتبوا له ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري : كتاب الوزراء و الكتاب، تحقيق، مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة/ شركة ومكتبة مصطفى الباي الحلبي و أولاده ،القاهرة، ط2 ، 1401ه/ 1980م . ص ص12 -13. القلقشندي: المصدر السابق، ج1 ص، 40. استخدم الخلفاء الراشدون من بعده كتّابا حتى جاء عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان(41-60هـ/661 -701م) الذي زاد في قدرها « فتنبه قوم بالكتابة بعد الخمول ، وصاروا إلى الرتب العلية المنازل السنية ».المصدر نفسه ،ج1 ص 40. مصطفى بركات: الألقاب والوظائف دراسة في تطور الألقاب والوظائف (من خلال الآثار و الوثائق و المخطوطات(1517- 1924م)، دار غريب، القاهرة ، ص33. محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983، ص 139.

الإنشاء لسان : خاص يستعمله أهل الديوان و يتلفظون به وهو كتابة الإنشاء، وعام يتلفظ به عامة الناس وهو التوقيع* ».[1] و في سياق تعريفه أضاف بأن كاتب الإنشاء يعمل على تأليف الكلام وترتيب المعاني من المكاتبات والولايات، والمناشير والإقطاعات، والهدن، والأمانات، والإيمان وغيرها[2]. فكتابة الإنشاء هي إذا الكتابة السلطانية لأنها تختص بمكاتبات شؤون السلطة ونظام حكمها، ويؤيد رأيه أبوهلال العسكري قائلا:« أما الكتابة فعليها مدار السلطان ».[3]

لم يختلف منهج العلامة ابن خلدون في معالجته للكتابة, بحيث وضعها في إطار الديوان مع ما يوافق تطور هذه الوظيفة الإدارية في النظم الإسلامية حسب متطلبات وحاجات السلطان[4]. أما عن أسلوب وبلاغة الكتابة السلطانية فلها ما يميزها, فهذا الحميدي صاحب كتاب "تسهيل السبيل إلى تعليم الترسيل" فرق بين الرسائل الرسمية الأدبية، إذ جعلها في ثلاث أقسام منها: « سلطانية لا هزل فيها، إخوانية تنقسم إلى جد وهزل، ورقيق وهي رسائل المتغزلين وهي غزل محض»[5].

وفي هذا الصدد انتقد العلامة ابن خلدون كتّاب السلاطين لعصره لاستخدامهم الأساليب الشعرية لأن تلك الأساليب فيها اللذوعية والخلط بين الجد والهزل، وهذا مذموم لأنه يتعارض مع أسلوب خطاب الجمهور عن الملوك الذي يجب أن يكون بالترغيب والترهيب، والمحمود في المكاتبات السلطانية أسلوب الترسل ليطابق مقتضى الحال[1].

---

*التوقيع:« يقال وقعت في الشيء أوقع توقيعا وكتاب موقع فيه، ورجل موقع» الصولي: المصدر السابق، ص137. وهي من خطط الكتابة، وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه ويوقع بعبارات موجزة بليغة على القصص المرفوعة للفصل فيها. ابن خلدون: المقدمة،دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1413هـ/1993م، ص193. وقد سمّوا الشكاوى والظلمات بالقصص لما تحكى من قصة الشاكي و ظلامته، وسموها بالرقاع تشبيها لها برقاع الثياب. وكان جعفر البرمكي (الكاتب الوزير) قد اشتهر بمجموعة من التوقيعات التي امتازت بدقة الأسلوب و العمق في المعنى و الإعجاز في الإيجاز و الإحاطة بالغرض . مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه، دار العلم للملايين بيروت، 1974م، ص382 .فقد كان يوقع القصص بين يدي الرشيد و يرمي بالقصة إلى صاحبها للوقوف فيها على أساليب البلاغة و فنونها حتى قيل أنها كانت كل قصة منها تباع بدينار.ابن خلدون: المصدر السابق ،ص 193 . وروى عنه بأنه وقع في ليلة واحدة بين يدي الرشيد أكثر من ألف توقيع و لم يخرج منها على موجب الحق. الجهشياري: المصدر السابق، ص 204.

(1) القلقشندى: المصدر السابق ج1، ص 52.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص.ص51- 54.

(3) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري :كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ،مكتبة عيسى البابي الحلبي و شركاؤه ، القاهرة ، 1971م،ص، 142.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق:ص، 192 . ينظر ، ابن الأحمر اسماعيل بن يوسف بن محمد: نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، تحقيق، محمد رضون الداية ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 1 ، 1967 . ص ص 152-153 .

(5) الحميدي: تسهيل السبيل إلى تعليم الترسيل، نقلا عن الطاهر محمد توات: أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م . ص ص 82 -83.

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ص487 . وينظر ابن الأحمر : المصدر السابق، ص ص 152-153.

وبهذا فرأيه يتفق فيما ذهب إليه الحميدي. وعن مكانتها وصفها أبو منجب الصيرفي قائلا:« الكتابة الجليلة قدرا، السمة ذكرا، الرفيعة شأنا، العليا مكانا، التي هي كتابة حضرة الملوك المشتملة على الإنشاء إلى ملوك الدول»[2].وتأتي الكتابة من حيث المركز بعد الخلافة لأن بها تستقيم أمور السياسة والحكم[3].

وبالمثل، حظيت الكتابة السلطانية باهتمام بعض الدراسات الحديثة، فهذا الأديب عبد الحميد جيدة يفرق بين أنواع الكتابة المختلفة حسب طبيعتها الثقافية والعلمية، لأن لكل شكل من أشكال الكتابة قواعد وقوانين وقاموس لغوي من حيث الأسلوب والصياغة [4]. وفي رأيه الكتابة نوعان: النوع الفني الإبداعي الذاتي الذي لا يخضع لقوانين والآخر كتابة رسمية وظيفية تلبي حاجات مؤسسات الدولة، وهي كتابة قائمة على المباشرة وقطعية الدلالة[4]، وأضاف أنها تقريرية إعلامية [5]. أما المؤرخ الجزائري عطاء الله دهينة فقد وضح مضامين الكتابة السلطانية التي تتمثل في تبليغ المعلومات وضبط العلاقات وترتيب المؤسسات الإدارية وتنظيم الحكم، وبذلك فهي تشمل كل المراسلات والوثائق ذات الطابع الرسمي، وكذا مكاتبات ضبط العلاقات الخارجية أي الدبلوماسية[6]. أما الأديب علي بن محمد فيدرجها ضمن النثر الديواني ويعرفها قائلا: « هو كل إنشاء ذي طابع رسمي يصدر عن إحدى مصالح الدولة المركزية بهدف تبليغ المعلومات، أو ضبط علاقات الحكم من داخل البلاد أو خارجها »[7]. وفي السياق نفسه تناول الأديب الطاهر محمد توات معنى الكتابة السلطانية، مفادها آن هذه الرسائل لها شقان: الأول موضوعي تنظيمي إداري يعتني بالشؤون العامة والخاصة للولاة، والثاني أدبي خالص في استخدام القواعد الفنية وما يتعين من أساليب البلاغة والبيان لانتقاء فصيح الألفاظ لكي توافق مقتضى الحال[1].

---

(2) أبو القاسم علي بن سليمان بن منجب ابن الصيرفي قانون ديوان الرسائل : نقلا عن محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الفاطمي الكتابة و الكتاب ،منشأ المعارف بالإسكندرية، 1995م،ص380.

(3) القلقشندى :المصدر السابق،ج1،ص 37.

(4) عبد الحميد جيدة: صناعة الكتابة عند العرب، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م، ص 129.

(4) المرجع نفسه، ص111.

(5) نفسه، ص 117.

(6) Atallah D ‘ hina : les états de l'occident Musulmans (aux XIII^{eme} et XV^{eme} siècle, institutions gouvernementales et administratives, OPU, Alger, ENAL, 1984, pp, 136-151.

(7) علي بن محمد: النثر الأندلسي خلال القرن الخامس هجري، مضامينه وأشكاله، دار الغرب الإسلامي. بيروت، ط1، 1990م،ج1، ص 213.

(1) الطاهر محمد توات: المرجع السابق، ص 165.

ويعرفها الأديب أحمد الشائب بقوله: « هي ما تصدر عن الدواوين، الخاصة بشؤون الدولة ومصالحها، تيسرا للعمل وتثبيتا للنظام العام، ويغلب على هذا النوع من الكتابة الدقة والسهولة في التعبير والتقيد بالمصطلحات الحكومية والفنية[(2)].

وهكذا تتفق مجمل هذه التعريفات من أقوال القدامى والمحدثين من الكتاب حول و معنى ماهية الكتابة السلطانية بصفة عامة كشكل ومضمون دلالي. وعليه فوجه تقاطع هذه الآراء يثبت أن الكتابة السلطانية هي كتابة صادرة عن الحكام والسلاطين، تهدف بالأساس إلى التبليغ والإعلام بهدف ضبط علاقات السلطة المركزية ووضع ترتيبات إدارة نظام حكمها.

نالت الكتابة السلطانية عناية خاصة تجلى ذلك في مظاهر الرسوم أي (البروتوكولات Protocoles حسب اصطلاح عصرنا*) التي أحيطت بها، ويعتبر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك** أول من كتب من الخلفاء في طوامير***وأنه أول من أحدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير « قل هو الله أحد »[(3)] ، وأمر بأن تعظم كتبه ويجلل الخط الذي

يكاتب به وكان يقول:«

تكون كتبي والكتب إلي خلاف كتب الناس بعضهم إلى بعض»[(1)]. كما حظيت من قبل كتب السلاطين أنفسهم الذين عملوا على إبراز أهميتها الأدبية والسياسية وكذا الأخلاقية، ويأتي في

---

(2) محمد مسعود جبران: المرجع السابق ، ج1، ص 103.

*بروتوكولات(Protocolaire) تشريفات، عبارة عن ضوابط و تشريفات سياسية، عسكرية، ورسوم متفق عليها تطبع مظاهر العلاقات والاتفاقيات و المعاهدات الرسمية، وثائق، قواعد سلوك اجتماعية. سهيل ادريس و جبور عبد النور: المنهل الوسيط، قاموس فرنسي-عربي. دار الآداب، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1987م، ص 622.

** الوليد بن عبد الملك: هو أبو العباس تولى الخلافة الأموية في المشرق سنة 86هـ 708م. في عهده توسعت الفتوحات منها فتح الأندلس. أحمد بن يحي بن جابر المعروف بالبلاذري كتاب فتوح البلدان نشره تحقيق، صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.دت، ج1، ص 273 .

***الطومار: صحيفة أو ورقة ملفوفة و لا يكتب على ورقة الطومار إلا بقلم الطومار: وهو خط مبسوط كله ليس فيه شيء مستدير وهو أصل كوفي و به كتبت مصاحف المدينة الأولى .عفيف البهنسي ـ معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، مكتبة لبنان الناشرون، بيروت، ط1، 1995م، ص 96.

(3) سورة الإخلاص الآية 01. البلاذري المصدر السابق، ج1، ص283 . كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر ويأتي العرب من قبل الروم بالدنانير فكتب إليه ملك الروم (دوميتيانوس Dominitien) حكم 81م-96 م.رغم أعماله الإدارية المتميزة، لكنه اشتهر بمحاربته للديانة المسيحية وتابع بقتل معتنقيها . مات مقتولا في قصره «إن أحدثتم في قراطيسكم كتابا نكرهه، فإن تركتموه و إلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه » فكره عبد الملك سنة حسنة سنها، فحرم التعامل بدنانيرهم، وضرب الدنانير الإسلامية . البلاذري المصدر السابق ، ج1، ص283.

Bordas, Encyclopédie, opcit, T4, p, 97.

(1) الجهشياري: المصدر السابق، ص 74.

مقدمة هؤلاء عبد الحميد بن يحي الكاتب* الذي يعتبر من بين الذين نظروا للكتابة السلطانية فلقد وضع" رسالة إلى الكتاب"** ومما جاء في هذه الرسالة «فجعلكم معشر الكتاب في أشرفها صناعة،...بكم ينتظم الملك، وتستقيم للملوك أمورهم، وبتدبيركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم ويجتمع فيهم، وتعمر بلادهم ...، فموقعكم منهم موقع أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون... »(2).

لقد أرسى عبد الحميد الكاتب من خلال هذه الرسالة منهجية الأطر القيمية لصناعة الكتابة السلطانية وقواعد آدابها السلوكية والأخلاقية فأصبحت بمثابة قانون مرجعي لصناعتها(3).

ولقد صرح القلقشندي في الفصل الذي عقده لآداب الكتّاب الخلقية فقال: « أصل هذه الآداب الذي ترجع إليه، وينبوعها الذي انفجرت منه، رسالة عبد الحميد بن يحي الكاتب، التي كتبها إلى الكتّاب يوصيهم فيها»(4).

كما وضع لأجل الكتابة العديد من المؤلفات منها كتاب بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات' جاء في مقدمته«وبعد، هذه إشارات يسيرة وعبارات قصيرة، وضعتها للمكاتبات، وهذبتها بالمراسلات، والتي يحتاج إليها أصحاب أرباب الفضائل، خصوصا من كان ابتلي بكثرة الرسائل، أو خدم الملوك والحكام، لاسيما أرباب الأقلام »(1).

أما عن أدواتها التي بفضلها يتم إخراج النص السلطاني وتبليغه، فسأركز على أهمها.

2-أدوات الكتابة:

---

* هو عبد الحميد بن يحيى مولى الأمويين (ت132هـ/750 م) ، أشهر كتاب العصر الأموي، بالمشرق أصله فارسي من الأنبار، التحق بديوان الرسائل في عهد هشام بن عبد الملك ، ثم تقلد رياسة الديوان الرسائل في عهد الخليفة مروان بن محمد بقي مخلصا له حتى قتل على يد العباسيين. أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي : المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة شفيق محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة ، القاهرة .1381هـ/1961م، ص88. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان" تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ،دت ، م1، ص 307 .= = أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، العصر العباسي الأول، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ط1، 1356هـ/1937م، ج2، ص 543.

** جاءت هذه الرسالة كاملة في كتاب الجهشياري: المصدر السابق ، ص ص، 74 - 79 كما أوردها، القلقشندى: المصدر السابق ، ج1 من ص 85 إلى 89 ؛ وكذلك جاءت في مقدمة ابن خلدون من ص 194 إلى 96 ، مع بعض الاختلافات.

(2) الجهشياري: المصدر السابق، ص 74 .

(3) أحمد زكي صفوت: المرجع السابق ، ج2، ص 543.

(4) القلقشندي : المصدر السابق، ج1، ص85.

(1) مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي: بد يع الإنشاء والصفات في المكاتبات و المرسلات. مخطوطة رقم 1901، المكتبة الوطنية، الجزائر، و 1 . وسيظهر البعض من عناوين هذه المؤلفات التي اهتمت بالكتابة الإنشائية ضمن هذه الدراسة.

أصبحت الكتابة إحدى مستلزمات الدولة الإسلامية وكان لفتوح البلدان أثره في تطور أدواتها عن مرحلة ما قبل الإسلام[2]، ففي عصر الخلافة الأموية أصبحت مكاتباتهم على البردي* [3]، وكان يعمل منه القرطاس وكانت أحسن ما كتب فيه[4] ولقد كثر استعمال القراطيس إلى درجة أنها ضاقت بها رفوف دواوين الخلفاء[5]، وعوض بالورق** الذي كتبت فيه رسائل السلطان وصكوكه***، واستعمله الناس من بعده صحفا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية[6]،بعد ذلك انتقلت صناعة الورق من العراق والشام نحو مصر والقيروان، ثم انتشرت في بلاد الأندلس، فاشتهرت بعض المدن بصناعته منها مدينة شاطبة على وجه الخصوص إذ كان يعمل الكاغد (الورق) الجيد فيها، ومنها يعمل إلى سائر مدن الأندلس[7]. كما راجت صناعة الورق في كل من طليطلة وبلنسية وعن طريق هذه المدن انتقلت هذه الصناعة إلى أوربا[8].

ويأتي القلم في مقدمة الأدوات التي يكتب بها، فلقد استعملته العرب في كتابتهم منذ الجاهلية[1] وفي العصر الإسلامي يورد القرآن الكريم لفظ القلم في أول آية أنزلت، يقول جلت قدرته :﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾[2]. كما أولى الخطاطون والكتاب هذه الأداة وخصّوها بعناية بالغة منهم التوحيدي الذي وضع للقلم مواصفات دقيقة في اختياره حيث قال: «وخير الأقلام ما استمكن نضجه في جرمه، وجفّ ماؤه في قشرته، وقطع بعد إلقاء بزره،

---

(2) عن أدوات الكتابة في العصر الجاهلي ينظر: عبد الستار الحلوجي: المخطوط العربي، مكتبة مصباح، الرياض، ط2 1409هـ/ 1989م،ص 22 وما بعدها.

* البردي: (بابيروسPaper)اخترع المصريون القدماء ورق البردي وهو مادة صالحة جدا للكتابة صنعها المصريون من لبّ سيقان الطويلة لنبات البردي الذي يكثر في مستنقعات الدلتا. و جمع نبات البردي وصنعه ورقا. عفيف البهنسي:المرجع السابق ، ص 14. كما أمكن لصق أوراقها لكتابة النصوص الطويلة. ينظر Bordas Encyclopédie, OpcitT4 p14 .

(3) عبد الستار الحلوجي: المرجع السابق، ص 25.

(4) أبو جعفرمحمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د ت، ج 8، ص 544.

(5) الجهشياري: ا لمصدر السابق، ص 138.

** الورق: وسمي أيضا الكاغد. القلقشندي: المصدر السابق، ج2، ص487 . وتعود صناعة الورق إلى الصينيين فترة ما قبل الميلاد. استعمل العرب صناعة الورق في عهد هارون الرشيد (170-193هـ/ 786- 809م) . الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار الجيل، بيروت ، ط3/ 1417هـ/ 1997م.، ص ص340- 349. فأنشئوا له المصانع في بغداد والشام وغيرها من عواصم الإسلامية. جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ج1، ص ص 250-251.

*** صكوك: جمع صك، وهو الكتاب، وهو فارسي معرب، والجمع أصك وصكاك، وله معنى آخر الصفع. القلقشندي، المصدر السابق، ج10، ص299.

(6) ابن خلدون : المصدر السابق، ص 334 .

(7) ياقوت الحموي شهاب الدين البغدادي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت لبنان، ط1984م، ج 3، ص 253.

(8) جرجي زيدان: المرجع السابق،ج 1،ص، 251.

(1) محمد بن اسحاق ابن النديم: الفهرست، تحقيق، مصطفى الشويحي الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م، ص 57 وص ص، 64- 65

(2) سورة العلق الآية 3ــ 4.

وصلب شحمه وثقل حجمه،...والقلم المحرف يكون الخط به أضعف وأحلى، والمستوي أقوى وأصفى، والمتوسط بينهما يجمع أحد حاليهما، وما كان في رأسه طول، فهو يعين اليد الخفيفة على سرعة الكتابة، وما قصر بخلافه »[3]. أما ابن مقلة* فقال في تحضير القلم:«خير الأقلام ما كان طوله من ستة عشر إصبعا إلى اثني عشر، وامتلاؤه ما بين غلظ السبابة إلى الخنصر، وهذا وصف لسائر أنواع الأقلام على اختلافها»[4].

ارتقى القلم وتدرج مع مراتب الخطط السلطانية وتلقب بألقاب اختصاصاتها الإدارية، فقلم الرياسي تحرر به كتب السلطان[5]. و خصص للملوك قلم الجليل ويعرف بقلم الطومار[6]. أما المكاتبة من الوزراء إلى العمال فبقلم الثلث، ومن الوزراء إلى السلطان بقلم المؤامرات، أما قلم الرقاع صغير الثلث فيكتب به على الرقاع والحوائج والظلمات[7] وقلم الحلية وغبار الحلية ويسمى كذلك قلم الجناح للأسرار، وكتبه تنفذ على أجنحة الأطيار الحمام[1]، وقلم السجلات تكتب به الأئمة[2]، أما قلم الأشرية فقد خصص للأمور التي يكتب بها عتق العبيد وشراء الأراضي والديار[3].

وفي الأندلس حظي القلم بالألقاب الفخرية المرتبطة بالمراتب السلطانية، فكان يطلق على رئيس ديوان الكتابة العليا ب"قلم بني أمية العظيم "أو صاحب قلم بني أمية الأعلى[4]. كما

---

(3) علي بن محمد بن عباس أبو حيّان التوحيدي: رسالة في علم الكتابة، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1421هـ/ 2001م، ص7.

* ابن مقلة: هو أبو علي بن محمد بن علي بن مقلة(272-328 هـ / 884 - 939م)، الكاتب و الخطاط المشهور ابن النديم : الفهرست، المصدر السابق، ص 76. أديب وشاعر، أوحد الدنيا في كتابة قلم الرقاع و التوقيعات. استوزره المقتدر العباسي سنة 316هـ/929م،= =والقاهر بالله والراضي بالله، ثم وشي به فقطع هذا الأخير يده اليمنى، فصار يكتب باليسرى؛ مات في السجن .عفيف البهنسي:المرجع السابق ، ص 4.

(4) علي بن مقلة: رسالة ميزان الخط ،نقلا عن المرجع نفسه، ص-ن- من المقدمة.

(5) محمد عبد الله بن السيد البطليوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ/1999م، ج1، ص ص124 - 125. ينظر ابن السماك العاملي الأندلسي: رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، ص ص 47-48.

(6) ابن النديم: المصدر السابق، ص 70. للمزيد عن الأقلام و تارخها ينظر، المصدر نفسه، ص ص، 70-.72 و أنواعها ينظر، عبد الحميد جيدة : المرجع السابق، ص ص 67-72.

(7) البطليوسي: المصدر السابق، ص 125 .

(1) ابن سمك العاملي : المصدر السابق ،ص، 48 .

(2) البطليوسي : المصدر السابق، ص 124 . غازي جاسم مهدي الشمّري: دراسات في النظم الإسلامية، مكتب الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع سيدي بلعباس ، ط1 1424هـ/2002م، ص، 122.

(3) ابن النديم: المصدر السابق، ص 72.

(4) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص 96.

صنعت البلاغة للقلم أعلى المراتب و أخطرها، ومن أجله ألفت مناظرات أدبية بينه وبين السيف[5].

أما الدواة فهي أم آلات الكتابة ، وصفها القرآن الكريم« بالنون [6]»[7]، وكانت تتخذ من أجود العيدان وأرفعها ثمنا مثل الأبنوس* لكي لا يتغير لون المداد، وتحلى بالذهب خاصة إذا كانت لكاتب سلطان أو لوزير[8]. كما كانت تطيب من قبل الكتاب لأنهم يكتبون اسم الله، ورسوله عليه الصلاة والسلام، واسم أمير المؤمنين[9]. والقلم يستمد من الدواة المداد الذي هو «ركن من أركان الكتابة »[10]. وللخط مكانة في الكتابة[11] فهو عبارة عن رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة، بذلك احتل المرتبة الثانية في الدلالة اللغوية[12]. وقيل« الخط لسان اليد »[13]. ولابن البواب* قصيدة في صناعة الخط جاء مطلعها:

يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ التَّحْرِيرِ وَيَرُومُ حُسْنَ الْخَطِّ وَالتَّصْوِيرِ [1]

ولقد عرف الخط الأندلسي أو القرطبي المتطور عن الخط القيرواني المغربي، خاصة في عصر الخلافة التي تنوعت في أشكاله. ومن الخطاطين الأندلسيين ابن مفصل من ملقة كتب سبعين مصحفا كاملا، ولم يكتب غير آيات القرآن[2]. كما اشتهرت مدينة بلنسية بمدرسة خاصة للخطاطين[3].

وصفوة القول، أن الكتابة السلطانية مثلت وسيلة وغاية في آن واحد. فلقد وظفت كأداة لأجل تبليغ أوامر السلطة وكغاية من أجل التراتيب الإدارية لنظام الحكم، الأمر الذي جعلها

---

(5) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 1/ ج1،ط،1، ص402 . ينظر مراتب السيف و القلم في الدولة. إبن خلدون: المصدر السابق، ص 200ـ201.

(6) سورة القلم : الآية رقم 1.

(7) البطليوسي : المصدر السابق، ص، 138.

* من شجرة يقال لها الشيز ، وهذه الشجرة خشبها اسود ومنها الساسم والجوز، يصنع منه القصاع وغيرها. ابن منظور، المصدر السابق، م 8، ص 174.

(8) الصولي: المصدر السابق، ص89. القلقشندي: المصدر السابق، ج2، ص، 478. عفيف البهنسي: المرجع السابق ص، 138.

(9) القلقشندي: المصدر السابق، ج2، ص، 480.

(10) المصدر نفسه، ج2 ،ص، 473.

(11) التوحيدي : المصدر السابق، ص 9 .

(12) ابن خلدون: السابق، ص، 333.

(13) ابن سمكاك العاملي : المصدر السابق ، ص، 50.

* ابن البواب علي بن هلال أبي الحسن توفي سنة 413هـ/ 1022م . خطاط بغدادي كان شاعرا و كاتبا، عمل بتزويق البيوت، ثم انتقل إلى رسم وتذهيب ختمات المصاحف، فرسخ ما كان ابن مقلة قد ابدعه خاصة قلم النسخ وقلم التوقيعات، وأحكم المحقق وحرر قلم الذهب وأتقنه، وأبدع في الرقاع والوشي برد الحواشي، وعدل غالب الأقلام التي وضعها ابن مقلة وجعلها أكثر طلاوة وبهجة، كتب ابن البواب 64 مصحفا، وتخرج من مدرسته العديد من الخطاطين، يوجد مصحف واحد في دبلن. عفيف البهنسي : المرجع السابق ، ص ص، 3--4.

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ص، 332-333 .

(2) عفيف البهنسي : المرجع السابق، ص 4.

(3) عفيف البهنسي : الخط العربي أصوله، نهضته ، انتشاره ، دار الفكر، دمشق ، ط1، 1404هـ/1984 م ،ص،97..

تساير الفتوحات الإسلامية، وستكون بلاد الأندلس إحدى محطاتها التي ستعرف على أرضها التطور والاستقلالية في ذاتها. وسيكون لحكام الأمويين إبان عصر الإمارة الدور الفعال في بناء أسس نظامها وضبط بلورة معالمها الحضارية، كما سيتبين ذلك لاحقا.

ثانياً: عوامل تطور الكتابة السلطانية في عصر الإمارة الأموية بالأندلس (138–316هـ/ 756-929م)

افتقرت الأندلس إبان فترة حكم الولاة (92- 138هـ/711-756م) إلى الاستقرار السياسي والتنظيم الإداري[4] و«عدم تأثل* الأحوال»[5] مما انعكس على وضعية الكتابة السلطانية التي كانت ناشئة مبتدئة[6] ليست لها تقاليد مرسومة أو قواعد محكمة. ومن عوامل تطورها في عصر الإمارة:

1- آثار الإنجازات العامة لعبد الرحمان الداخل (138–172 هـ/ 756 -788م):

تمت البيعة لعبد الرحمان الداخل كأول أمير أموي في يوم الجمعة من 10 ذي الحجة 138 هـ/756م[1]، وبذلك انتهت فترة الولاة ليبدأ عصر جديد في تاريخ الأندلس الإسلامية[2]. واستطاع هذا الأمير القضاء على حركة العلاء بن مغيث* (144- 146 هـ/761-762م) والتي

---

(4) حسين مؤنس: فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711م- 756م)، دار العصر الحديث ودار المناهل، بيروت ، ط1، 1423 هـ /2002م، ص 642-643.

* تأثل: معناه تأصل وتبث، وتجمع، وعظم، يقال شرف الأثيل، أي أصيل. المعجم الوجيز الميسر، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1 1404هـ/1993م.ص 15.ومن الألقاب التي عرف بها كتّاب السلاطين، كاتب أثيل أي أصيل، القلقشندي: المصدر السابق،ج6،ص ص، 6-7.

(5) المقري: المصدر السابق، ج1، ص، 198. شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين،بيروت ، الطبعة،1 1993م، ص 606.

(6) من بين نماذج الكتابة السلطانية لفترة حكم الولاة ينظر كتاب الوالي عبد العزيز بن نصير(95هـ/717مسنة97هـ/721م) الذي بعثه الى ملك تدمير، أخبار هذا الوالي ينظر ابن عبد الحكم : فتتوح مصر والمغرب والأندلس ، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي القاهرة ،القسم التاريخي ، دت . ص ص 285-287 ، الحميدي :جذوة المقتبس ، ص 225 . أبو عبد محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار:المؤنس في أخبارإفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، الناشر المكتبة العتيقة ،تونس، ط3،1387ه . ص38 ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص ص 23-25 .أما عن نص الكتاب ينظر : أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار و تنويع الآثار و البستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك، تحقيق= =عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية مدريد 1965م، ص ص 4-5. الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، دمشق،طبعة 1967م، ص ص،338-339. الحميري : المصدر السابق،= ص ص 62-63. كما ذكر عند : =Francisco Javier Simonet : Hestoria de Los Mosarabes de Espaňa, Deducida de los Mejores y más auténticos de los Escritores christianos y arabes, Amssterdam oriental pres ed, 1967, p 814.

أما كتاب يوسف بن عبد الرحمان الفهري (129 - 142هـ /747-760م) آخر ولاة الأندلس و الذي اتسم بالترغيب بعثه لعبد الرحمان الداخل حتى يحيده عن عزمه في الملك ينظر .ابن عذاري : المصدر السابق، ج2 ، ص ص 45-46 .

(1) المصدر نفسه، ج2، ص ص، 46- 47؛شاكر مصطفى: المرجع السابق، ص 206..

(2) حسن مؤنس: المرجع السابق، ص 284.

* ابن القوطية: المصدر السابق، ص 55 . مجهول:تاريخ الأندلس ، تحقيق عبد القادر بوباية ، ص 165. ابن الخطيب: المصدر السابق، ج2، ص 10.

كان للعباسيين يد في إثارتها. وجاءت ردة فعله على هذا الموقف المهدد لسلامة أمن إمارته، أن بعث ، إذ أرسل إلى الخليفة أبي جعفر المنصور في سفط وهو في الحج رأس العلاء بن مغيث ، إلى جانب هذا قام بربط آذان أصحابه ثم كتب باسم كل واحد منهم بطاقة وأرفقها بسجل ولواء الخليفة[3]. ولهذا أطلق عليه هذا الخليفة اسم صقر قريش[4] «دون غيره من رجالات العرب»[5]. لأنه الوحيد الذي عبر البحر ودخل بلاد العجم بمفرده، فمصرها وأسس لها الدواوين وأقام لها الملك[6].

بعد ذلك عمل هذا الأمير على تأسيس الدولة وترسيخ قواعدها، الإدارية والعسكرية. فوثق رسوم نظام إدارته على النسق الأموي الدمشقي[7]. أما عن منصب الكتابة فلقد جمع بلاط الدولة الأموية في هذه المرحلة التاريخية أكثر من كاتب وهو أمر كان يبدو أنه من مقتضيات السياسة وما يفترضه نظام الدولة[1]، لأن الكتابة من المناصب السلطانية التي أكدت الحاجة إليها[2]. «فالكاتب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر»[3]. وكان أول من كتب لعبد الرحمان الداخل عند خلوص الأمر له وتولية أمر لقرطبة كل من خالد بن يزيد وأمية بن زيد* [4]. ولعل في هذا التصرف ما يصلح دليلا على أن الأندلس لم يكن قد نجم فيها إلى ذلك الحين العدد الكافي ممن يحسنون كتابة الرسائل السلطانية. والدليل على ذلك أن خالد بن

---

(3) قدم من افريقية إلى الأندلس من قبل أبي جعفر المنصور العباسي للقضاء على دولة عبد الرحمن الداخل. ابن القوطية : المصدر السابق ، ص ص 54. 55. مجهول: مجهول: *أخبار مجموعة (ذكر فتح الأندلس) تحقيق، ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م/1410هـ*، ص ص 93 95

(4) المصدر نفسه ص 108. أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ، ط2، 1381هـ/1962م، ج4، ص 488. ابن الخطيب: المصدر السابق، ج2، ص 11. مجهول: المصدر السابق، لويس مولينا، ج1، ص، 118.ابن سماك العاملي: الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة. دراسة وتحقيق، محمود على مكي، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، القاهرة، ط1، 1424ه/ 2004م. ص 127 .

(5) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة) دار النهضة العربية، بيروت، 1408ه/1988م ، ص 206.

(6) مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص، 108. ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص ص 127- 128.

(7) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 204.

Henrri Terrassé : Islam d'Espagne, (une rencontre de l'orient et de l'occident), ed librairie plon, Paris 6éme, 1958, pp 39-40.

(1) للاطلاع على أسماء كتاب الأمراء ينظر ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 58-61-68-80-93-94-113-152.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ص 192.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

* أمية بن يزيد بن عبد الرحمان أبي حوثرة: مولى معاوية بن مروان بن الحكم، باني مجد بيت أل حوثرة في الأندلس، دخل أمية الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري سنة 123ه / 741م ثم تولى الكتابة للأمير عبد الرحمان الداخل لوقت مبكر. ابن الأبار: الحلة السيراء، المصدر السابق، ج2، ص373. واستمر في منصبه حتى توفي سنة 154 ه/771م. .ابن حيان : تحقيق محمود علي مكي، المصدر السابق، ص 31 . إ بن عبد ربه: المصدر السابق، ج4، ص489. ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص58. ابن الأبار: إعتاب الكتاب، ص 71.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

زيد عندما استأذن بالخروج إلى المشرق أمر الأمير عبد الرحمان الداخل أمية بن زيد بالكتابة لتسريح خالد لكن هذا الأخير تحامى بين يدي خالد وقال: « معلمي وولي الإحسان قبلي يكون أول شيء يجري له على يدي الكتاب بخروجه عن أهله وماله، وامتنع عن ذالك، فأمر حينها الأمير عبد الرحمان خالدا بالكتابة لنفسه فكتب لعامل الجزيرة الخضراء:« أما بعد، فأخرجنا خالدا بقضة**وقضيضة، فإنها الراحة له والراحة منه، والسلام» [5] ولقد لزم أمية بن يزيد كتابة الأمير عبد الرحمان الداخل وارتفعت مكانته، لغاية وفاته [6].

كما استخدم الخاتم* ليختم به على الرسائل والأوامر الصادرة عن الأمير أو الخليفة فيما بعد[1]، وكان الأمير عبد الرحمان الداخل أول من وضع عبارة «عبد الرحمان بقضاء راض»[2] لخاتم الرسائل والصكوك الصادرة عنه[3]، فاتبعه في ذلك عقبه[4]. ويطلق في الأندلس على متولي ختم الرسائل بصاحب الخاتم[5]. وكان الأمير عبد الرحمان الداخل حسن التوقيعات[6]، منها توقيع لأحد العصاة جاء فيه:«أما بعد: فدعني من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة الطريق، لتمدن يدا إلى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة، أو لألقيّن سنابها على رضف المعصية نكالا بما قدّمت يداك وما الله بظلام للعبيد»[7]. وفي توقيع أجاب

**لقضة ، و القضيضة:أ ي العيب ، ويقال القضة وجاء القوم قضيضهم أو بقضتهم أي جميعهم . المعلم بطرس البستاني ، :قاموس مختصر اللغة العربية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ج-ض-ي-، ص 1730 .

(5) ابن الأبار: إعتاب الكتاب ،ص71.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 58.

* الخاتم : لغويا: ويقال: ختمت الكتاب بغير ألف، ويقال: اختمت . الصولي : المصدر السابق ص 145. . في الاصطلاح فيقال طبعت الكتاب أطبعه طبعا وختمه أختمه ختما و أفقته أفِقه أفقا، ويقال للذي يطبع طباع و طابع البطليوسي: المصدر السابق، ص 136. وأول من اتخذ الخاتم في الإسلام هو الرسول عليه الصلاة و السلام وذلك عندما أراد الكتابة إلى قيصر الروم فاتخد خاتما ونقش فيه : محمد رسول الله، و قال لا ينقش أ حد مثله . أما معاوية بن أبي سفيان فهو أول من وضع له ديوانا . ابن خلدون: المصدر السابق، ص ص، 206 -207 . وتطور الخاتم أي العلامة في النظم الإسلامية حتى أصبح من بين الخطط السلطانية و الوظائف الملوكية ويمثل احدى الشارات الخاصة بالسلطان ولقد بالغ سلاطين المغرب الإسلامي في سبكه وصياغته بمختلف الفصوص من ياقوت وفيروز وزمرد. المصدر نفسه، الصفحة نفسها. وفي المشرق كان للختم ديوان يشرف عليه الوزير الذي له صلاحيات ختم الكتب الرسمية . نفسه، الصفحة نفسها، مختار العبادي: في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية القاهرة، ص 73.

Henri Goelzer :Dictionnaire Latin–Français des origines à l'époque carolingienne Augmentée d'un lexique des noms propres des tableaux, par Henri le Grand édition Garnier Frères, Paris 1928, pp 633-634.

(1) سالم الخلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج1، ص 186.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق،ج2، ص 48. أما عن خاتمه الخاص فكان يحمل عبارة : «بالله يستعين عبد الرحمان و به يعتصم » مجهول: المصدر السابق، تحقيق، لويس مولينا، ج1، ص 110، المؤلف نفسه، المصدر السابق، تحقيق عبد القادر بوباية، ص 160.

(3) المقري: المصدر السابق، ج1، ص 325.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) مجهول: المصدر السابق، تحقيق، عبد القادر بوباية، ص 160. وكان صاحب خاتم عبد الرحمان الداخل هو: عبد الغافر بن أبي عبدة . المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(6) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 58.

(7) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

به رجلاشكا إليه فقره: «قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك،...وإذا ألم بك خطب، أو حزّ بك أمر، فارفعه إلينا في رقعة»[8]، من نص هذا الكتاب يتضح بأن الأمير يحث على استعمال المكاتبة حسب الظلم الإداري كما جاء في العبارة (فأرفعه إلينا في رقعة). أما كتابه الذي أصدره سنة 140هـ/758م لنصارى قشتالة فجاء فيه :«بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب أمان الملك العظيم عبد الرحمان، للبطارقة**والرهبان... وشهدعلى نفسه أن عهده يفسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب وعشرة آلاف رطل من الفضة...،[1] » رغم الأرقام المبالغ فيها التي تضمنها هذا النص، مع ذلك فانه يدل على أن عبد الرحمان استطاع كسر شوكة نصارى قشتالة إلى حين.

2-إصلاحات عبد الرحمان الثاني الإدارية :

اتسم الأمير عبد الرحمان الثاني (الأوسط) 206-238 هـ /822-852 م بقدرة إدارية[2]، وقد أجرى إصلاحات في هذا المجال إذ قام بفصل مراتب الخطط وتوزيعها على رجالات أهل الخدمة، من كتابه، ووزرائه، ورفع من شأنهم بدرجة كبيرة[3]: « انتهت أرزاقهم لها في الشهر إلى ثلاثمائة دينار وخمسين دينار بالوازنة* »[4].

---

(8) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424ه /2003م، ج 3، ص 357. ورد هذا النص مع اختلافات طفيفة عند المقري: المصدر السابق، ج4، ص 38.

** البطريق: هو رئيس الملة في الدين المسيحي، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص ص 184-185. والبطريق يترأس كذلك المجلس الأعلى للكنيسة، أي الإكليروس "Le Clergé"، وداخل هذا المجلس تتوزع الوظائف حسب السلم المعروف. =

=La hiérarchique écclésiatiqueLa Patriaches (du grecpatriaches chef d'une famille), Jean Chélini, dirigée par George Duby : Histoire religieuse de l'occident médiéval. Librairie Armand Colin, Paris Véme, Ed 1968, pp 16-22.

(1) E. Levi- Provençal: opcit, T1, pp 116-117.

حول مصدر هذا النص، يشير اليه الكاتب (I.bid n°01 p. 116)، بأنه ورد في كتاب، مشاري الأشواق، Mashari el ashwak لكاتب مشرقي، أحمد النحاس الدمياطي، الفصل 32، (لم أستطع الاطلاع عليه)، محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقيا، دراسة ونصوص، 64 هـ-897هـ/683م-1492م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1406هـ/1986م. ص 134، Francisco Javier Simonet : Opcit, p 814.

(2) أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي و الأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت ، 1972، ص358؛ محمود علي مكي: تاريخ الأندلس السياسي، دراسة شاملة (92هـ- 897هـ/ 711م-1492م)، من كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تأليف سلمى الخضراء الجيوسي، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت، ط2، 1999م، ج1، ص 76.

(3) ابن حيان: السفر الثاني من كتاب المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، ص ص 288-289، ص 296.

* الوازنة: وزن الدرهم القرطبي هو:36 حبة كما أن: درهم الكيل يزن دائما 50 حبة و 2/5 حبة شعير متوسط. أعطى ابن القطان المفتاح لفهم الدرهم القرطبي الدخلي« الذي اذا زدت عليه خمسية كان كيلا، واذا أنقصت منه 2/5 كان دخلا، ويسمى دخلا بإدخاله عليه خمسية الناقصين من الكيل فصار كيلا بهذه المداخيل». الوازنة الاندلسية تساوي درهم ونصف درهم .أبو العباس أحمد العزفي السبتي(557 هـ-633 ه/1136م-1236م): إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدّينار والدرهم والصاع والمدّ. تخريج ودراسة: محمد الشريف، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي،1999م، الهامش رقم 2، ص ص 94-95.

(4) ابن حيان : المصدر السابق ص 296، ابن عذاري نص في بيانه : بأن أرزاقهم كانت ثلاثمائة دينار ، ج2، ص 80.

وفي عهده استجد نظاما جديدا في الكتابة، إذ اختص ذلك الأمير بكاتب خاص[5] يدعى محمد بن سعيد الزجالي[**] .

أصبح يعرف بقلم بني أمية الأعلى وكاتبهم العظيم، **كما نال لقب** الوزير.[1] واتخذ هذا الأمير لوزرائه كاتبا خاصا لكتاباتهم **وقد** استمر هذا النظام حتى سقوط الدولة الأموية **بالأندلس**[2].ومن توقيعات هذا الأمير جواب ذيّل به رسالة لأحد عماله سأله عن وظيفة رفيعة فلم يحسن التعبير عنها فوّقع له: «من لم يصب وجه مطلبه، كان الحرمان أولى به»[3] . **من** خلال هذه الرسالة يتبين مدى عناية بني أميّة بجانب شكل ومضمون الرسائل التي ترد على ديوان الكتابة العليا.

3- سياسة اصطناع بيوتات الكتابة السلطانية و توريث خطتها:

حرص أمراء بني أمية على توريث الكتابة العليا في أسر معينة إختصت بخطتها [4]، **ففي** عهد الأميرمحمد[*] 238 -273 هـ/ 852م- 886م **نال** عبد الله بن أمية بن يزيد[**] الكتابة والوزارة لكن هذا الكاتب «أقعدته علة »[5] **في سنة** 240 هـ /860م [6]، فخلفه قومس[***] بن

---

[5] بن حيان : **المصدر السابق** ، ص ص 35-36.

[**] محمد بن سعيد بن أبي سليمان واسمه واشكين : **مؤسس مجد الزجالي** (في الكتابة السلطانية) **في الأندلس**. وكان أول من اصطنعه فاستكتبه الأمير عبد الرحمان الأوسط. **ابن** حيان: **المصدر السابق، ص ص** 31-36، **توفي في** 232هـ/854**م وتنتمي أسرة الزجالي إلى** برابرة تاكرنا التي تنتسب بدورها إلى قبيلة ولهاصة البربرية. من بني يطفت من نفزة. **ابن حزم**: جمهرة أنساب العرب، ص 500 . **ابن عذاري: المصدر السابق، ج**2، **ص** 159. مجهول: **مفاخر البربر**، تحقيق، عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، **الرباط،ط**1، 2005، **ص** 188. ينظر ملحق بيوتات البربر عند عبد القادر بوباية : البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري /الحادي عشر ميلادي 300-422 ه/ 912-1031**م، رسالة دكتوراه دولة** غير مطبوعة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، السانية، 1423ه/2002**م، ج**2، **ص** 495. ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلي المغرب، ج**1، **ص** 253.

[1] ابن القوطية : **المصدر السابق - ص** 96.

[2] ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق، محمود علي مكي ، **ص** 34-35.

[3] ابن عبد ربه: **المصدر السابق، ج**4، **ص** 493. **ابن عذاري: المصدر السابق، ج**2، **ص**93. *كما كانت له مراسلات مع العالم المسيحي، ينظر الرسالة الجوابية التي أرسلها الى الإمبراطور البيزنطي. ابن حيان: المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي السفر الثاني ، ص ص432 435.*

[4] حسين **مؤنس**: معالم تاريخ المغرب والأندلس. دار الرشاد، القاهرة، **ط**8، 1426هـ/2005**م.ص** 372.

[*] الأمير **محمد عبد الرحمن**: خامس أمراء بني أمية بالأندلس سنة 207-273ه / 823-885**م** ينظر ترجمته و أخباره في ابن القوطية : **المصدر السابق**95 - 105 . ابن حيان: **المصدر السابق ، ص**102 ، **ص** 135 . الحميدي : **المصدر السابق ، ص** 17 ،**و ابن عذاري: المصدر السابق، ج**2، **ص ص**93-94.

[**] عبد الله بن أمية بن يزيد: تولي الوزارة والكتابة للأميرين عبد الرحمن بن الحكم و ابنه محمد. **ابن الأبار**: الحلة السيراء، ج2، **ص** 373.

[5] **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[6] ابن قوطية: **المصدر السابق، ص** 95.

[***] **قومس**: أو قمز، جمعها قوامس، كلمة لاتينية (comes) تعني نديم الملك **في النظام الإقطاعي** (feodale) .
وكلها بمعنى حاكم منطقة متمتع باستقلال تام أو محدود و هي بمعنى الرجل الشريف له صلاحيات إدارية وعسكرية رفيعة
Le Robert Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue Française Parmentier, Paris, 11e, 1969, p 869.

أنتنيان**** النصراني في الخدمة،فلما توفي عبد الله بن أمية الكاتب 242 هـ/862م، قال الأمير محمد: « لو أن القومس كان مسلما ما استبدلنا به إذ لا يليق وقع قلمنا الأعلى على يده. وهو على دينه، فلما بلغه الخبر أشهد على إسلامه فولاه (الأمير محمد) الكتابة»[7]، فناصبه العداء هاشم بن عبد العزيز* أثير الأمير محمد وتربص به للإيقاع به[1]. فاتصل بمحمد بن الكوثر أحد بلغاء قرطبة قائلا له:« إن من عجائب الزمان أن يكون مثلك في قدرك وأبوك ومنصبك خلوا من الخدمة، ويكون صاحب قلم بني أمية الأعلى وكاتبهم العظيم القومس النصراني ابن أنتنيان»[2]. بعث محمد بن الكوثر رسالة الى الأمير محمد ذكر له فيها بأنه يوجد من هو أصلح لمنصب الكتابة من قومس، من أمثاله وحامد الزجالي لأن بهم تزدان الخدمة[3]. فلما قرأ الأمير محمد الكتاب، إختار حامد الزجالي** وأمر بإحضاره وبعد اختباره استحسن الأمير كتابته، فأمر أن يوضع له فراش مع الوزراء[4]، وأطلق عليه لقب الكاتب الوزير***. وبعد

**** قومس بن أنتنيان بن يليانه النصراني: كان من أسرة نصرانية، خدم الكتابة السلطانية على عهد الأمير محمد، للمزيد ينظر الخشني: محمد بن الحارث بن أسد القيرواني : قضاة قرطبة، تحقيق ، ابراهيم الأبياري ،دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، 1410هـ/1989م . ص ص 158-162، وابن حيان: المصدر السابق، ص 142.

Francisco Javier Simonet : Opcit, p 399. Henri Terassé : Opcit, p 48.

(7) ابن القوطية، المصدر السابق، ص 95 . Francisco Javier Simonet : Opcit p 444.

* هاشم بن عبد العزيز: يكنى أبو خالد، أصله من موالي أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكان خاصا بالأمير محمد بن عبد الرحمان، عرف بالبأس والجود والفروسية والكتابة والبيان والبلاغة. ابن حيان: المصدر السابق، ص 159. ابن الابار: المصدر السابق ج1، ص137. مات مقتولا سنة 273هـ/885م. ابن الخطيب: أعمال، ج2، ص 23 .

(1) الخشني: المصدر السابق، ص 111.

(2) ابن القوطية، المصدر السابق، ص 95.

(3) المصدر نفسه، ص ص 95 -96 بقية أسماء الرجال ضمن هذا المصدر ذكرت الصفحة نفسها. وكذا عند ابن حيان، المصدر السابق، الحاشية رقم 4، ص ص 142-143.

** حامد بن محمد بن سعيد الزجالي : ورث مكان أبيه في الأدب، كان كاتبا ووزيرا، مكث في خطة الكتابة السلطانية حتى توفي في سنة 268هـ/890م .ابن القوطية: المصدر نفسه، ص 98، ابن حيان: المصدر السابق، ص ص 32-36-38، ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 94. ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج1، ص 254.

(4) ابن القوطية : المصدر السابق، ص ص 97-98.سالم الخلف: المرجع السابق، ج1، ص 342.

(5)*** الوزير: لغة: الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1371هـ/1952م، ج2، ص159. والوزارة هي أرفع الوظائف وتكون تارة في أرباب السيوف وتارة في أرباب الأقلام، وعندما تعلو تكون وزارة تفويض ويعبر عنها حينئذ بالوزارة، وتارة تنحط فتكون دون ذلك ويعبر عنها بالوساطة.القلقشندي : المصدر السابق، ج3، ص ص 482-483. لقد وجدت خطة الوزارة في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية. ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 239-240، وكان منصب الوزير في بادئ الأمر أشبه في مدلوله ما كان سائدا في بقية أنحاء العالم الإسلامي. وقد أمدنا المؤرخون الأندلسيون بمعلومات هامة عن هذه القاعدة الثانية في الدولة. فمنذ أيام عبد الرحمن الداخل لم يتجه البيت الأموي إلى إيجاد وظيفة الوزير بصورتها واختصاصاتها التي عرفت بالمشرق عند العباسيين، نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1400هـ/1980م، ص 254.

ويخبرنا المقري أن قاعدة الوزارة بالأندلس كانت«مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للإعانة والمشاورة ، ويخصهم بالمجالسة ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب» المصدر السابق، ج1، ص 201. يضيف المقري قائلا: فتوصلوا إلى مجلس الخليفة بمحضر جميع الوزراء. أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق، مصطفى السقا، إبراهيم، عبد الحفيظ شبلي، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، بيت المغرب، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة ، القاهرة ، 1358هـ/ 1939م،ج2، ص 288. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ص 327-328. كان يوجد بالأندلس على عهد الدولة الأموية، وزارات متعددة المناصب، لها رئيس وزراء وهو الحاجب الذي يتصل بالخليفة .مختار العبادي: في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعارف الجامعية ،القاهرة ، دت، ص ص 74-75. لقد كان استعمال ألقاب الخطط في المغرب الإسلامي لم يتم بالدقة التي عرفت بها في المشرق، حيث خصصت لها

وفاة هذا الكاتب في سنة 268هـ/890م، أمر الأمير محمد في البعثة في عبد الملك بن عبد □ بن أمية[1] اصطناعا له بالخدمة فيها، لكن عبد الملك رفض وأقر للأمير بالعجز عنها[2].

فرد عليه الأمير قائلا: «قد فهمنا عنك،ولم نأت ما أتيناه عن الجهل بك ،لكن اصطناعا لك، وعائدة عليك.»[3]. لقد كان لعزوف عبد الملك ما يفسره، وحاشية البلاط كثيرو الانتقاد على صاحب خطة الكتابة،« فهم لا يكادون يغفلون عن عثراته، ولا يشفع له جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطعن عليه»[4]. فهذا الوزير هاشم بن عبد العزيز كان يتتبع الهفوات ويشنع على الكاتب عبد الملك بن أمية[5]، فاستدعاه الأمير قائلا: « قد أكثر أهل خدمتنا، وأكثرتَ في هذا الكاتب: تذكرون جهله وفدامته*، وقد ضممنا إليه من الكتاب من يستعين به، ويستظهر على خدمته بمكانه، وإنما نقفو بخدمتنا، ونسلك بمراتبنا طريق من ابتدأها وأسسها ووضع أهلها فيها. وإذا كنا لا نخلف آباءكم بكم، ولا نخلفكم بأبنائكم، فعند من نصنع إحساننا؟ ونرب أيادينا؟ أعند أبناء الفرّانين؟ أو الجزّارين؟ أو أمثالهم من الممتهنين؟ وأنت كنت أحقّ بالحضّ على هذا، وتصويب الرأي فيه، لما ترجو من مثله في أولادك وعقبك!»[6]. تلك هي إذا أسباب قناعة الأمير محمد في اصطناع البيوتات التي شغلت أجيالها الكتابة السلطانية وتوزيع وظائف الدولة على من سبقت لآبائهم خدمة بني أمية كأنما هي ملكية توريث.وان كان في موقف الأمير نوع من الاستعلاء على العامة و ما تشتغل به من مهن ، مع ذلك فلقد تبين من هذه المحاورة أن الكتابة السلطانية لا تمثل منصبا تقنيا (لوجستيكي*Logistic*)** - كما يعبر عنه في عصرنا الحاضر، بل هي خطة لها أبعاد

الدساتير (أي الكتب التي تحدد معنى اللقب لغة واصطلاحا، وتحدد مستحقيها)، وكانت الألقاب في المغرب الإسلامي تطلق بدون تخصص، فكان منها الخاص بأرباب السيف قد يطلق على أرباب القلم، والعكس صحيح بوزياني الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الوادي الزيانية. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1993م، ص79. مصطلح الوزارة في الأندلس لا يعني به لا وزارة التفويض و لا وزارة التنفيذ كما في المشرق، بل عبارة عن لقب يمنحه الأمير أو الخليفة تكريما وتشريفا لا تكليفا . و في العادة يتبع لقب الوزارة رزق معلوم وراتب سام وحظوة لدى السلطان كما في شأن الكاتب الوزير حامد الزجالي . ابن القوطية: المصدر نفسه، ص 98 . للمزيد ينظر أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دت ،ج1، ص ص 292-293.

(1) ابن حيان : المصدر السابق، ص 143.

(2) نفسه، ص 144.

(3) ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص 108.

(4) المقري: المصدرالسابق ، ج1، ص 202.

(5) ابن حيان: المصدر السابق، ص 145. ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2، ص 108 .

* فدامة: الفدم من الناس:العيّ عن الحجّة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة الفهم، الغليظ السمين الأحمق الجاف. ابن منظور: المصدر السابق، ج2، ص304.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 108.

** مجموعة من الوسائل والطرق التقنية والمناهج بفضلها يتم تنظيم وتسيير مجال ما كالمجال الإداري أو العسكري، أو الاقتصادي،...الخ. Dictionnaire encyclopédique 2000 Larousse bordas, Ed Mont parnasse, Paris 6éme. 1999, p926.

استراتيجية لأمن الدولة و استمرارها. وفي المشرق عندما اشتغل الوزير ابن الزيات[*] رئاسة ديوان الإنشاء ،هجاه ابن الجهم[**] قائلا:

مَا أَحْوَجَ المُلْكَ إلى مَطَرةٍ تَغْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَّيْتِ

فردّ عليه ابن الزيات:

رَقَيْتَ فِي القَوْلِ إلى خُطةٍ   قَدَرُكَ فِيمَا دُونَهَا تَعَدَيْتَ

قَدْ قَوَّمْ المُلْكَ فَلَمْ نُنَقْهِ   حتى غَسَلْنَا القَارَ[***] بِالزَّيْتِ[1]

تابع أمراء بني أمية سياسة اصطناع أسرات الكتابة العليا، فالأمير عبد الله[****] استوزر من أبناء بيوتاتها، عبد الملك بن أمية بن يزيد[*****] الذي كان وزيره و كاتبه الخاص كما صرف له القيادة[2]، وعبد الله بن محمد الزجالي[******] الذي استوزره وصرف إليه الكتابة

---

[*] هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة (173هـ-233هـ/795م-855م): أشتهر بابن الزيات، لأن جده و أباه كانا تاجرين في الزيت وكان جبارا متكبرا، خشن الجانب مبغضا إلى الخلق. محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. حققه وضبطه وشرحه عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب،ط1، 1418هـ/1997م ، ص 232 . كثر حساده الذين سعوا جاهدين للإطاحة به. أحمد زكي صفوت المرجع السابق، ج4، هامش رقم 2، ص 18. نكبه الخليفة المتوكل، ابن الأبار: إعتاب الكتاب، ص ص 133-137.

[**] ابن الجهم: هو علي بن الجهم بن بدر بن الجهم شاعر عباسي مشهور توفي سنة 249ﻫ /كان علي بن الجهم شاعرا فصيحا مطبوعا، أبو فرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ج9، ص ص 215-219. ينظر ابن الأبار:المصدر السابق، ص ص 164-165.

[***] القار: هو الزفت أي القير (القار) أو القطران.. جاد أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، دار الصادر، بيروت، 1385هـ/1965م، ص 271 وص 530 .يقال أن بعض أجداد أحمد بن الجهم كان يبيع القار أي الزفت. ابن خلكان: المصدر السابق، ج1 ص 25.

[1] مصطفى شكعة: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، دت. ص 470. أحمد زكي صفوت: المرجع السابق، ج 4، ص236.

[****] الأمير عبد الله بن محمد: كان مولده سنة ثلاثين ومائتين يكنى أبا محمد، الحميدي: المصدر السابق، ص18، الضبي : المصدر السابق، ص 16. ابن عذاري: البيان، ج2، ص130. ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 14، عبد الواحد المراكشي: المعجب، في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، محمد سعيد عريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ج1، ص53، ابن عذاري: البيان، ج2، ص130. ابن الخطيب: أعمال ، المصدر السابق، ج2، ص 27 .

[*****] عبد الملك بن عبد الله بن محمد بن أمية، أبو مروان: اختص في عهد الأمير محمد بالكتابة العليا مع الوزارة. وفي عهد المنذر أقره عليهما، وهو الذي أغراه بهاشم عبد العزيز حتى قتله وفي عهد الأمير عبد الله بن محمد جمع له الكتابة الخاصة والقيادة مع الوزارة. قتله المطرف بن المير عبد الله سنة 282 ﻫ / 895 م ، ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق، ملشور، ص ص 110-111. فخلفه ابنه مروان بن عبد الملك. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص ص 373-374 .

[2] ابن القوطية: المصدر السابق، ص 116.

[******] عبد الله بن محمد الزجالي: ينتمي إلى أسرة الزجالي الذين خدموا البيت المرواني بما ملكوه من نباهة ورياسة بخاصة في الكتابة العليا، كتب للأمير عبد الله سنة 287هـ/909م، ثم نالته علة عظيمة مدة، وتخفف لأعاده الأمير عبد الله لدولته إلى الكتابة مرارا. ابن حيان: المصدر السابق، محمود علي مكي، ص ص 32-33، ينظر اخباره. ابن حيان: المصدر السابق، ص 32. ذكر ابن عذاري وفاته كانت = =سنة 301هـ/913م ، المصدر السابق، ج2، ص 165 .عن بيت الزجالي ينظر، عبد القادر بوباية: البربر في الأندلس ، المرجع السابق ج2، ص 495 .

العليا[1]، وهذا الأخير شغل هذه الخطة لغاية وفاته في301 هـ/ 912م.[2] وسيكون لهذه السياسة أثرها في تطور المركز الاجتماعي والإداري لأفراد بيوتاتها.

هكذا اتضح من خلال عرض هذا الفصل بأن تطور الكتابة السلطانية جاء في الواقع كانسجام منطقي مع تطور نسيج نظم ورسوم إدارة إمارة دولة الأمويين الناشئة بالأندلس، فلقد وظفتها كأداة أساسية فعالة لا يستهان بها في أساليب الحكم والتقاليد السياسية، مما سيؤهلها لمواكبة النقلة الحضارية التي ستشهدها بلاد الأندلس ابتداء من سنة 316 هـ/929م. وهذا الذي سأحاول إبرازه ضمن فصول هذه الدراسة.

(1) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 116.
(2) ابن عذاري :المصدر السابق ، ج2، ص 165 .



الفصل الأول

إدارة الكتابة السلطانية ورسومها في عصر الخلافة الأموية بالأندلس (316-422هـ/929-1031م)

أولا: أسباب إحياء الخلافة الأموية بالأندلس

ثانيا: الدواوين المساعدة للكتابة السلطانية

ثالثا: شروط ورسوم الكتابة السلطانية وكتابها







حين تسلم عبد الرحمان الثالث* كرسيّ الأندلس سنة 300هـ/ 912م[1] كانت سلطة المؤسسات واضحة المعالم، والفضل في ذلك يرجع بالأساس إلى انجازات الأمير عبد الرحمان الأوسط التي مثلت بحق الانطلاقة التأسيسية لتطور النظم الإدارية في الأندلس[2]، إذ تكونت على أساسها قاعدة سلطان الإمارة الأموية بالأندلس التي رشحتها للبقاء لغاية سقوطها ؛ ومع ذلك كان على الأمير عبد الرحمان الثالث، أن يتحدى الكثير من الصعوبات في داخل الدولة وعلى حدودها[3].لأن الأندلس عندما تولاها كانت« جمرة تحتدم، ونار تضطرم شقاقا ونفاقا، فأخمد نيرانيها وسكّن زلازلها،وغزا غزوات كثيرة »[4].وقال مجهول«وأخمد نيران الفتنة ،وفتح الأندلس عودا كما فتحها جده عبد الرحمان الداخل بداء، واتفق له سعد لم يسمع بمثله فيما سبق ،فلم يزل بعزمه وحزمه يحارب بنفسه الثوار حتى وطأ جميع بلاد الأندلس ، واستنزل منها الثوار»[5]. فصفا له الوضع كما أكد ذلك ابن الأبار قائلا: «وظهر لأول ولايته من يمن طائره، وسعادة جده، واتساع ملكه، وقوة سلطانه، وإقبال دولته، وخمود نار الفتنة- على اضطرامها بكل جهة- وانقياد العصاة لطاعته، مما تعجز عن تصوره الأوهام، و تكلُّ في تحبيره الأقلام.»[6].

أولا : أسباب إحياء الخلافة الأموية في الأندلس

بلغ بلاط قرطبة في عصر أمراء بني أمية ، مبلغا عظيما من القوة والازدهار حيث،«أضحى ينافس بلاط بني العباس في الأخذ بزعامة الإسلام »[7]،بالرغم من ذلك فإن حكام الأمويين لم يفكروا في اتخاذ ألقاب الخلافة وأكتفوا بلقب الإمارة و تلقيب أنفسهم بأبناء الخلافاء بهدف تبرير أحقيتهم بالخلافة وكان يسلم على الأمير الأموي بالأندلس « السلام عليك يا ابن الخلائف وذلك أنهم لا يرون اسم الخلافة إلاّ لمن ملك الحرمين »[1]الى غاية

* عبد الرحمن (الثالث): بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل، ولد سنة (277هـ/899م)، ابن الفرضي:المصدر السابق، ص 15. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص 197. ابن عذاري: المصدر السابق، ج 2، ص ص 156-157. المراكشي: المصدر السابق، ص ص 54-55. ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، ج2، ص 30 ، توفي في 350 هـ/912م، الحميدي : المصدر السابق، ص 18.

(1) ابن عذاري :المصدر السابق،ج2، ص 158. المقري: المصدر السابق، ج1، ص 331.

(2) E Levi Provençal, opcit, T1 pp 254-258.

(3) Amar Dhina : Califes et Souverains, Enal, Alger, 1991, p71.

(4) ابن عذاري :المصدر السابق،ج2، ص 157.

(5) مجهول :تاريخ الأندلس ، المصدر السابق ، تحقيق عبد القادر بوباية ، ص 203.

(6) ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص ص 198-199.

(7) محمد الفيومي : تاريخ الفلسفة الاسلامية في المغرب والأندلس ، دار الجيل ،بيروت ، ط 1 ، 1417ه/ 1997م ، ص107 .

1 أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني ابن الفقيه: كتاب البلدان، ليدن، أبريل، 1302هـ/1985م، ص 83. . أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة: المسالك والممالك. أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة: المسالك والممالك، المسالك ، ، ص

(1) ، Goeje lugduni Batavarum E J Brill, 1889. ،ص90 .

وصول عبد الرحمان الثالث ،هذا الأخير الذي عمل على إحتواء الوضع داخليا وخارجيا ، وظهرذلك جليا عندما اتخذ أكبر وأخطرقرار له من الناحية السياسية حيث«لم يتجرأ أسلافه اتخاذه ،وهو تلقيب نفسه بلقبين ساميين ، الأول لقب الخليفة ،والثاني لقب أمير المؤمنين ، وأضاف الى اسمه الشرفي : الناصر لدين الله »[2]، و لقد أنفذ الأمر الى احمد بن بقي ، صاحب الصلاة بمسجد جامع قرطبة في يوم الجمعة 2 ذي الحجة سنة 316 هـ/ جانفي929م بأن تكون الخطبة باسمه والدعوة له في المنابر، وتخرج الكتب السلطانية عنه وترد إليه بلقب الخليفة* الناصر لدين الله بأمير المؤمنين، فاستمرّت عليه وعلى عقبه من بعده هذه السمة، إلى أن انقرضت دولتهم[3]. وفي ذلك يخبرنا صاحب الحلل الموشية «أوقع هذين الإسمين على نفسه، وقد مضت على خلافته ستة عشر سنة وكان ذلك سنة ستة عشر وثلاثمائة»[4]. كما أوصى كذلك بإثبات هذين الإسمين،«في أعلامه، ومطارده**، وطرازه***،

[2] محمد سهيل طقوش :تاريخ المسلمين ا في الأندلس ،دار النفائس للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت ،ط 2 ، 1429هـ/ 2008 م، ص 315 .

* تبدأ الخلافة الأموية بالأندلس سنة 316هـ وهي متأخرة ذلك لأن أمراء الأندلس اتخذوا سمة الإمارة.ابن الفقيه :المصدر السابق ، ص 83 . ومن الأسباب التي جعلته يعلن الخلافة الأموية للأندلس ضعف سلطة خلافة العباسيين في المشرق (بغداد) وإعلان الخلافة الفاطمية الشيعية ببلاد المغرب الإسلامي سنة 297 ه/910 م ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 137. وخلافة الأمويين بالأندلس سنية. وينقسم عصرها إلى ثلاث فترات:عهد قوة ومجد الخلافة (316-366هـ/929-961 م)، فترة الدولة العامرية (366-399هـ/961-1009م)، فترة الفتنة (399-422هـ/1009-1031م). أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1971، ص ص 180-181.

[3] ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق شالميتا ، ص ص 241-242.ينظر نص المنشور : الفصل الثاني من هذا البحث، ص 58 . ابن حزم: رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1987م، ج2، ص194. ابن لآبار: المصدر السابق،ج1، ص 198. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص 54. ابن خلدون: كتاب العبر، ج4، ص 137 و ما بعدها المقري: ، ج1، ص 330. فيليب حتي: المرجع السابق، ج2، ص 627. ويضيف حسين مؤنس بخصوص لقبه قائلا: واتخذ لقب الناصر لدين الله. والمقصود بذالك نصر مذهب السّنة والجماعة على نصارى الشمال وعلى العبيديين الشيعيين. معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 372.

[4] مجهول :كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. تحقيق، سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1399هـ/1979م، ص 30.

** من المطردة: عام لا شذوذ فيه، محجة الطريق، كذلك من طردستة: أي أوثقه، المعلم بطرس البستاني: قاموس محيط المحيط، ناشرون، بيروت، ط6، 1997م، ص 547.

*** الطراز كلمة فارسية معربة ومعناها الغالب يتعلق في نقش وطرز العبارة الرسمية على العملة والنسيج الرسمي. سالم الخلف، المرجع السابق، ج1، ص 197. من ألبسة الخصة بالخليفة وألوية،و الريات ... تكون مطرزة بالذهب على الأقمشة الغالية. ولكل دولة رموزها الخاصة بها. ومبنى دور الطرز يوجد في القصر الخلافي. ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 208. وان كان ابن عذاري يرى بأن الأمير عبد الرحمان الأوسط هو الذي أسس دار الطراز. البيان: المصدر السابق، ج2، ص 91. إلا أن ابن حيان يرجعها إلى عبد الرحمان الداخل. سالم الخلف، المرجع السابق، ج1، ص 199. ولقد عمل الخليفة عبد الرحمان الناصر على تطوير دار الطراز. ابن خلدون: المقدمة، ص 208. هذا ولقد كان يسهر على تسيير هذه المصلحة صاحب الطراز وهو في العادة من كبار رجال الدولة الأموية وخواصها وثقات مواليهم. ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق حجي، ص 63. ينظر، سحر السيد عبد العزيز سالم: بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1997، من ص 52، وما بعدها.

ودنانيره، ودراهمه»[1]. بهذه التسمية أكمل الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله وحدة الأندلس السياسية كما أعاد لها مركزها الدولي[2].

1-الأسباب الداخلية:

ساهمت العديد من العوامل والأسباب في استقلال شخصية الخلافة بالأندلس و يمكن حصرها على المستوى الداخلي :

-استعادة الأندلس وحدتها السياسية بعد ستة عشرة سنة من المواجهات والتحديات التي قام بها عبد الرحمان الثالث والتي توجت بالقضاء على معظم الثائرين والمتمردين وعلى راسهم بني حفصون*،وهكذا فإن لقب الأميرلم يعد في هذه المستجدات من الألقاب التي تستوعب طموحات العاهل الأموي.

-من الأسباب كذلك فقدان -لقب الأمير- حرمته خاصة حين تلقب به معظم الخارجين على السلطة الأموية لكي ينافسوا أمير قرطبة .[3]

-أدرك عبد الرحمان الثالث أن إمارته بلغت مستوى من القوة و التقدم مما سيحفزه على احياء الخلافة الأموية المشرقية لأنه الوريث الشرعي لها .

-إن لقب الخليفة يهيء للعاصمة دورا أكثر مركزية بحيث يمكنها السيطرة على أطراف الدولة قاطبة ، ويتيح لها الوسائل العملية لقمع الحركات الانفصالية . [4]

2 -الأسباب الخارجية:

التطور السياسي الذي ظهر مع فجر القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي ، وما رافق ذلك من تغيير في خارطة العالم الإسلامي ، وكان أهم مظاهره :

- ضعف الخلافة العباسية بالمشرق .[5]

- قيام الخلافة الفاطمية في الضفة الأخرى من البحر بالقيروان بظهور شخصية عبيد الله المهدي الفاطمي عندما بويع بالإمامة وتلقب بأمير المؤمنين في سنة297 هـ/ 910م[1]،

---

(1) نفسه، الصفحة نفسها حول دار السكة، ينظر، ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق، شالميتا، ص ص 243-244.

(2) Gaudefroy –Demombynes et Platonov Le monde Musulman et Byzantin jusqu'au croisades, Paris 6, 1931, T7, p 59.

*عمر بن حفصون من المولدين ، وهو يمثل الجيل الرابع في أسرته المولدة المسلمة ، وهو أول من شق عصا الطاعة على أموي الأندلس سنة ه / 270 ه/ 892 م ،في حصن ببشتر ، من حصن المرية ، وظل ثائرا حتى مات في عهد عبد الرحمان الثالث سنة 305ه/918 م. ابن عذاري: المصدر لسابق ، ج،2 ،ص 105 و. ص ص 170 -171 .

(3)بن عذاري: المصدر لسابق ، ج،2 ،ص 127 ،ينظر كذلك ص 133 وما بعدها .

(4) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص 217 .

(5) المصدر نفسه ، ج2 ص 157.

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 137 .

وانسياب دعوتها الى المغرب الأقصى على مقربة من شواطىء الأندلس ، وهذا السبب يأتي في مقدمة البواعث التي حدت بعبد الرحمان الى العمل على إحياء تراث الخلافة الأموية الروحي.

3-نتائج استقلالية شخصية الخلافة بالأندلس:

- لقد خرج عبد الرحمان الناصر بعمله هذا عن الأصل النظري للمذهب سنّي للخلافة ، القائل بأن الخلافة كمؤسسة دينية ودنيوية لا يمكن أن تتجزأ حسب المفاهيم السائدة في ذلك الوقت، الا أنه وضع هذا العمل في موضع الاجتهاد. وأجاز الفقهاء السنة بتعدد الخلافة في حال وجود مصلحة عامة للمسلمين ، وأعترفوا بشرعية وجود إماميين يتولان حكم المسلمين في وقت واحد ، شرط أن تكون المسافة بينهما كبيرة حتى لا يحدث التصادم بينهما.[2]

- بالمقارنة مع الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الفاطمية في القيروان ، فان نظام الخلافة في الأندلس يتوافق مع الخلافتين المذكورتين من حيث ، يقوم على أساس الوراثة ويستند الى السياسة ثم الى الدين، وهو نظام يختلف عن النظام الراشدي الذي يقوم على الشورى والإنتخاب.

كانت النتيجة الأكثر أهمية لهذه البادرة التي قام بها عبد الرحمان الناصر ،سمحت له بأن يحيط نفسه بطابع السمو الملكي ، وبهالة من الهيمنة السياسية والروحية ، كما منحته شيأ لم يكن يملكه أسلافه ،وأضحى الخليفة في الأندلس يتمتع بسلطات مطلقة،وقراراته مبرمة لا تقبل المراجعة.[3]

وهكذا اتخذ عبد الرحمان الناصر سمة الخلافة عن يقين بأفضليته وأولوية حقه وحق أسرته ، فكان أول أمير من بني أمية بالأندلس ينعت بأمير المؤمنين.[4]

وبذلك استطاعت بلاد الأندلس أن تنتقل من عصر الإمارة إلى عصر الخلافة بنجاح كبير، وبدون شك سيكون للمتغيرات السياسية والحضارية لهذا العصر آثارها وانعكاساتها في تفعيل قيمة وظيفة الكتابة السلطانية التي ازدادت الحاجة إليها استجابة لضرورات التنظيم الجديد الذي واكب عصر الخلافة[1]. وهذا ما سنحاول إبرازه ضمن عناصر هذا الفصل.

---

(2) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص 217.

(3) المرجع نفسه ،ص ص 317-318.

(4) نفسه، ص 318.

(1) E. Lévi Provençal : La Civilisation Arabe en Espagne, Vue générale, G.P, Maison Neuve et La rose, Paris, 1961, p 52. Henri Terrasse : Opcit, p 61.

ونظرا للنقص الكبير في المادة التاريخية التي تناولت نظام إدارة الكتابة السلطانية في الأندلس خصوصا، استعنت بالمنهج المقارن في كثير من الأحيان لتقريب تاريخ النظم الإدارية للبلاد المشرقية، نظرا للشبه الذي يفترض أن يكون بينها وبين بلاد الأندلس التي تمثل امتدادا لها، بغض النظر عن الخصوصيات المحلية كالجغرافية والسياسية والاجتماعية لهذه البلاد.

ثانيا : الدواوين المساعدة للكتابة السلطانية

لقد كان لاتساع رقعة بلاد الأندلس وازدياد الحاجة إلى المكاتبات السلطانية قصد تبليغ وإعلام أوامر الخليفة وإرسالها إلى المصالح الإدارية المعنية، تطلب وجود مؤسسات إدارية متمثلة في الدواوين المكلفة بتنظيم هذا النوع من المهام ومن أهمها:

1- ديوان الرسائل* (ديوان الإنشاء):

عرف المكان الذي تتم فيه صياغة الكتابة السلطانية بديوان الرسائل[2]،و هذه المؤسسة تعد من أهم الهيئات الإدارية الرسمية لسلطة الأمويين بالأندلس،لذلك فديوان الرسائل يقع بحاضرة قرطبة قاعدة الأندلس ومستقر الخلافة[1]،و في حرم القصر الخلافي[2] الذي كان بمثابة مدينة إدارية بأتم معنى الكلمة نظرا لاحتوائه على دار الملك الذي اشتملت على مقر الدواوين ودار الوزارة و بيت المال[3].

اعتبر ديوان الرسائل أعلى جهاز إداري في البلاد لأن جل المكاتبات السلطانية المختلفة الموضوعات، كانت تتم داخل هذه المؤسسة الرسمية. التي كانت تشرف على صياغة

«...الترسل من تراسلت أترسل ترسلا، و أنا مترسل، و لا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر، و راسل، يراسل مراسلة، فهو مراسل، و ذلك إذا كان هو من يراسله قد اشتركا في المراسلة، و أصل الاشتقاق في ذلك أن كلام يراسل به من بعد أو غاب، فاشتقت له اسم الترسّل و الرسالة من ذلك» أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي: كتاب نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1416هـ/1995م، ص95 . أما ابن منظور : فيقول في معنى الترسل : «أنه من الرسل في الأمور والمنطق كالتمهل و التثبت، والترسل في الكلام التوقر، والتفهم و الترفق» لسان العرب: ج3 ، ص 1644. القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص 91.

(2) حول معنى الديوان، ينظر الصولي: المصدر السابق، ص 198. الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط2، 1386هـ/1966م، ص 199. الجهشياري: المصدر السابق، ص ص 16-17. ابن طباطبا :المصدر السابق، ص ص 88-89. ابن خلدون :المصدر السابق 253. محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983، ص 139.

- ديوان الرسائل والكتابة- كما يسميه ابن خلدون، المصدر السابق، ص 192 أو ديوان الإنشاء كما يسميه القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص ص 89-90 و(Atallah Dhina, opcit, p 151) لا يختلفون إلا في المصطلح فقط وهي قضية واردة لأن معناهما واحد، بين أهل المغرب الإسلامي والمشرق، والخاصة بالدواوين ووسائل كل منها. وديوان الرسائل مستحدث في زمن معاوية بن أبي سفيان ولم يكن موجودا زمن الخلفاء الراشدين. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية: تاريخ العرب من ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1974، ص388. عرف ديوان الرسائل في مصر عهد الخلافة الفاطمية (358-567هـ/ 969-1171م) باسم ديوان الإنشاء، H Massé, code de la chancellerie d'état, BIFAO . x/1,Paris,(1914), pp 65-120

(1) ابن الكردبوس التوزري :تاريخ االأندلس ووصفه لابن شباط ،نصان جديدان، تحقيق، أحمد مختار العبادي. المجلة المصرية-أ-،مدريد عدد 13، سنة 1965-1966، ص 113. المقري: المصدر السابق، ج1، ص 202

(2) E Levi P rovençal, opcit, T3 p22.

(3) ابن حيان: المصدر السابق، شالميتا، ص 17.

و«تحرير رسائل الخليفة وأوامره في الداخل»[4] وإذاعة المراسيم السلطانية الخاصة بشؤون الدولة، ومراجعة الرسائل الرسمية، وإرسالها إلى ولايات الأقاليم، والدول الأخرى قصد التفاوض في بعض الشؤون ذات الصبغة السياسية والاقتصادية[5]. ومن مهام هذه الإدارة كذلك التوقيعات التي تسجل على القصص والرقاع في أسفل الكتاب المرفوع إليها، أو على ظهره، أو في عرضه، بإيجاب ما يسأل أو منعه، كقول الخليفة:« ينفذ هذا إن شاء الله»، أو«صح هذا »[6].

أما عن مهام صاحب ديوان الرسائل فهي عديدة منها«عامة النظر ومباشرة السلطان»[7]، وكذلك تحرير المراسلات السلطانية، وعهوده ومعاهداته، وأوامره للقواد وكبار الموظفين، وكتب التقليد والنظر في أمر كل الرسائل الواردة على الديوان، كما يقوم بتحرير الرسائل السياسية التي يوجهها الخليفة إلى ملوك الدول الأجنبية[8]، والخليفة يستشيره في أكثر أموره. وكان يبلغ بما يصله من أخبار داخلية أولا بأول، ويحضر - بحكم منصبه هذا- اليمين التي يؤديها الولاة والحكام والأمراء عند تعيينهم في مناصبهم.ويسلم المكاتبات الواردة مختومة، ويعرضها على الخليفة بعد فضها ويقرأها عليه ويوقع عليها بعد أخذ رأي الخليفة، كما يقوم بترتيب المكاتبات الصادرة والواردة. ولقد كانت الكتب بمجرد صدورها تحمل للوزير الكاتب ليثبتها في السجلات[1].ولم تتوقف المهام التي يقوم بها صاحب ديوان الرسائل عند الأبعاد السياسية والإدارية، بل تعداها إلى الأبعاد الثقافية فهو يقوم بإعداد الرسائل والنظر في أمور العلم وكذا تطبيق مقاصد كلام البلاغة وأسرارها [2] لأن «الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تبدأ عنه و تنشأ منه»[3] .

لم يتخل خلفاء بني أمية عن خاتم الملك لأنه إحدى مظاهر سلطانهم بالأندلس كما توارثوا[4] عبارة* نقشه خلف عن سلف. فلقد كان لكل حاكم منهم خاتم خاص به « فصة

---

(4) غازي جاسم الشمري: المرجع السابق، ص 124.
(5) آدم متز: المرجع السابق، ج1، ص 136، صبحي صالح: النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، ص 314.
Gaudefroy –Demenbynes et Platonov, opcit, pp 38-39.
(6) ابن الوليد بن الأحمر: مستودع العلامة ومستبدع العلاّمة، تحقيق محمد تركي التونسي ومحمد بن تاويت التطواني، بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي، تحت إشراف معهد مولاي الحسن للبحوث ، المطبعة المهدية ،تطوان ،1384ه/ 1964م ، ص 24.
(7) (ديوان)، ترجمة،ابراهيم زكي خورشيد،أحمد الشناوي ،عبد الحميد يونس ، دائرة المعارف الإسلامية:تحت رعايةالإتحاد الدولي للمجامع الدولية ، الشعب ،القاهرة،ط1، 1933م، ج الدال، ص 257.
(8) القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص ص 110-114.
(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص1.
(2) ابن خلدون: المقدمة، ص 193، ينظر، غازي جاسم الشمري: المرجع السابق، ص 124.
(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(4) المقري: المصدر السابق، ج1، ص 325.
* ينظرجدول نقش عبارات أختام الأمراء الأمويين بالأندلس ، ملحق رقم - 5-من هذا البحث ص 128

زمردة رفيعة القدر شريفة الجوهر، منقوش عليها اسمه، ولقد أمر- الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله- أن يقتصر على الطبع به لما ينفذه من كتبه».[5] وللإشارة فإن الحاجب المنصور بن أبي عامر** قرر عام 382هـ/992م ألا يضع ختم هشام الثاني على المكاتبات الرسمية اعتبارا من ذلك التاريخ وأن تختم بختمه وبذلك أطلق على الخليفة هشام الثاني لقب بالمؤيد بـ ا[6]. والجدير بالإشارة أن خلفاء بني أمية بالأندلس احتفظوا نقوش أختامهم ببعض عبارات*** أختام عصر الإمارة.

كان مقر ديوان الرسائل في الأندلس يقع عند الباب الرئيسي للقصر الخلافي بقرطبة المعروف بباب السدة**** الذي ينفتح على مجلس عبد الرحمان الناصر أي "مجلس الديوان السلطاني" [1]وفي هذا المجلس الخاص بالخدمة السلطانية وتحت إشراف الخليفة كانت تتم جميع إجراءات المكاتبات السلطانية، كالمراسيم وقرارات التعيين والعزل وعهود الأمان، مثل عهد الأمان الذي عقده عبد الرحمان الناصر سنة 326 هـ/939م لمحمد بن هشام* حيث قال:«... وله على السلطان، إذا وفى بما عقد عليه من الشخوص إلى باب سدته، أن يكتب له عهدا على مدينة سرقسطة ... »[2]، وبداخل ديوان الرسائل وبباب سدته كانت تمر وتنتهي كتب ورقاع الخاصة والعامة، كالتوقيعات حيث يفصل في أمرها وتثبت مباشرة من قبل

---

(5) ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق شالميتا ، ص 460. ينظر ص 13 من الفصل التمهيدي من هذا البحث.

** المنصور بن أبي عامر: سيطر على الوضع وأصبح الرجل الأول في الأندلس بلا منازع من (371 -392هـ/971-1002م) في عهد الخليفة هشام المؤيد وبعد قضائه على قوى المعارضة، استبد بالحكم وحجر على الخليفة في قصره، وأصبح يتصرف في شؤون الدولة الأموية كأنه هو الوريث الشرعي لها، ينظر أخباره في: ابن عذاري، ج2، ص ص 256- 261 . و ص ص 273-283 ابن الخطيب: المصدر السابق، ج2، ص ص 62-67، ابن خلدون: تاريخ العبرج4، ص ص 147. رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس (اسبانيا الإسلامية)، ترجمة، حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 994م، ج2، ص ص 71-81 وص 107 وما بعدها. عبد الله عنان: الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية، ج3، من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة مصر، القاهرة، ط1، 378هـ/1958م، ص ص 48-68.

(6) مجهول: تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، ص 225.

***ينظر جدول نقش عبارات أختام الخلفاء الأمويين بالأندلس ،ملحق رقم -6-من هذا البحث ، ص 129.

**** السدة: لغة، باب الدار، الشيخ عبد الله البستاني البناني، المرجع السابق، ص 634. وباب السدة أو السطح المشرف ينفتح على رصيف قرطبة و هو من الأبواب الرئيسية بالقصر الخلافي، أبو القاسم بن حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص 108. العذري: المصدر السابق، ص 123 .

E Levi Provençal, opcit, T3, p23

ينظر أحمد فكري: المرجع السابق، ص 181، والسيد عبد العزيز سالم: قرطبة... المرجع السابق، ج1، ص 191، وكان حكام بني أمية يشرفون من هذا السطح على إعدام الثوار أمام باب السدة، وتعليق جثثهم أو صلبها على شرفاته، ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص437 و ص445 . السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج1، ص 192. وكثير من الأحيان كانت تغلق جميع الأبواب القصر ماعدا باب السدة وذلك لمراقبة الداخلين والخارجين . ابن عذاري :المصدر السابق،ج2، ص 262.

(1) أحمد فكري: المرجع السابق، ص ص211-213. E Levi Provençal, opcit, T2, pp 130-133

* هو أحد المنتزين ينتمي إلى آل التجيب ذات الأصول العربية، سكنوا مدينة سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى. ولكن عبد الرحمان الناصر استطاع كسر شوكته بعد فتح سرقسطة في سنة 326هـ/939م مما جعله يذعن للطاعة والتوبة فعقد له الخليفة الأمان. ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق، شالميتا، ص ص 402 – 424. للمزيد عن أخبار التجبين انظر، العذري: المصدر السابق، ص ص 41-54.

(2) ابن حيان : المصدر السابق، ص 406.

الخليفة الذي يقوم بطبعها بخاتمه ودون سواه[3]، حتى يضفي عليهاطابع التنفيذ الرسمي، لأنه كان المسؤول الأول على ختم جميع المكاتبات السلطانية التي تخرج من ديوان الرسائل[4].

يتضح ذلك جليا من خلال نص أورده ابن الأبار ومما جاء فيه أن عبد الرحمن بن بدر بن أحمد** لما ولاه الخليفة عبد الرحمان الناصر الوزارة والحجابة والقيادة والخيل والبرد، والكتابة[5] «كان ينفرد بالولايات فتكتب السجلات في داره؛ ثم يبعثها للطابع فطابع*** وتخرج إليه، فيبعث في العمال وينفذون على يديه»[6]. وعليه فهذا النص يطلعنا كذلك كيف كان الخليفة الأموي يسند إلى الكاتب الوزير العديد من الخطط السلطانية كانت أعلاها خطة الحجابة[7].

هذا ولقد كان ديوان الرسائل الديوان الوحيد الذي وضعه حكام بلاد الأندلس لإنجاز جميع إجراءات الكتابة السلطانية. وهم بذلك قد خالفوا أهل المشرق. فمنذ الخلافة الأموية (40-132هـ/660-750م) إلى غاية الخلاقة العباسية (132-658هـ/ 750-1260م) انفردت مصالح الدواوين الكتابة السلطانية واختصت بحيث أصبح لكل ديوان صاحب يقوم بعمل معين، كديوان الفض*، وديوان التوقيعات (الحوائج)**، وديوان الخاتم***.

والملفت للانتباه أن هذا النص اعتمد عليه الكاتب عفيف البهنسي في دراسته حول التطور التاريخي للخط العربي وإنتشاره، وفي سياق تناوله للتطور الثقافي لبلاد الأندلس ذكر

---

(3) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص113 . السيوطي، المصدر السابق، ص240. ابن خلدون، المقدمة، ص207.

(4) Henri Terrasse, opcit, p 62.

** هو أبو الغصن بدر بن أحمد الصقلبى كان وصيف الأمير عبد الله، فأعتقه وصرفه في الخطط حتى أصبح في مقام الحاجب، شغل في عهد عبد الرحمان الناصر، كاتبا خاصا للخليفة ورئيسا لديوان الرسائل كما اشرف ودبر دولته في العديد من الخطط، مثل ما جاء في النص أعلاه، توفي عام 309هـ/921م. ابن حيان :المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص 173. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص ص 252-253.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

*** فتطبع: أي يرسلها إلى باب السدّة لتختم بخاتم الخليفة العام ثم ترد إليه ليرسل بها إلى العمال ليقوموا بالتنفيذ تحت إشرافه .ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، هامش رقم1، ص253 E Levi Provençal, opcit, T3, n°4, p 25.

(6) ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، الصفحة نفسها.

(7) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

* ترد إلى هذا الديوان جميع الرسائل الموجهة الى الخليفة فيفضها و يلخص محتواها ليطلع عليها الخليفة ، ويوقع ما يراه بشأنها، لكن بعد ان عهد الى الوزراء فان الكتب بعد فضها ترسل الى الوزير ،كما انتقل هذا الديوان الى ديوان الوزير. أحمد بن عبد الباقي: معالم الحضارة الإسلامية في القرن الثالث هجري، بيروت، ط1، 1991م، ص21.

** مهمة هذا الديوان جمع القصص والرقاع التي ترفع إلى الخليفة على ما تضمنه الطلب، أو أبدى ملاحظات حوله، وقع صاحب هذا الديوان بخطه بما أو عزبه الخليفة. المرجع نفسه، ص20.

*** كانت الخواتم في خزائن الملوك لا تدفعها إلى الوزراء، لغاية مجيء الخليفة معاوية الذي أفرد ديوان الخاتم، ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 207. وكان على فص الخاتم "لكل عمل ثواب وكان بنو أمية لا يولوا ديوان الخاتم إلاّ أوثق الناس. الصولي: المصدر السابق ،ص 146. يشرف عليه الوزير- الذي له صلاحيات ختم الكتب الرسمية. الجهشياري : المصدر السابق، 178 .

أنها كانت مصدر إشعاع الثقافة العالمية والعربية،وكان الاهتمام بالكتب فيها شديدا ابتكرت لذلك طرائق أشبه بالطباعة. [1]

من الواضح أن هذا الباحث قد التبس عليه الأمر في شرح و تفسير العبارة (ثم يبعثها للطابع فطابع)[2] ، لأنه اعتقد بأن كلمة الطبع من مصدر الطباعة ولكن المصادر تخبرنا بأن كلمة الطبع هي الختم كما جاء في تعريف الصولي للخاتم« وختمت الكتاب و طبعته بمعنى قطعته بآخر العمل فيه»[3].من ناحية أخرى أن تاريخ اختراع آلة الطباعة**** يعود إلى القرن الخامس عشر للميلاد في ألمانيا على يد (جوهانس غوتنبرغ J, Goetenbergue) سنة 1492م[4].

انتقلت إدارة الكتابة السلطانية وبقية أجهزة الحكم إلى الزهراء* المدينة الملكية الجديدة التي بناها الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله[1] لأجل «تخليد الآثار الدالة على قوة ملكه وعزة سلطانه وعلو همته.»[2] لتكون قريبة من حاضرته، تليق بأبهة وبهاء جلال الخلافة[3].ومن الأشعار التي قيلت في مدح هذا الحليفة لبنائه تلك المدينة:

سَيَشْهدَا أبْقيْتَ أنّكَ لَمْ تَكُنْ مُضَيّعاً وَقَدْ مَكّنْتَ للدِّين وَالدّنْيَا

فَبِالجَامِعِ المَعْمُورِ لِلْعِلْمِ وَ التّقَى بِالزّهْرَاءِ لِلْمُلْكِ وَالعُلْيَا[4]

---

(1) عفيف البهنسي :الخط العربي أصوله ،نهضته، انتشاره ،المرجع السابق ص.ص 95-96 .

(2) ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص 253.

(3) الصولي: المصدر السابق، ص 145.

**** عرفت الصين الطباعة الحروف في شكلها البدائي في عهد الأسرة تانغ Tang ما بين (907ق م -618 ق م). وفي عام 1041م، بي شينغ BI Chingh على تطوير وضع الحروف المتحركة مصنوعة من طين صلبة مشوية. أما عن الحروف المتحركة من المعدن ظهرت سنة 1392 بكوريا على عهد أسرة يي Yi ؛ وخلال 1447م، اخترع الألماني جوهانس غوتنبرغ آلة الطباعة. Dictionnaire Encyclopédique Quillet,Ed Spadem, 1990, Paris, T.H.L., p 3420. خليل الصابات: تاريخ الطباعة في المشرق دار المعارف، القاهرة، ط2، 1966، ص 13. ومنذ ذلك ظهرت الكثير من التطورات في مجال الطباعة والكتابة، لغاية عصرنا حيث شهد ثورة كبيرة باختراع واستعمال جهاز الكمبيوتر الذي يعتمد عليه بالأساس على الكتابة والصورة معا وكذا الطبع والنسخ، مما جعل مجال الإعلام الآلي ضرورة وسمة من سمات حضارة الألفية الثالثة للميلاد الحالية.

(4) خليل الصابات: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* تبعد عن قرطبة بخمسة أميال الإدريسي أبو عبد الله الشريف الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. تحقيق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص ص 305-306

بناها عبد الرحمان الناصر سنة 325ه/ 937 م. .ابن عذاري :المصدر السابق ،ج2 ،ص .209. المقري :المصدر السابق ،ج 2 ، ص67، و ص105، والسيد عبد العزيز سالم :قرطبة...،المرجع السابق ، 1،ص229.و ص ص 237-247.

(1) ابن حوقل : المصدر السابق ،ص 108. فكري :المرجع السابق ،ص 204 . E Levi Provençal opcit t3 p23

(2) أبو نصر الفتح بن خاقان بن محمد بن عبد الله القيسي مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس (تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس)، تحقيق وتعليق ، مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد ، ط1 ، 1422 / 2001 م ، ص 116.

(3) السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة ...، ج1 ،المرجع السابق ،ص ، ص234-235.

(4) المقري: المصدر ،السابق ،ج2 ،ص 110.

هذا ولقد واصل ابنه الخليفة المستنصر بالله** لستكمل ما تبقى من بناء مدينة الزهراء(5)، وظلت في زمنه زاهية مزدهرة،ولكن الحاجب المنصور «لما استفحل أمره، وأتقد جمره، وجل شأنه، وظهر استبداده، وكثر حساده، وخاف على نفسه في الدخول إلى قصر السلطان»(6) بنى مدينته الزاهرة، وفي سنة 370هـ/980م، نقل هذا الحاجب إلى الزاهرة إدارة قرطبة المركزية، وأنزل فيها خاصته وعامته، كما اتخذها مقرا لدواوينه وأقطع لوزرائه وكتابه بها أفخم الدور والقصور(7)،وسار أمر الزهراء نحو الاضمحلال والاندثار. فلقد وصف ديارها الفتح بن خاقان بأنها«...كثكالى ينحن على خرابها...محت الحوادث ضياءها،...ولم يبق من آثارها إلا نؤى وأحجار هوت قبابها، وهرم شبابها»(8).

لكن أحداث الفتنة* التي صادفت سنة 399هـ/1009م بالأندلس قد أثرت كثيرا على المنشآت العمرانية لمدينة قرطبة، كما أدت إلى خراب الزهراء والزاهرة، وعلى إثر ذلك عاد ديوان الرسائل مع بقية أجهزة الدولة إلى القصر الخلافي في حاضرة قرطبة تبين ذلك من من خلال نص لابن حيان حين قال: «بويع علي بن حمود** في باب السدّة من قصر قرطبة يوم الاثنين لسبع بقين لمحرم سنة سبع وأربعمائة... وتسمى ليومه من الألقاب السلطانية بالناصر لدين الله»(1).

ترأس مصلحة ديوان الرسائل صاحب ديوان الرسائل أي (كاتب السلطان).ذلك أن«كتاب السلاطين هم ألسنة الملوك بكل أوان ومقاول الدول وصدور كل ديوان»(2) ويعرف

** الحكم الثاني بن عبد الرحمان الناصر و لد سنة 302هـ/918م وتوفي سنة 366هـ/976م أثير الخليفة عبد الرحمان الناصر. ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص ص 101-102. ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 15. تولى الخلافة عن عمر يزيد عن سبع وأربعين سنة ولقب بالمستنصر بالله. الحميدي: المصدر السابق، ص 19. ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص 200. كان حسن السيرة فاضلا عادلا مشغوفا بالعلوم. اهتم بالعمران خاصة زياداته للمسجد الجامع، وإكماله بناء الزهراء والوقوف أمام نصارى الشمال وأمام المجوس النورمان . ابن عذاري: المصدر السابق، ج2،233- 253. ابن الخطيب: المصدر السابق،ج2، ص ص 42-43.

(5) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق،ج1، ص 249.

(6) ابن عذاري: المصدر السابق،ج2، ص 275. الحميدي: المصدر السابق، ص 81.

(7) ابن عذاري: المصدر السابق،ج2،ص ص 275 276 .

(8) الفتح بن خاقان: قلائد العقيان، مكتبة السيد محمد عبد الواحد بك الطولي وأخيه بجوار المسجد الحسيني، القاهرة، دت، ص ص 10-11، المقري: المصدر السابق، ج2، ص 152، أحمد فكري، المرجع السابق، ص 206.

* بدأت في بلاد الأندلس هذه الفتنة سنة 399هـ/1009م وانتهت سنة422هـ/1031م، ينظر ابن بسام: المصدر السابق، ق1، ج1، ص 39. وابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص ص 74-95 . ابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1400هـ/1980م. ج7، ص266 . ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص ص 116-122 وص191. ابن بسام: المصدر السابق، ق1، ج1، ص 40، ص48، خالد الصوفي: تاريخ العرب في إسبانيا، نهاية الخلافة الأموية بالأندلس، مكتبة دار الشرق بدمشق، ط1، 1963، ص298، للمزيد ينظر، عبد القادر بوباية: البربر في الأندلس،المرجع السابق ، ج2، ص 266 وما بعدها.

** هو أبو الحسن علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي عنه، وهو أول خليفة من بني هاشم بالأندلس، تلقب بالناصر لدين الله، بويع له سنة 407هـ/1016م وعمره آنذاك 54 سنة، كان عازما حازما. ابن عذاري: المصدر السابق، ج3،ص ص 119-120، قتله الصقالبة في الحمام سنة 408 هـ/1017م. عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص98.

(1) ابن بسام: المصدر السابق، ق1، ج1، ص86. ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 122.

(2) ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص 18. ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 40 .

عند أمويي الأندلس بكاتب الرسائل أو الكاتب***، وهو في نفس الوقت الكاتب الخاص للخليفة ومستقر أسراره[3]. ففي بلاد الأندلس كان رئيس ديوان الرسائل يجمع له الخليفة في كثير من الأحيان الكتابة العليا أي خطة الكتابة السلطانية والكتابة الخاصة. ويأتي في مقدمة كتاب عصر الخلافة جعفر بن عثمان المصحفي**** «وكان مقدما في صناعة الكتابة، مفضلا على طبقته بالبلاغة، وله شعر كثير مدون يدل على تمكنه من الإجادة، وتصرفه في أفانين البيان»[4]. ولقد استعمله الحكم المستنصر أثناء ولايته للعهد كاتبا لديه، وعندما تولى الخلافة قلده الوزارة، وأمضاه على الكتابة الخاصة، «ثم جمع له الكتابة العليا بالخاصة»[5]. وفي هذا دليل على ما كان يحرص عليه الخلفاء من تعيين ذوي الكفاءات الأدبية الناجحة في منصب الكتابة العليا.

ومن الأمور التي تحمد للخليفة عبد الرحمان الناصر الأعمال التي قام بها من أجل إصلاح وترتيب نظام إدارة الكتابة السلطانية أنه قام بإصدار مرسوم سلطاني سنة 344هـ/955م،[1] تبين ذلك من نص في غاية الأهمية انفرد به صاحب البيان جاء فيه: «وفيها، ثقف* الناصر أمور الخدمة السلطانية، ووزعها بين وزرائه... »[2]. والظاهر من خلال هذا النص أنّ اهتمامات الخليفة انصبت على إصلاح وتجديد هياكل ديوان الرسائل وإنشاء مناصب جديدة متخصصة المهام الإدارية للمكاتبات السلطانية ومراسلاتها[3] وحسب هذا الترتيب الإداري الجديد في مصلحة الكتابة السلطانية، وزعت هذه التخصصات على

*** وظيفة القلم (fonction de plume) . A.Dhina: opcit, pp 151-156. كان يطلق على كاتب الرسائل في عهد الحفصيين الوزير الثالث. وهناك كاتب آخر من حيث الأهمية عرف في الأندلس بكاتب الزمام (كاتب بيت المال والخزائن) وهومن أهم كتاب مرتبة في الدولة الأموية لأنه اختص بأمور المالية. المقري: المصدر السابق، ج1، ص202. غازي جاسم الشمري: المرجع السابق، ص125.

(3) ابن سماك العاملي: المصدر السابق، ص 40.

**** هو ابو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة القيسي، الملقب بالمصحفي، أصله من بربر بلنسية (مدينة بالأندلس). استكتبه الناصر، ورقاه في المناصب الكبرى مثل النظر في أعمال جزيرة ميروقة وكذا الشرطة الوسطى، ابن الأبار : الحلة...، المصدر السابق، ج1، ص ص 257-258. ابن عذاري : المصدر السابق، ج2، ص 254. كان من أهل العلم والأدب وكذا الشعر، وقد أدب الحكم المستنصر مما أزلفه وأكرمه ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص 257. فقلده خطة الوزارة. الحميدي: المصدر السابق، ص164، وكان مقدما في صناعة الكتابة ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص 259. فجمع له الكتابة الخاصة والكتابة العليا كما تقلد الحجابة، فأضحى من كبار رجال الدولة. ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 254. وقوي عليه المصور ابن أبي عامر فأعتقله وضيق عليه، وصادر أمواله، فأستعطفه جعفر بكثير من منظومه منها:

عَفَا اللهُ عَنْكَ إلاّ رَحْمَـــةً تَجُودُ بِعَفْوِكَ أَنْ أَبْعَدَا

لَئِـنْ جَلّ ذَنْبٌ وَلَمْ أعْتَمِدْهُ فَأَنْتَ أَجَلُّ وَأَعْلَى يَدَا

ابن خاقان : المصدر السابق، ص 61. المقري : المصدر السابق ، ج2 ، ص 126. لكن المنصور ولم يعفيه فقتله في سجن المطبق سنة 372 ه/972م. ابن الأبار المصدر السابق ، ج1، ص 259 . ينظر نص جواب الخليفة المستنصر بالله، الذي أخصه به عندما كان أبوجعفر المصحفي مريضا و قارب الموت . في الملحق رقم (1) من هذا البحث، ص 124.

(4) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج1، ص 257-258.

(5) ابن عذاري : المصدر السابق، ج2، ص 254.

(1) ابن عذاري: المصدر السابق،ج2،ص 219 .

* ثقف الرجل صار حاذقا خفيفا، والثقاف ما تسوي به الرماح، وتثقيفها تسويتها عبد الحميد والسبكي. المختار من صحاح اللغة: المرجع السابق، ص 63.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق،ج2، ص220.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص 220. E Levi Provençal, opcit, T3, p24.

أربعة كتّاب[4] يحمل كل منهم لقب وزير ويتولى النظر في جانب من جوانب مهام الكتابة السلطانية[5]:

فقلّد الوزير جهور بن أبي عبدة** مصلحة إدارة النظر في كتب جميع أهل الخدمة، وقلّد الوزير عيسى بن فطيس*** مصلحة إدارة النظر في كتب أهل الثغور والسواحل والأطراف وغير ذلك، وقلد الوزير الكاتب عبد الرحمن الزجالي**** مصلحة إدارة النظر في تنفيذ كل ما يخرجه من العهود والتوقيعات، وينفذ به الأمر أو الرأي وغير ذلك، وقلد الوزير محمد بن حدير* مصلحة إدارة النظر في مطالب الناس وحوائجهم، وتنجيز التوقيعات لهم[1].

جاء هذا الإجراء في الترتيب الإداري لخطة الكتابة السلطانية تحت ضغط ظروف الأعمال الإدارية ومهامها التي اتسعت فروع تخصصاتها على صاحب الرسائل، وتشعبت وظائفه، نظرا لما استجد من أعباء ومسؤوليات عصر الخلافة، نتيجة ذلك أصبح من المتعذر على صاحب هذا الديوان الإشراف على كل شؤون المكاتبات والمراسلات السلطانية العديدة والمختلفة هذا من جهة، واتساع الرقعة الجغرافية للكتابة السلطانية التي اجتازت حدود بر العدوة خاصة عندما استولى عبد الرحمان الناصر على مدينة سبتة عام 319هـ/932م[2] من جهة أخرى،ويحتمل أن يكون وراء هذا الإجراء سخط العامة وتذمرهم على وضع الخدمة

---

(4) ابن عذاري: المصدر السابق،ج2، ص220. أحمد فكري: المرجع السابق،ج1، ص295.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 220.

** الوزير جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحي بن عبد الغافر بن حسان بن مالك -الداخل الى الأندلس سنة 113هـ/731م. الحميدي : جذوة المقتبس، المصدر السابق، ص 29. ابن الأبار :الحلة ، المصدر السابق، ج1، ص 245. الذي تفرع عنه بيت آل عبدة الجهاورة وهم أهل بيت ووزارة، اشتهر أفرادها في اعتلاء المناصب السلطانية للدولة الأمويين. توفي سنة 435هـ/1043 بعد أن أورث الحكم في عقبه .الفتح بن خاقان : المطمح ...، المصدر السابق ،ص79. ابن عذاري : المصدر السابق ، ج3 ، ص 186. ينظر: سحر السيد عبد العزيز سالم : بنو أبي عبدة: الأصول الأسرية الأولى لبني جهور أصحاب قرطبة في عصر الطوائف. المجلة المصرية، القاهرة، سنة 1997م، العدد29، ص 297.

*** عيسى بن فطيس بن أصبغ من بيت بني فطيس ،احدى بيوتات الأندلس التي توارثت المناصب السلطانية على طول أيام الدولة الأموية ويرجع أصل هذا بيت إلى عمدته أبو سليمان فطيس بن سليمان بن عبد الملك. دخل الأندلس في أيام الأمير عبد الرحمان الداخل فكتب له ولإبنه هشام . وكتب للحكم الربضي ابن الأبار: الحلة ...، المصدر السابق،ج2، ص265. وفطيس هذا من نسلهم. ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق محمود مكي، ص182. ولاه الخليفة عبد الرحمان الناص الكتابة العليا في حياة أبيه فطيس وهو إذ ذاك صدر في وزرائه. ابن حيان: المصدر السابق، دت، تحقيق شالميتا، ص 322، هنا يشير ابن حيان بأن تاريخ توليتهما كان سنة 320هـ/921 م. بينما ابن الأبار يخالفه حيث جعلها سنة 329هـ/930 م. ابن الأبار: إعتاب الكتاب، ص 190.

**** ينتمي إلى ببيت الزجالي المشهو رة في قرطبة وقد سبق التعريف بها التي ورث عنها الوجاهة والعناية من قبل الحكام الأمويين فتقلد في العديد من الخطط السلطانية على عهد الناصر كانت أهمها الكتابة العليا. تولاها 329ه/930م. ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق، شالميتا، ص471 .

* ينتمي إلى أسرة ابن حدير المشهورة تولى أبناؤها خلف عن سلف الناصب السلطانية للدولة الأموية بالأندلس، وكان جدهم الأول بوابا على باب السدة في أيام الحكم الربضي. ومن هذا الجد كان نسل حدير هذا الذي ولاه الخليفة عبد الرحمان الناصر العديد من المناصب منها خطة السكة سنة 316ه/917م. ابن حيان :المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص243. وكذلك الكتابة العليا. ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، 220.

(1) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(2) ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص 288. أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب من كتاب (المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، دت، ص ص 103-104.

السلطانية وبذلك رأت المصلحة أن يكون هناك أكثر من كاتب لمواجهة الأعباء الملقاة على صاحب ديوان الإنشاء.

كانت لهذه الإجراءات الإدارية في ديوان الرسائل التي قام بها الخليفة عبد الرحمان الناصر أثرها الحسن في تدعيم التحكم وضبط أمور الهياكل الإدارية لمصلحة خدمة الكتابة السلطانية. وفي ذلك قال ابن عذاري: « فالتزم القوم ما لزموا، فأعتدل بهم ميزان الخدمة، وسهلت مطالب الرعية »[3] من خلال ما سبق يمكن القول بأن خدمة الكتابة السلطانية كان لها دور كبير وبالغ الأهمية في تيسير وتسهيل بلوغ أهداف الدولة وتسيير شؤون الرعية على حدسواء.

إن هذه الإجراءات وما نتج عنها من إضافة مناصب جديدة في هيئة الكتابة السلطانية لا يجعل للشك مكانا في أن ديوان الرسائل قد ضم طاقما من الكتاب(تقنيين) المتخصصين في الكتابة الديوانية وتمثلت مهمتهم بالدرجة الأولى في تقديم يد المساعدة إلى وزراء الكتابة السلطانية ومصالح إداراتها الكثيرة ونحوها[1] ولقد تنوعت أعمال هؤلاء الكتاب فمنهم: كاتب يبيّض ما ينشئه المنشئ مما يحتاج إلى حسن الخط فينبغي للكاتب أن تكون كتبه للخلفاء بأكمل الخطوط وأبينها وأجودها وأحسنها[2] لأنه من النادر أن يجتمع لدى الكاتب البلاغة التامة وحسن الخط، لهذا وجب أن يختار للديوان مبيضا يرسم الإنشاءات والسجلات والتقليدات، ومكاتبات الملوك، وأن يكون أحسن الخطاطين في وقته حتى تصدر الكتب السلطانية بالألفاظ البليغة و الخط الرائع[3].

وكاتب يتصفح كل الإنشاءات والتقليدات والمكاتبات وسائر ما يسطر في الديوان، حتى يتفادى الأخطاء الناجمة عن السهو والزلل واللحن* وعثرات القلم، والقصد من ذلك أن يكون كل ما يكتب عن الخليفة السلطان كامل الفضيلة خطا ولفظا وإعرابا؛ ولا يجد طاعن فيه مطعنا

---

(3) البيان :المصدر السابق،ج2، ص 220. E Levi Provençal, opcit, T3, p 25.

(1) صبح الأعشى، ج1، ص132. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية: تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1974م، ص389. سالم الخلف: المرجع السابق، ج1، ص 338.

(2) ابن سماك العاملي: رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، ص 54.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها. القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص 132.

* اللحن يلحن لحناً فهو لاحن إذا أمال الصواب عن جهة إلى جهة أخرى. الصولى: المصدر السابق، ص134. و هو الخطأ في الإعراب، وبابه القطع ويقال فلان لحان أي يخطى والتلحين التخطئة. محمد محي الدين عبد المجيد ومحمد عبد اللطيف السّبكي: المختار من صحاح اللغة، دار السرور، بيروت، 1353هـ/1934م، ص 470يقول عزّ وجلّ: (ولتعرفنّهمفي لحن القَوْل) سورة محمد، الآية 30.

ويجب أن يكون عالي المنزلة في اللغة والنحو وحفظ كتاب الله، ذكيّا حسن الفطنة، عاقلا مأمونا[4].

أما كاتب التذاكر أو متولي (ملخصات الكتابة السلطانية) فعمله يقوم على إنجاز التذاكر التي تشتمل على ملخصات لأهم ما جاء في مضامين الرسائل السلطانية الواردة على ديوان السلطان، ثم يقوم هذا الكاتب بترتيبها بحيث يجعل لكل تذكرة على حدة ويعلمها بأوراق يكتب على رؤوسها اسم الصفة أو الجهة، ويكتب عليها فصلا من كتاب إلى الوالي أو العامل و يكتب فيها رد بتاريخ كذا؛ مضمونه كذا؛ وأجيب عنه بكذا. لئلا تغفل ولا يجاب عنها[5]. وكانت أصول المراسلات و نسخها تنظم في أضابير** خاصة، ويوضع خارج كل منها بطاقة تشير إلى محتوياتها ليسهل الرجوع إليها،واستخراجها للسلطان في أي وقت يحتاجها[1]. ولقد استوجبت من هذا الكاتب قدرا كبيرا من الأمانة والصبر على التعب[2].

أما كاتب الفهرسة يقوم بتقييد كل الكتب السلطانية الصادرة من الخليفة والكتب الواردة على ديوانه في سجل الفهرسة (Bordereau* في الاصطلاح الحديث) مفصلا بكل ما جاء فيها ويكتب تحته "كتاب ورد تاريخ كذا" ويسلمه بعد ذلك إلى الخازن ليتولى الاحتفاظ به[3]، وللإشارة فلقد تنوعت أعمال توظيف الفهرسة فمنها الخاص بالإنشاءات والتقاليد والأمانات والمناشير، وكانت تجدد كل سنة[4]، ومنها الخاص بترجمة الكتب الواردة على ديوان الرسائل بغير اللسان العربي مشتملا على معنى كل كتاب[5].

إن كثرة الأعمال الكتابية استوجب تزويد ديوان الرسائل بوسائل تقنية تمثلت بالخصوص في وجود دفاتر لتدارك أي نقص أو أي خلل أثناء الكتابة السلطانية استعملت كدليل مرجعي بألقاب الولاة وغيرهم من أهل الخدمة وأسمائهم، وترتيب مخاطباتهم حسب رسوم وأعراف الكتابة السلطانية (ديوان الرسائل)، وألقاب الملوك الأباعد وكتّابهم وأسمائهم،

---

(4) القلقشندي، المصدر السابق،ج1، ص ص 132-133.
(5) القلقشندي، المصدر السابق،ج1، ص ص 132-133.
** الأضابير: جمع إضبارة: عبارة عن ورقة تلف على جملة من الكتب قد جمعت داخلها و يلصق طرفها بالنشاء. القلقشندي: المصدر السابق، ج6، ص363 . ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق محمود علي مكي ، ص 246 .
(1) القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص 133-134.
(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
* Bordereau: سجل أو لائحة فيه جدول مفصل لمضمون حساب أو ملف. عادة يسجل فيه تاريخ كل المكاتبات الإدارية: سهيل إدريس وجبور عبد النور: المنهل الوسيط. دار الآداب، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1987م، ص 196.
(3) القلقشندي: المصدر السابق،ج1، ص135.
(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(5) نفسه، الصفحة نفسها.

وترتيب الدعاء لهم ومقداره. ويكون هذا الدفتر حاضرا لدى كتّاب الإنشاء ينقلون منه في المكاتبات وما يحتاجون منه من رسوم الكتابة السلطانية[6]. كما زود بدفتر ثان اختص بالحوادث الضخمة مما يجري في جميع المملكة مقيدة فيه حسب الأحداث والتاريخ[7] ولقد استلزم كذلك وضع سجل خاص لكل العاملين بديوان الرسائل لأن عددهم كان كبيرا[8] .

ونظرا للأهمية التي اكتسبتها المكاتبات والمراسلات السلطانية، خصص لديوان الرسائل مصلحة حفظ المكاتبات السلطانية والسجلات والأوامر الصادرة عنه [9]. وهو ما يعرف في المؤسسات الإدارية لعصرنا باسم "دور الأرشيف". يتولى الإشراف على هذا الجهاز موظفان اثنان، وهما الوحيدان اللذان لا يقومان بعمل الكتابة، فالخازن أو الحافظ مهمته حفظ جميع ما في الديوان من الرسائل الواردة والصادرة والتذاكر، وخرائط* المهمات. ويقتضي عمله أن يكون ملازما وحاضرا بين يدي كتّاب الديوان حتى تسلم إليه تلك المكاتبات ويقوم بهذه الخدمة رجل ذكي، عاقل، أمين يتحلى بدرجة كبيرة من الثقة ونزاهة النفس وقلة الطمع، لأن زمام جميع ديوان الرسائل في يده، فمتى كان قليل الأمانة ربما أمالته الرشوة إلى إخراج شيء من المكاتبات، وإفشاء سر من الأسرار فيضر بالدولة ضررا كبيرا[1] . هذا ولقد حتمت الضرورة والمصالح الأمنية لديوان الرسائل وخاصة مصلحة حفظ المكاتبات السلطانية، أن يقيم عليها حاجبا يمنع [illegible] المكاتبات السلطانية التي هي أسرار وأمن الدولة [2].

والظاهر أن ديوان الرسائل سار وفق نظام إداري دقيق، حيث تدرّج الكتّاب في العمل وتخصصوا في المصالح الإدارية. كما زود بوسائل وتقنيات استعملت قصد ضبط وتنظيم وترتيب المكاتبات والمراسلات السلطانية. كل ذلك من أجل السيّر الحسن وإخراج نصوص الكتابة السلطانية في أحسن صورة لتوظيفها حسب متطلبات الحال.

---

[6] القلقشندي: المصدر السابق،ج1، ص 134.
[7] المصدر نفسه، ج1،ص 135.
[8] ك. بيوكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس ، القرن السابع وحتى الثلث الأول من القرن الحادي عشر، نقله الى العربية : نايف أبوكرم دار علاء الدين ،دمشق ، ط1، 1999 م ، ص 27.
[9] القلقشندي، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 135-137. سالم الخلف:المرجع السابق ،ج1، ص 340.
* عبارة عن أجربة أو أكياس من الجلد توضع الكتب فيها وتختم بختم المرسل، وتحمل الى المرسل اليه ، فيفض ختمها بيده.جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي ،ج1،ص 234 .
سالم الخلف : المرجع السابق ، ج1 ص 360، حاشية رقم 5.
[1] القلقشندي : المصدر السابق، ج1، ص136.
[2] المصدر نفسه ،ج1، ص ص136-137.

2- ديوان البريد*:

يعتبر ديوان البريد من الأجهزة الإدارية التي أولى لها الخلفاء وسلاطين الدول الإسلامية عناية واهتماما كبيرين، حيث يتصل عمله بأمر الكتابة، وخاصة أمر الواسطة التي يتم عن طريقها إرسال الرسائل وجميع المكاتبات السلطانية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ونظرا لطبيعة هذا الجهاز فقد احتاج إلى ديوان «يكون مفردا به، ويكون الكتب المنفذة من جميع النواحي»[1].

لم تختلف أهداف نظام البريد في بلاد الأندلس لا من حيث التوظيف أو التسيير عن مثيلاتها في بلدان العالم الإسلامي آنذاك، والمعروف أنه لم يكن بريدا عاما كما هو في أيامنا، وإنما كان بريدا مخصصا لمصالح الخدمات السلطانية[2]. خاصة عندما اتسع نطاق الدولة، فأصبح من الضروري نقل الرسائل بسرعة متناهية لتسهيل الاتصال السريع من أجل الاطلاع التام على أحوال الدولة ورعاياها[3]. وبالتالي اتّضحت مهام مصلحة البريد فهي تقوم بتنظيم الاتصالات بين الإدارة المركزية والأقاليم، وإبلاغها في أقرب وقت بما يجري من أحداث سياسية واقتصادية وغيرها[4]،إذ يقول ابن طباطبا: «ومن جملة الأشياء وضعهم البريد بكل مكان طلبا لحفظ الأموال، وسرعة وصول الأخبار ومتجددات الأحوال»[5] وأيضا استخدم البريد في الاتصالات الخارجية مع الدول الأجنبية[6].

* البريد: في معناه اللغوي هي المسافة بين كل محطة بريد وأخرى بأربع فراسخ والفرسخ ثلاث أميال، والميل 4000 ذراع، ياقوت الحموي: معجم البلدان ،المصدر السابق ،ج1 ، ص 35. وأن مسافة البري إثنا عشر ميلا. ابن طباطبا: المصدر السابق ، ص 122 .أما في الاصطلاح فهو "أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى الآخر، و الآخر حتى يصل بسرعة . المصدر نفسه، ص 112. ولذالك فالبريد أصلها البغل وهي كلمة فارسية أصلها (بريد دم) أي محذوف الذنب فعربت الكلمة،ثم سمى الرسول الذي يركبه بريدا . القلقشندي: المصدر السابق ، ج14، ص ص367 . ويرجع الفضل في إنشاء ديوان البريد إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي قلد تنظيم النموذج البيزنطي. المصدر نفسه، ج14، ص 371 . صبحي الصالح:النظم الإسلامية المرجع السابق ، ص 331 . مختار العبادي: تاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص 89. فاطمة قدورة الشامي : تطور تاريخ العرب السياسي والحضاري (من العصر الجاهلي الى العصر الأموي) دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1997م،ص221، Henri Goelzer, opcit, p 543.

(1) أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي: نبذ من كتاب الخراج وصنعه الكتابة وضع مقدمته و هوامشه وفهارسه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ،ط1، 1408هـ/1988، ص ص 11-12.

(2) سالم الخلف : المرجع السابق ، ج1، ص 353 .

(3) ظافر القاسمي: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي (الكتاب الأول الحياة الدستورية)، دار النفائس، بيروت، ط4، 1403هـ/1982م، ، ج1،ص315 .

(4) مختار العبادي : تاريخ الحضارة ... ، المرجع السابق، ص90.

(5) ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص 112 .

(6) القلقشندي :المصدر السابق ،ج 1، ص ص 116-117.

ولكون ديوان البريد من الخطط الأساسية في دعم النظام السياسي والإداري[7]، فلقد كانت مكاتبات الدولة الرسمية المرسلة إلى قرطبة، تصل كلها إلى هذه المصلحة، في حين أن التقارير الأكثر سرية كانت تسلم إلى الخليفة مباشرة[8]. مع ذلك فلقد كان البريد في الكثير من الأحيان ينقل رسائل الناس إلى الخليفة وولاة الأمر[9] عن طريق البريدي**. وفي الأندلس كان ينصب الكتّاب على جناحي موكب الخليفة أو الوزير لأخذ رسائل الرعية[10]. ومن المهام التي كلّف بها البريدي إحضار بعض من أعيان الخليفة بواسطة مرسوم سلطاني[1]. وحرص حكام بني أمية حرصا شديدا على إلزام البريديين إحترام أوقات البريد، وإلاّ تعرضوا إلى ما لا تحمد عقباه أي سفك دم البريدي[2].

قام بالسهر على مصلحة هذا الديوان صاحب البريد[3] ويسمى كذلك بصاحب الخبر[4] ويقوم برئاسة ديوان البريد، ويتم اختياره من قبل الخليفة الذي يكتب له ظهير* التعيين فيه بيان أبعاد الواجبات التي يجب التقيد بها ، كما يوصيه فيه بتقوى الله تعالى في السر والعلانية، وألا يرفع إليه إلاّ الصدق، وألا يستعين بأحد في أداء عمله إلاّ بمن يثق بصناعته، وورعه، ونزاهته ويؤكد الظهير على ثقة صاحب الديوان بنفسه وعند الخليفة[5]، «لأن هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافي المتصفح وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ»[6].

كان يتم تعيين متولي صاحب ديوان البريد حسب شروط منها أن يكون ذو ثقافة واسعة يتقن كتابة الرسائل، وفن التوقيعات، ويحسن مخاطبة الخلفاء وعظماء الدولة وأن يكون على معرفة ودراية تامة بالطرق والأنهار والتضاريس والمسافات بين المدن وحواضر الدول، وكذلك معرفة شيء من طبائع الحمام والخيول والبغال. وتكون له مقدرة وكفاءة إدارية لتسيير

---

(7) Henri Terrasse, opcit, p 397.

(8) مختار العبادي: تاريخ الحضارة ... ، المرجع السابق، ص90. سالم الخلف: المرجع السابق، ج1، ص 357.

(9) الطبري: المصدر السابق، ج5، ص335.

** البريدي: هو الذي يحمل البريد ونسميه الآن "ساعي البريد"، وله رؤساء يسمون مقدمي البريدية. ويتضح من عبارة القلقشندي "ويختص الملوك وأكابر النواب بأكابر البريدية وعقلائهم وأصحاب التجارب منهم في المهمات العظيمة التي يحتاج فيها لتنميق الكلام وتحسين العبارة وسماع شبهة المرسل إليه، ورد جوابه وإقامة الحجة عليه". القلقشندي: المصدر السابق ،ج1، ص116.

(10) ابن عذاري: المصدر السابق ،ج2، ص271.

(1) تقي الدين أحمد بن علي ابن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزي: كتاب المواعظ والإعتار بذكر الخطط والآثار. دار التحرير للطبع والنشر، عن طبعة بولاق، القاهرة، سنة 1270هـ/ 1892م، ج1، ص425.

(2) ابن حيان: المصدر السابق ، تحقيق محمد علي مكي، ص ص 132-133.

(3) القلقشندي: المصدر السابق، ج14، ص 371.

(4) أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : كتاب عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، 1343هـ/1965م،.ج1، ص 210. جرجي زيدان: المرجع السابق، ج1، ص 230 .

* ظهير: وجمعه ظهائر، وهو المعين وسمي مرسوم الخليفة ظهير لما يقع به من المعاونة لمن كتب له القلقشندي: المصدر السابق، ج10، ص299 من حيث المصطلح يدل على الرسائل السلطانية وتكون عبارة عن رخصة قانونية يظهر بها حاملها عند الحاجة. وهو بذلك منشور أو مرسوم أو قرار يأمر فيه المأمورون المكلفون بتنفيذ كل ما تضمن من تعليمات الخليفة أو السلطان واحترامها حرفيا. الطاهر توات: المرجع السابق، ص271. A. Dhina, opcit, p 155.

(5) قدامة بن جعفر: المصدر السابق، مقتطفات من العهد أي الظهير بولاية خطة البريد من مخطوط باريس، ص18ب -19 والذي يرجع تاريخه الى عام 315هـ/928م نقلا عن آدم ميتز: المرجع السابق، ج1، ص ص 137-138 . استعنت بهذا النص نظرا لعدم توفره في المصدر المحقق والمعتمد في الرسالة. سالم الخلف: المرجع السابق، ج1، ص363.

(6) قدامة بن جعفر المصدر السابق ، ص 11 . جرجي زيدان : المرجع السابق ، ج1، ص 230.

مصلحة ديوانه ومن يعملون تحت يده[7]. وكان صاحب البريد في بعض الأوقات يستشار من قبل الخليفة لرسم خطة لجيشه، بسبب معرفته الواسعة بالطرق[8].

كانت مصلحة البريد ولاية جليلة وخطيرة في نفس الوقت, لذلك احتل صاحبها مرتبة رفيعة لدى الخليفة فكان لا يمنع من الدخول عليه ليلا ونهارا، لأن عدم دخوله ساعة قد يفسد أعمال الولاية سنة كاملة[1]. ويفترض أن يجعل الخلفاء بينهم و بين أصحاب البريد رموزا أشبه ما يكون- بالشفرة حسب اصطلاح -عصرنا ويتفق عليها سرا، فلا يعتمد أحدهم كتاب صاحب بريده إلاّ إذا كانت تحمل تلك الرموز[2].

لم يقتصر عمله على نقل أوامر الخليفة إلى الولاة، وموافاته بكافة الأخبار والحوادث التي يمده بها أعوانه المنتشرين في أنحاء الأقاليم، بل كان رقيبا ومفتشا وعينا للخليفة يرفع التقارير عن أحوال الجند والمال وأحكام القضاة وأسعار الحاجيات من حبوب وغيرها. ولذلك تنوعت أخبار صاحب البريد منها سياسية وأمنية ومنها أخبار اجتماعية خاصة بشؤون الرعيّة. من ذلك أن عيون الخليفة المستنصر بالله أبلغته سنة 356هـ /967م أن عماله قد زادوا في ظلمهم للرعية، فأرسل إليهم كتابا يحذرهم من عقوبته[3].

وفي هذا السياق بيّن نص ابن حيان الطرق التي استعملها هذا الخليفة في تتبع مخابرات عدوه المنتزى عليه حسن بن قنون* قائلا:«... لاستشعار الحزم وادراع التحفظ... وإذكاء العيون وبث الجواسيس والاستكثار منهم ومن حملة الأخبار حتى لا يخفى لحسن –أهلكه الله– حركة ولا يتوارى له مذهب»[4].

---

(7) قدامة بن جعفر: المصدر السابق ، ص11. سالم الخلف : المرجع السابق ، ج1، ص 358.
(8) قدامة بن جعفر: المصدر السابق ، ص ص 11-12.
(1) القلقشندي:المصدر السابق،ج1، ص114. ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 59 . صبحي الصالح : المرجع السابق، ص 331.
(2) جرجي زيدان: المرجع السابق، ج1، ص231. أحمد أمين: ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1388هـ/1969م، ج2، ص 256.
(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 239.
* هو حسن بن قنون بن القاسم بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس بن عبد الله ، المشهور عند أهله "بالشيخ ابن حنون"، أمير مدينة الأقلام ببر العدوة المغربية.ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص ص 244-248. ولقد دخل في طاعة دولة الخليفة عبد الرحمان الناصر، وابنه المستنصر بالله. « ولم يزل مبايعا للمروانيين متمسكا بدعوتهم». ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المطبعة الملكية. الرباط 1420 هـ/1999م، ص ص 108 – 109 .لكن فيما بعد ، نكث عهده للدولة الأموية و خرج عن طاعتها ، لصالح الشيعة ،.الأمر الذي جعل الخليفة المستنصر يستنفر معداته الحربية وكبار قواد عساكره من أجل كسر شوكته، وفي سنة 363هـ/974م أذعن ابن قنون للقوات المستنصر ودخل في طاعته، ابن حيان : المصدر السابق، تحقيق حجي ، ص 105 و ص ص 194-195 عن بقية أخباره ، ينظر سامية مصطفى مسعد : العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية ،(300-399 هـ/912- 1008 م.) عن الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ، ط1 ،2000 م. ص 100 .
(4) المقتبس : المصدر السابق ، تحقيق حجي ، ص 97 .

ومن مهامه كذلك حفظ أمن الطرق من القطّاع والأعداء[5] والإشراف على استلام كل ما يرد إلى ديوان البريد من المكاتبات التي تأتي من الكور والثغور[6]، الذين توجسوا منه خيفة واعتبروه جاسوسا عليهم، وهو أشبه ما يكون بقلم المخابرات في الوقت الحالي[1].

ونظرا لتنوع الأعمال وكثرتها تطلب من صاحب البريد تشغيل عدد كبير من العمال الذين يحتاج إليهم كموظفين إداريين أو كعمال تقنيين من أجل قوام ديوانه. إن نقل أخبار العامة والخاصة إلى الخليفة لم يكن سهلا، ولم يقتصر على شخص بعينه بل تطلب استعمال الكثير من الثقات، الذين كانوا يبثون بين الناس لهذه المهمة. فهؤلاء الموظفين يوافون صاحب البريد بكل ما يجري في الولايات من أحداث وأسعار، وهم يشبهون في عصرنا أدق الشبه مراسلي الصحف ومندوبيهم[2] . ويؤكد ذلك ابن حيّان قائلا: «... يتفقد مصالح الأمة، ويتعهد أمور الديانه، باحثا عن سنن المسلمين وطرائقهم ومواطن اجتماعهم في مساجدهم ومحافلهم بمن نصبهم من ثقاتهم، وعيون* بطانته، وكلهم بمباطنة الطويات وكشف السريرات، فكانت الأعمال معروضة عليه وخفيات السرائر مكشوفة له... والباطن والظاهر من مذاهب العوام موضوعان بين يديه»[3].

ومن خلال نص لابن حيان وردت عيّنة من ألقاب الموظفين التابعين لديوان البريد منها «عرفاء** أصحاب الرسائل الخصيان وكتاب الفراونقين***»[4]. وهؤلاء الموظفين أي

---

(5) جرجي زيدان: المرجع السابق، ج1، ص 230. سالم الخلف : المرجع السابق، ج1، ص359.
Henri Terasse , opcit, p 398.
(6) قدامة بن جعفر: المصدر السابق، ص 11.
(1) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج2، ص 62 . ابن حيان المصدر السابق، تحقيق حجي، ص 93. صبحي الصالح، المرجع السابق ، ص 332. مختار العبادي : المرجع السابق، ص90. سالم الخلف: المرجع السابق، ج1، ص353.
(2) المرجع نفسه،ج1، ص ص 353- 354.
* من شروط هؤلاء العيون والجواسيس والإخباريون يكون الجاسوس -العين- موثوق بنصيحته، له حدس وفراسة صائبة كثير الدهاء والحيل والخديعة، ويكون له دربة بالأسفار ومعرفة البلاد التي يتوجه إليها حتى لا يسأل ويكشف أمره، يكون عارفا بلسان أهل البلاد، يكون صبورا إذا كشف أمره وعذب وكانت الملوك تمنح جوائز مالية لمن يأتيها بالأخبار السيئة أو السارة القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص126.
(3) ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص ص23-24.
** العريف: هو القيم و السيد لمعرفته سياسة القوم. العرفاء جمع عريف، وهو النقيب .المختار من صحاح اللغة، المرجع السابق ، ص 337. والعرفاء من أهم الموظفين الذين يعتمد عليهم الخليفة لتثبيت سلطانه وإدارته والسيطرة على السكان. نجدة خماش: المرجع السابق، ص319، ويقصد في هذا النص الموظفين الذين إختصوا بشؤون موظفي مصلحة البريد. ابن حيان : المصدر السابق، تحقيق: الحجي، ص 91.
*** كلمة محرفة من برونك الفارسية و معناها منذر أو دليل ، و في الاصطلاح هم الرؤساء يقومون بالإشراف على الرسائل البريدية وتسيير أمورها قدامة بن جعفر: المصدر السابق ،ص184. الجهشياري : المصدر السابق،هامش رقم 1، ص237 وفي هذا السياق يورد قدامة ابن جعفر وهو المختص في شؤون مصلحة البريد أسماء بعض الوظائف كالموقعين هم أمناء السر لمصلحة البريد ، لأن منهم من يعهد اليه بحمل مكاتبات الخليفة , المكلفين بتوقيع معاملات البريد الكتابية وختمها وكذلك إثبات مواقيت المراسلات وضبطها حتى لا يتأخر أحد من البريديين عن أوقات عمله في ا لسكك المكلف بها المرتبين مهمتهم تتمثل في تقديم تقارير دقيقة جدا و خاصة بعدد

الفراونقيين أشبه بالمفتشين لذلك فهم مطالبون بتقديم تقارير مفصلة عن كل ما يحدث في خطوط البريد ومحطاته إلى ديوان البريد- بقرطبة-. كما أن من واجبهم إصدار الرسائل إلى الكور والثغور، وكذا جمع تقارير الموظفين الموزعين على أنحاء الدولة. بالإضافة إلى ذلك مراقبة مسار الرسائل وتنظيمها، و إرسالها في الأخير إلى ديوان البريد[1]. أمّا السعاة أي (الساعي) وهو البريدي الذي يحمل الرسائل مشيا على الأقدام، وهو المعروف في أيامنا بساعي البريد ويعرف في الأندلس بالرقاص[*]، و يبدو أنه اكتسب هذا اللقب من سيره على قدميه، كأنه يرقص، وكان هؤلاء السعاة في أغلب الأحيان يحملون أخبارا وتعليمات شفوية.

ولمباشرة مهام العلاقات السلطانية على الصعيد الخارجي وحسب ظروف السلم أو الحرب يختار الخليفة سفيرا[2] له يكون من بين كبار أعيان الدولة، إذ هو رسول السلطان ويكون في أغلب الأحيان بالغ الأهمية والخطورة [3]. كما قد تكون له وظيفة أخرى خارجة عن ديوان البريد، إذ يرسل السلطان في بعض الأحيان وزيره أو ولي عهده أو بعض الفقهاء وكبار المشايخ أو أكابر البريدية وعقلائهم و أصحاب التجارب التي يحتاج فيها إلى تنميق الكلام وتحسين العبارة وسماع شبهة المرسل إليه، ورد جوابه وإقامة الحجة عليه[4]. ومن الأمثلة على ذلك السفارة (الديبلوماسية) التي كلف بها الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله خلال سنة 329هـ/988م كاتبه حسداي بن اسحاق[**] الإسرائيلي وكان هدف هذه المهمة الاتصل بالملك النصراني رذمير من شمال اسبانيا لفك أسر محمد بن هشام الذي طال في بلاد

السكك وأميالها ومواضعها، الى صاحب ديوان البريد. قدامة بن جعفر: المصدر السابق، نقلا عن ، متز : المرجع السابق ،ج1 ، ص 137-138. قدامة بن جعفر:نبذ من كتاب الخراج، المصدر نفسه، ص184. هذا وكان هؤلاء المرتبين مطالبون بانجاز الخرائط. المصدر نفسه، الصفحة نفسها .سالم الخلف : المرجع السابق، ج1 ص 360، حاشية رقم 5. التي تكون منفذة على أيديهم. قدامة بن جعفر : المصدر السابق ، نقلا عن ، آدم ميتز : المرجع السابق،ج1 ، ص 137.

(4) ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق حجي ، ص 91 .

(1) آدم ميتز : المرجع السابق،ج2 ،ص 825. سالم الخلف: المرجع السابق، ج1 ،ص.360.

* الرقاص، هو ساعي البريد حامل الرسالة في المغرب و الأندلس . ويطلق اسم الرقاص على الرسول حامل الرسائل ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق ، حجي ، ص 91، كما جاء في كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان: ابن القطان المراكشي أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، تحقيق محمود علي مكي ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ، ط 1 ، 1990 م ، أنظر ص ص 196-199.ابن حيان: السفر الثاني المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، تعليق رقم ،19ص31 5.جاءت هذه الكلمة في الذخيرة، «ويميز الرقص فيحسن اختياره» ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1، م1، ص93 . ابن الخطيب : نفاضة الجراب في علالة الإغتراب، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، دت، الحاشية رقم 05، ص 338.

(2) ابن عذاري : المصدر السابق، ج2 ، ص 93 .

(3) ا بن سماك العاملي : المصدر السابق ، ص .76 .

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، المصدر السابق، ج1، ص116.

** حسداي ابن اسحاق بن شبروط الإسرائيلي ترجمته في يعتبر من أكبر رجالات عصره مضاهاته نظرا لكفاءاته المتعددة، العلمية، والفكرية، والدبلوماسية.

Nassi Abu yusuf Hasdai Ibn Ishak Ibn Shaprut, E Levi Provençal, opcit, T3, r n°2, p 230.

النصارى. ويؤكد لنا هذا الرأي ابن حيان عندما قال:«...فحركه الوفاء له إلى مقاربة رذمير في السلم،إذ كانت سلما إلى خلاص محمد...»[1]. وعلى السفير احترام تاريخ السفارة[2].

والضرورة تحتم على الملك أو الخليفة اختيار الرسول « من أرفع من بحضرته عقلا ومن جهة أخرى يكون ذا بصيرة، وهيئة ومنظر وأمانة وتجنبا لجميع الريب»[3] ويجب أن يكون سفير السلطان « كثير الفطنة، ذا بيان وعبارة، بصيرا بمخارج الكلام وأجوبته، مؤديا لألفاظ الملك ومعانيها، صادق اللهجة، لا يميل إلى الطمع، حاملا لما حمل»[4] .

وجرت العادة اختبار السفير قبل تكليفه بمهمة السفارة من قبل السلطان[5]. ومن الوصايا البليغة في اختيار رسول السلطان وصية أبي حمو موسى الثاني* التي أوصى بها ولي عهده جاء فيها: «ينبغي لك يا بني إذا وجهت رسلا إلى ملك من الملوك أن تختاره من وجوه قبيلتك وخيار عشيرتك، ممن يليق بالرسالة، ويتصف بالطهارة والجلالة، ولا يكون تبجيلك إياه إلا بعد الاختيار، ليكون على وفق الاختيار... يتحلى بأربعة أوصاف: الأول أن يكون قوي القلب راجح العقل، الثاني أن يكون صادق القول، الثالث أن يكون محافظا على دينه، الرابع أن يكون حافظا على الأسرار كاتما لجميع الأخبار، بالإضافة إلى أوصاف أخرى تكميلية منها فصاحة اللسان حسن العبارة والبيان، أن يكون مليح الهيئة والصورة، فيه محافل مشهورة، أن يكون محبا في سلطانك، عاملا على ما يوافق شأنك، وأن يكون قليل الطمع منزها عما في الأيدي تنزه الورع»[6].

ومما قيل في سفير السلطان:- «ثلاثة تدل على أهلها: الهدية على المهدي، والرسول على المرسل والكتاب على الكاتب» ولذلك جعل الله عز وجلّ رسله أفضل خلقه[7]. وقيل أيضا:

فَإِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَكِيمًا و لا تُوصِهِ[1]

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص 466.
(2) بوزياني الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص182.
(3) ابن سماك العاملي: المصدر السابق ، ص 76 .
(4) المصدر نفسه ، ص ص 76- 77.
(5) نفسه الصفحة نفسها.
* أبو حمو موسى بن يوسف الثاني أحد السلاطين الكبار الذين حكموا عرش تلمسان العبد الوادية وذلك من 760-791هـ/1358م-1389م. وهي العام الذي توفي فيه. وفي عهده عرفت تلمسان القوة والتطور الحضاري في جميع الميادين. بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص 34. عن أصل هذه الدولة انظر أبو زكرياء يحي ابن خلدون : بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد . تحقيق، عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/1980م. ج1، ص ص186-191 .
(6) أبو حمو موسى بن يوسف : واسطة السلوك في سياسة الملوك ، نقلا عن بوزياني الدراجي، المرجع السابق ، ص ص 182 - 183.
(7) قدامة بن جعفر: كتاب نقد النثر:المصدر السابق ، ص114.

بالاضافة الى هذه المعايير المعنوية زوّد ديوان البريد ببعض الوسائل المادية كالسجلات والدفاتر، قصد تسهيل الأعمال وتنظيمها, اختلفت وتنوعت استخداماتها فمنها الدفاتر الخاصة بتسجيل وحفظ تأريخ المهام البريدية والأخبار المختلفة، ومنها دفتر الديوان الذي يسجل فيه اسم البريدي وتاريخ سفره والجهة التي يتوجه إليها ويسجل فيه أيضا نوعية المهمة التي يقوم بها[2]. وكان البريدي يحمل معه خطاب اعتماد وهو ما يعرف في وقتنا الحاضر (بالأمر بالمهمة- Ordre de mission) «يكتب له ورقة الطريق بالتوجه الى جهة قصده، وحمله على ما رسم له به من خيل البريد»[3]. وكانت لهؤلاء البريدية علامة تميزهم تيسيرا لهم في أداء مهامهم[4]، أما دفتر الإسكدار* هو ثالث دفتر خاص بديوان البريد فكان عبارة عن سجل يدون فيه عدد حقائب البريد والخطابات ويثبت فيه كذلك ساعات الوصول إلى سكك البريد والخروج منها[5]. كما وجد بهذا الديوان أنواع أخرى من الدفاتر كلها وضعت لتسجيل الأخبار والأحداث، فخصص دفترا لأخبار القضاة ودفترا لأخبار العمال المساعدين ودفتر لأخبار الخراج... الخ[6]، حتى لا يكون هناك تداخلا في الأعمال[7].هذه هي إذن بعض الوسائل الإدارية داخل مؤسسة ديوان البريد. أما خارجه فلقد ارتكزت أعمال البريد في الأندلس على وسائل النقل على غرار ما كان مستعملا في البلدان الإسلامية. وكانت هذه الوسائل بين برية وبحرية وجّوية، وإن كانت هذه المصطلحات لا تزال مستعملة في وقتنا الحالي لأن غاياتها لم تتغير بالرغم من أن شكل وتقنياتها قد تطور مع النقلة الحضارية لوسائل البريد واتصالاته (مثل ما هو موجود في مجال تكنولوجية الاتصال السلكية واللاسلكية وكالهاتف النقال والانترنت، والأقمار الصناعية) وسيتبين هذا الفرق بكل تأكيد عندما نتعرف على هذه الوسائل حسب حقبة موضوع الدراسة.

---

(1) نفسه، الصفحة نفسها. جاءت هذه البيات عند ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م لمصدر السابق، ص36. مع تغيير طفيف.

(2) القلقشندي : المصدر السابق ، ج1، ص 114.

(3) المصدر نفسه، ج14، ص ص 371-372، سالم الخلف: المرجع السابق، ج1، ص356.

(4) عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص193.

*الأسكدار: لفظة فارسية، وتفسيره : (اذ كوداري) أي من أين تمسك، وهو مدرج يكتب فيه عدد الخرائط، والكتب الواردة والنافذة، وأسامي أربابها، الجهشياري : المصدر السابق، هامش رقم 3، ص 199.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .آدم ميتز: المرجع السابق، ج2، ص 823.

(6) قدامة بن جعفر : المصدرِ السابق،نقلا عن آدم ميتز ، المرجع السابق ،ج1 ،ص138.

(7) سالم الخلف: المرجع السابق، ج1 ص359.

اعتمد البريد البري على السعاة[1] والدواب[2]. أما الخيل، فيستعان بها للإسراع في السفر. وكان لهذه الدواب والخيل البريدية رجل، يعرف بالسواق بموجب بمرسوم سلطاني يقوم بخدمة البريدي أثناء مهمته [3]. بينما ارتكزت المسالك البريدية في الأندلس على شبكة من الخطوط، ربطت قرطبة داخليا أي من الحاضرة نحو الأطراف[4]، وكانت مزودة بمنازل أو محطات للبريد للاستراحة، فيها بعض المرافق كالمسجد والسقاية، وفيها كذلك دواب البريد من بغال وخيل، ومن يتعهدها بالخدمة والعناية[5] من أجل راحة ناقلي البريد وتغيير دوابهم[6]. هذا ولقد اتصلت الأندلس بالعالم الخارجي بواسطة طرق ومسالك خارجية، خاصة الطرق التي ربطت المغرب بالمشرق[7].

هذا ولقد اقتصر البريد البحري على البلاد البحرية بصفة خاصة، وقد كان الاعتماد على هذا النوع ضعيفا، ولا يلجأ إليه إلاّ إذا كانت الطرق البرية صعبة وخطيرة[8]. وفي بعض الأحيان استعمل البريد الجوي، وعادة ما كان يختص في نقل الرسائل العاجلة والهامة، يتم ذلك عن طريق الحمام الزاجل أو الحمام الرسائلي*، وقد عرف بجناح المسلمين[9] ولأجل ذلك فقلاع المسلمين لا تخلو من برج للحمام ولا من حظيرة للعناية به. فلقد شيّدت للحمام الزاجل أبراج على امتداد طريق البريد لتكون بمثابة محطات. وعادة يستغرق الحمام الرسائلي في أداء مهمته يوما وليلة[10]. ولقد استعملت السهام كوسيلة للبريد الجوّي [11] فكانت ترمى مرفقة بالكتاب إلى المكان المستهدف فيستلمها الآخر ويفعل بها مثل ذلك[1]. تستعمل هذه الطريقة

---

(1) أحمد أمين : المرجع السابق ، ج1،ص255.
(2) ابن حيان :المصدر السابق ، تحقيق حجي ، ص 136. القلقشندي :المصدر السابق ،ج14، ص ص 371-372
(3) المقريزي : المصدر السابق ، ج1،ص425.
(4) سالم الخلف : المرجع السابق ، ج1 ، ص 356-357 .
(5) القلقشندي: المصدر السابق ، ج 14، ص377.
(6) أحمد أمين : المرجع السابق ، ج2 ، ص257 .
(7) ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ص78-79. للمزيد عن هذه الطرق ينظر، ابن خردادبة: المصدر السابق ،ص ص 84-89. ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 146.
(8) أحمد أمين : المرجع السابق ، ج 2 ،ص 256 .
* الحمام اسم جنس لبعض الطيور ،« وقد يسمى اليمام والدباسي والقماري والفواخت ... وأن أغلاه قيمة وأعلاه رتبة الحمام الرسائلي، وهو الذي يتخذه الملوك لحمل المكاتبات، ويعبر عنه بالهدى » .القلقشندي ، المصدر السابق، ج14، ص389 . ولقد استخدم الحمام كوسيلة للبريد منذ القديم(خاصة من قبل اليونان والرومان) . جورجي زيدان: المرجع السابق، ج1، ص 233. أحمد أمين : المرجع السابق، ج2، ص 256.
(9) القلقشندي : المصدر السابق ، ج1، ص 119.
(10) المختار العبادي : تاريخ الحضارة ،ص 90.
(11) ابن الأزرق : المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 174-175.
(1) جورجي زيدان: المرجع السابق ، ج1، ص 234. أحمد أمين : المرجع السابق ، ج 2 ،ص 256.

بكثرة في ظروف الحرب. كما وظفت المناظر ومنارات للأبراج المائية في المخابرة لنقل الإشارات بإشعال النار[2].

تطلب تجهيز ديوان البريد من الناحية المادية والبشرية ميزانية كبيرة[3] توزعت بين منح وأرزاق طاقم العمال حتى لا يتطلعوا إلى ما في أيدي الآخرين[4]، وبين نفقات شراء واستخدام الدواب والخيل في محطات البريد المقامة بين قرطبة وبقية نواحي الدولة الأموية وكذا نفقات شراء الدواب وما يلزمه من علوفة. اتضح ذلك من خلال كتاب الخليفة الحكم المستنصر بالله في سنة 362هـ/973م الذي بعث به إلى الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن الناصري* المتواجد مع الجيش الاموي في المغرب امره الخليفه الرخص بالاخبار والعناية بإجراء العلوفة على الدواب والنفقات على الفرانقيين والخدمة[5]، مما يكفل سرعة وصول الأخبار إليه.

ومما تقدم يتجلى بوضوح أن اهتمام خلفاء بني أمية بوضع إدارة مرتبة مساعدة للكتابة السلطانية والمتمثلة في ديوان الرسائل وديوان البريد، وما رافقها من تجهيزات مادية وبشرية، وفق منظور حتمية الأهداف والأبعاد الإستراتيجية والأمنية لدولتهم.

ثالثا : شروط ورسوم الكتابة السلطانية وكتابها

إن مصدر خطة الكتابة السلطانية ونظامها من الأمور التي جعلتها إحدى الوظائف المرموقة العالية الرتب. وعلى أساس اعتبارات هذه المكانة الهامة، نجد حكام بني أميّة أحاطوا الكتابة السلطانية بهالة من الرسوم والعادات، وما استلزمها من شروط معيارية لكل من يريد ترشيح نفسه لهذه الخطة السلطانية الشريفة. وسأحاول ضمن هذا العنصر إبراز البعض من هذه الشروط والرسوم،التي قولبت قواعد الأطر النّظام الذي سارت عليها أمور الكتابة السلطانية وكتّابها.

---

[2] جورجي زيدان: المرجع السابق ، ج1، ص 234 .

[3] ابن خرداذبة :المسالك و الممالك ، ص153 .أحمد أمين ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 256.

[4] ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق حجي ، ص 91. سالم الخلف : المرجع السابق ،ج1 ، ص356 .

*هو القائد الأعلى أبو عثمان غالب بن عبد الرحمان الناصري ، احد كبار قادة الأندلس قاطبة بحرا و برا ، تولى القيادة العليا للجيوش الأندلسية وتحصل منفردا بلقب ذي السيفين أصبح في أيام الحكم المستنصر من أكابر رجالات الدولة ثم أصبح حاكم الثغر الأعلى لمدينته سالم . ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 112 .مثل إحدى قوى المعارضة أمام طموح ابن أبي عامر ، الذي تقرب اليه واستعمله للتخلص من الحاجب المصحفي ثم انقلب عليه، فتقابلا في ساحة المعركة ، لكن غالب مات فجأة في تلك المواجهة سنة 371 هـ/981م . عن عمر ناهز الثمانين. ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق، حجي، ص ص 69، 102، 108، 109 ... ابن عذاري : المصدر السابق ج2، ص279. ابن الخطيب : أعمال ...، المصدر السابق ، ج2ص ص 65-67 . عبد الله عنان؛ المرجع السابق، العصر الأول، ق2، ص 538.

[5] بن حيان: المصدر السابق، تحقيق الحجي، ص 136.

1- شروط تعيين كاتب السلطان (صاحب ديوان الرسائل)

لم يخرج حكام بني أمية في شروطهم التي وضعوها للكتابة السلطانية وكتابها، عن القاعدة العامة والقوانين التي سارت عليها هذه الخطة في المشرق والمغرب الإسلامي. وإذا كانت للأمانة العلمية مكانفي هذا السياق فإنه يستوجب التوقف عند مرجعية هذه القوانين وقواعد شروطها والتي يعود أصلها إلى رسالة عبد الحميد الكاتب التي أشرنا إليها سلفا. هذا ولقد توصل بعض العلماء مثل "التوحيدي" إلى وضع خمسة وعشرين شرطا[1]، فإنني سأقتصر على البعض منها على سبيل المثال لا الحصر، ويأتي على رأس شروط وظيفة الكتابة السلطانية خاصة الالتزام بالدين الإسلامي[2]. أي بأن يكون مسلما حسن الديانة[3]، وذلك تقيّدا بما ورد في الكتاب العزيز من النهي عن تقريب أهل الذمة واستكتابهم وموالاتهم، أمرهم بمقاطعتهم، وحظهم على مباعدتهم. «لعلمه تعالى بقبيح سرائر أعداء المسلمين وما فيها من العداوة والبغضاء وفساد نيتهم وقبح طويتهم وغيظ قلوبهم،وغشّهم للمسلمين، وردأتهم ومكرهم»[4]. إذ يكون عينا للكفار على المسلمين، ومطلعا لهم على خفاياهم فيصلون به إلى ما لا يكون استدراكه[5] وقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ)[6]. ولقد كان هذا الشرط كما سبقت الإشارة إليه من الأسباب التي أدت ببعض الذميين إلى اعتناق الإسلام من أجل الحصول على المناصب السلطانية وعلى رأسها الكتابة، وعلى هذا الأساس سار الأمويون في بدء أمرهم في الأندلس، وقضوا أن لا يكون الكاتب الخاص في مملكتهم نصرانيا ولا يهوديا[7].

---

(1) لقد أورد الطاهر محمد توات، شروط تعيين كاتب السلطان نقلا عن التوحيدي، المرجع السابق، ص 89.
(2) ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 82 . سالم الخلف : المرجع السابق ،ج 1ص342 .
(3) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج7 ص1.
(4) منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب لمؤلف مغربي مجهول في القرن الحادي عشر الهجري: تحقيق داود علي الفاضل، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،ط1، 1982م/ 1402هـ، ص25.
(5) المصدر نفسه، ص61.
(6) سورة آل عمران : الآية رقم 118.
(7) المقري: المصدر السابق، ج1ص202. محمد كرد علي : الإسلام و الحضارة العربية: مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر القاهرة، ط3 ، 1968م، ج2، ص 267.

والظاهر أن الأمور تبدلت فيما بعد إذ تولى عدد غير هين من النصارى واليهود مناصب حساسة في الدولة الأموية بالأندلس وتحديدا في وزارات الخلافة[1]. ومن أمثلة الأسماء التي برزت في عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله حسداي بن اسحاق الإسرائيلي، وكذلك ريثموند (Recemundo) المعروف باسم ربيع بن زيد* وكان محظيا عند هذا الخليفة وابنه الخليفة المستنصر با[2] فيما بعد وعلى ما يبدو إن تجاوز شرط الدين، حسب رأيي كانت له دوافعه، منها الكفاءة الأدبية العالية، فحسداي مثلا، وصل إلى الكتابة السلطانية وبعض الأعمال نظرا لأنه « كان وحيد عصره الذي لا يلحق به، حاذق الطب في الأدب وسعة العلم»[3]، ويفترض أن يكون إلى جانب هذا العامل إتقانه الجيّد للغة النصارى. إضافة إلى هذا هناك عامل قوة الحضارة لدولة الخليفة عبد الرحمان الناصر وفيما بعد ابنه المستنصر حيث بلغت في عهدهما دولة الأندلس أوج سلطانها ووصلت حضارتها الى ذروة ازدهارها. والأمر كذلك، فطبيعي أن يخول لمثل هؤلاء الذميّن الارتقاء إلى هذه الخطط السلطانية من أجل خدمة مصالح الدولة، دون أن يشكلوا لدى السلطة الحاكمة أي تخوف أو قلق. وقد يوافق استنتاجي هذا، سياق رأي أحد الكتّاب المعاصرين عن إدارة الأمويين بالأندلس حيث قال:« وبنو أميّة في إدارتهم بعيدون عن الجمود، يسيرون بما يستلزمه الزمان والمكان، وتهمهم المصالح والمنافع ولا يتحرجون من الأخذ بجديد ، لما خصوا به من عمائق الفطن، وقرائح العقول ... وهم لا بالضعاف الضعف الذي تضيع معه الحقوق وتفسد الأمور، ولا بالأشداء الشدة المفرطة التي تبغضهم إلى من يعملون معهم من الناس من وزراء وأصحاب الولايات»[4]. إن استكتاب الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله لحسداي كان حالة من الحالات النموذجية للتسامح الديني الذي انتهجه حكام الأمويين مع أهل الذمة في الأندلس و كما قيل « لكل دهر

---

(1) مارغريتا لوبيز غوميز (M argarita Lopez Gomez): المستعربون : نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس . ترجمة ، أكرم ذا النون . سلمى الخضراء الجيوسي، المرجع السابق، ج1،ص271. محمد كرد علي: المرجع السابق، ج2، ص 267. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص 544.

E Levi Provençale : opcit . T3 r n°2.p 230.

* اعتمد عليه الخليفة عبد الرحمان الناصر في الكثير من السفارات. كان سفيرا كفوءا للخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله، وقد أوفده لدى ملك أوتو الأول. ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 218 .قبل أن يصبح أسقفا. مارغريتا لوبيز غوميز، المرجع السابق، ج1، ص 271.

(2) أحمد فكري : المرجع السابق، ج1، ص245. E Levi Provençal, opcit, T3, pp 222-223.

(3) ابن حيان : المصدر السابق، تحقيق شالميتا ، ص466.

(4) محمد كرد علي: المرجع السابق، ج2، ص 267.

عادة و رجل»[1]، لأن شرط الدين الإسلامي بقي ساري المفعول بدليل أن جلّ كتّاب سلاطين الدولة الأموية في عصر الخلافة كانوا مسليمين.

أما عن شرط الذكورة، وإن كانت الصفة المحبذة والغالبة في كتّاب السلاطين[2]، لكن هذا لا يستثني ممارسة المرأة لها في الأندلس، فقد اختص بعض الخلفاء ببعض الكاتبات كالخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي اختص بالكاتبة مزنة (ت 358هـ/968م)، وقد وصفت هذه الكاتبة بالأدب الواسع، وحسن الخط[3]. كما اختص الخليفة الحكم المستنصر بكاتبة تدعى لبنى (ت 374هـ/984م) تميزت بالبراعة في الكتابة وجودة الخط[4]. وأضيف إلى جانب هذا الشرط الحرية والبلوغ وهي من الشروط الأساسية التي يجب أن تتوفر في كاتب السلطان وعدم توفرهما يعتبر نقص وإعاقة بالنسبة للكاتب يضر بها السلطة والسلطان[5].

وكانت الكفاية الأخلاقية من الخصال العرفية والشروط المطلوبة، وهي تاج جبين كاتب الخليفة، كأن يكون«عظيم النزاهة، كريم الأخلاق، مأمون الغافلة، مؤدب الخدام»[6] لأن الكتابة السلطانية ولاية شرعية، والفاسق لا تصح توليته شيئا من أمور المسلمين، فالكاتب المستهتر قد يجر بأضرار خطيرة أكثر من السيوف[7] وقد قيل:

وشُمُولٍ «كَأَنَّمَا اعْتَصَرُوهَا   مِنْ مَعَانِي شَمَائِلِ الكُتَّابِ» [8]

ولقد أوصى رجل بنيه قائلا: «يابنى تزيوا بزي الكتاب فان فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة»[9].

وتبقى الكفاية المعرفية للعلوم المختلفة إحدى الشروط والدعائم التي يرتكز عليها المصير المهني للكاتب. منها أن يكون عالما بفنون «مراتب المكاتبين عند من يكتب عنه وما يليق بهم من الأدعية والعنوانات حسب ما تقتضيه مرتبة مخدومه من مراتبهم فينزل كل

(1) ابن السماك العاملي : المصدر السابق ، ص 45 . القلقشندي : المصدر السابق ، ج1، ص65.
(2) المصدر نفسه، ج1 ،ص64
(3) الضبي: المصدر السابق، ص 546. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك : كتاب الصلة، دار المصرية للتأليف، القاهرة، 1966م، ج2، ص 692.
(4) الضبي : المصدر السابق، ص 546. ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص 692.
(5) القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص65.
(6) القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص67.
(7) المصدر نفسه،ج1، ص 65-66.
(8) النويري: المصدر السابق، ج7ص13.
(9) ا بن قتيبة الدينوري : كتاب عيون الأخبار، م1، ص 46.

واحد منهم مرتبته لائقة به»[1]، كبراعة الاستهلال بذكر الرتبة أو الحل أو لقب صاحب التقليد أو اسمه، بحيث لا يكون المطلع عليها بعيدا عن هذه الأحوال، ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق القصد، وأن يراعي المناسبة وما يقتضيه الحال، وأن يتخير الكلام والمعاني بما يشيع ويذيع[2]. وتلك الغاية لا تدرك إلاّ إذا ملك ناصية البلاغة وعارضة البيان حيث يكون منها بأعلى رتبة وأسنى منزلة. ولا يكون له ذلك إلآ إذا كانت له معرفة عامة بعلوم النحو فهو قانون اللغة وميزان تقويمها والبلاغة لا تأتي إلآ عن طريق الإعراب والتصاريف والأبنية[3]، وبالنحو يفهم معنى مواقع إعراب المنظوم والمنثور[4] وقيل:

النَّحْوُ يَبْسِطُ مِنْ لِسَانِ الأَلْكَنِ والمَرْءُ تُكْرِمُهُ إذا لم يَلْحَنِ[5]

بالإضافة إلى ذلك عليه أن يحسن التأليف ويزيد المعنى بالشرح والوضوح، لأن سوء التأليف يؤدي إلى التعمية[6] وفي السياق نقل أبو هلال العسكري عن العتبي قائلا:«الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرا، أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى، كما لو حول الرأس إلى موضع اليد، أو يد إلى موضع رجل، لتحولت الخلقة،...»[7]. فكل ما يكتب عن السلطان في كتبه شبيه بحكم توقيعاته وآثارها في الإحسان والإساءة والاجتهاد والتقصير، لأن بها يرتاح قلب المطيع ويرتاع قلب المرء[8].

إن المقدرة البلاغية والنحوية غير كافية، فكاتب السلطان يجب أن يكون حافظا للقرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة ولابد له من النظر في جُمَلِ الفقه، ومعرفةِ أصوله من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته[9]. لأن معرفة الأحكام السلطانية من الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة، يضفي على المكاتبات السلطانية الشرعية اللازمة[1]. كما يحتاج إلى ثقافة تاريخية واسعة كأخبار الناس والعرب[2]، والاطلاع على الكثير من العلوم والهندسة

---

(1) ابن سماك العاملي: المصدر السابق، ص 42. ينظر أبو هلال العسكري : المصدر السابق، ص 160. مرعي المقدسي :المصدر السابق، الورقة رقم 3 .
(2) النويري: المصدر السابق، ج7 ،ص 30-34 .
(3) ابن قتيبة: أدب الكاتب ،دار صادر ، بيروت، طبع ليدن 1200هـ/ 1900 م ،ص ص19 20.
(4) ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، قدمه و حققه و علق عليه أحمد الحوفي، و بدوي طبانة.مكتبة نهضة ، القاهرة ، ط1، 1379هـ/ 1959م، ق1، ص40.
(5) القلقشندي : المصدر السابق ، ج1، ص169.
(6) أبو هلال العسكري : المصدر السابق ، ص167.
(7) المصدر نفسه ، ص167.
(8) المصدر نقسه، ص 162.
(9) ابن قتيبة: أدب الكاتب ، ص11. ضياء الدين بن الأثير: المصدر السابق ، ق1، ص ص 71-72 .
(1) المصدر نفسه، ق1، ص70 . النويري : المصدر السابق ، ج7، ص 34.
(2) 6)النويري : نهاية الأرب ، ج7،ص32.

والحساب والكيمياء والطب والفلك والفلسفة والمنطق ليدعم بها ثقافته ومعارفه[3]. «وقد قيل: ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم»[4]. وكل فن وإلا «لا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة»[5] لأن الاستكثار من العلوم والإلمام بموادها هو طريق الوصول إلى صناعته[6].

ومن بين الشروط التي توجب حيازتها إتقانه بعض اللغات الأجنبية، وذلك ضروريا في المكاتبات والعلاقات مع الدول الخارجية خاصة لأن كاتب السلطان هو« الذي يطلع على أسرار الملك، ويترجم على إرادته»[7]، واستكتاب أجنبي بسبب اللغة يشكل خطرا على الدولة. ومن هنا استوجبت الضرورة على كاتب السلطان إتقان لغة الكتب التي ترد على سلطانه «ليفهمها ويجيب عنها من غير إطلاع ترجمان عليها، فإنه أصون لسرِّ ملكه، وأبلغ في بلوغ مقاصده»[8]. وإلى جانب هذا لابد له أن تكون له الكفاية السياسية وأول أدواتها عند الكاتب العقل السليم ورجاحته، لأن السلطان يلجأ إلى رأي كاتبه الخاص لاستشارته في كل كبيرة وصغيرة من أجل تدبير أمور الحكم[9]، ولأجل ذلك أشترط فيه أن يكون أمينا موثوقا به ذا رأي صائب لا تحوم حوله الظنون، فبرأيه ويراعه قوام الدولة[10]. لأن أول أدوات الكتابة العقل وفي ذلك يقول ابن شهيد*: «...قد وجدنا من ينسب العقل إلى سهيل** أكثر من نسبته إلى الجاحظ*»[1]. فالكتابة بالنسبة له علم تتطلب المعرفة ورجاحة عقل والتمرس على شؤون

---

(3) القلقشندي : المصدر السابق ، ج1، ص. 146 .
(4) المصدر نفسه، ق1، ص40 .
(5) نفسه، الصفحة نفسها .أبو هلال العسكري : المصدر السابق ، ص 160. القلقشندي : المصدر السابق ، ج1، ص 149.
(6) النويري : المصدر السابق ، ج7، ص 34.
(7) ابن السماك العاملي : المصدر السابق، ص 40 .
(8) القلقشندي: المصدر السابق ، ج1، ص165.
(9) الجهشياري: المصدر السابق، ص ص 3-4.
(10) ابن الأحمر : مستودع العلامة...، المصدر السابق، ص8. ابن السماك العاملي : المصدرالسابق ، ص 40 .
* هو أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد من بني الوضاح ، من قيس عيلان أبو عامر . الحميدي ، المصدر السابق، ص ص117-118 ،ولد بقرطبة ، سنة 382 ه/ 992 م توفي بها سنة 426 ه/1035 م من كبار الأندلسيين أدبا و علما ابن بسام: المصدر السابق ، ق1، ج1، ص154. قال فيه الفتح : « عالم بأقسام البلاغة ومعانيها، حائز قصب السبق فيها ، لايشبه أحد من أهل زمانه ».مطمح الأنفس ...،المصدر السابق، ص81 . كان أول من حظي بلقب ذي الوزارتين تشريفا منحه اياه الخليفة الناصر سنة 327ه/937م وأسمى منزلته على سائر الوزراء جميعا، أضعف و أضعف له رزق الوزارة ، وبلغه 80ألف دينارا أندلسية . المقري : المصدر السابق ، ج1، ص ص 339-333 .
** سهل بن هارون بن راهبوني ، ، فارسي الأصل من أهل نيسابور، ولد حوالي منتصف القرن الثاني الهجري ، الثامن ميلادي، وبعد نكبة البرامكة ، تقرب الى المأمون الذي أعجب بأدبه، وبلاغته، وذكائه فصيره رئيسا وخازنا لبيت الحكمة كان لا يضاهيه أحد في الحكمة و الأمثال حتى سماه معاصروه بزجرهم الإسلام تشبيها اياه ببزجرهم الفارسية المشهور توفي سنة 215 ه/830 م . شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، د ت، ص ص526-528 . وصفه الجاحظ فقال : « كان سهلا سهلا في نفسه، عتيق الوجه (جميل) حسن الشارة ، بعيد عن الفدامة ، يقضى له بالحكمة قبل الخبرة ، وبرقة الذهن قبل المخاطبة ، وبدقة المذهب قبل الإمتحان ، و بالنبل قبل التكشف ». البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ،دار الجيل ، بيروت ، دت . ج1، ص .89
*الجاحظ: أبو عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ: ولد سنة 165هـ/781م وعلى وجه التقريب توفي سنة 255هـ/869م في البصرة ذا شهرة لدى الأندلسيين في فترة الإمارة، ولقد وصلت بعض كتبه إليهم في حياته، ككتاب التربيع والتدوير، وكتاب البيان والتبيين، كما كان يقصده بعض الأندلسيين للتلمذة عليه. ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص 164. ابن الفرضي: المصدر السابق، ص276. ياقوت الحموي : معجم الأدباء، المصدر السابق، ج16، ص 104 . أحمد هيكل: المرجع السابق، ص 175.

الحكم وتدبيرها كما كان يفعل الكاتب سهيل حيث استطاع أن: «يخادع للرشيد ملكا ويدبر له حربا، ويعاني له إطفاء جمرة فتنة، مستضلعا في ذلك كله بعقله، وجودة علمه، لرأي أنّ تلك السياسة غير تسطير المقال، في صفة غراميل** البغال، وغيرالكلام في الجرذان، وبنات وردان***، ولَعَلَمَ أنّ بين العالم والكاتب فرقا»[2]. والجدير بالإشارة أن ابن شهيد كان أول من تلقب في الأندلس بذي الوزارتين[3]، إلا أنه لم يبلغ منزلة الكتابة في ديوان الرسائل بالرغم من زعمه أن ثقل سمعه أخره عنها ولكن في الواقع مجونه وعبثه هو الذي أخره عن الكتابة السلطانية. فالملوك يؤثرون في الكاتب العقل والرصانة على الهزل والمجون، لأن كتّاب السلاطين بمثابة المستشارين المشاركين في توجيه السياسة وتسيير دفة أمور الدولة[4]. وعن ذلك الأثر الحسن يصف مرعي المقدسي قلم كاتب السلطان قائلا:«... لازالت أقلامه جارية بمصالح العباد والبلاد، موقوفة على نهج الإصابة والسداد »[5]، فكاتب السلطان كان يقوم بدور الوسيط والمرشد والموجه بعقله وعلمه فبالرأي ينال السلطان ما لا يناله بالقوة والجنود[6].

كما يشترط في كاتب السلطان القدرة الاتصالية والالتزام بأعلى درجات الأدب كالتحلي بالهمم الشريفة والإخلاص والصبر والتجلد والنصيحة وشكر النعمة والوفاء والإخلاص للسلطان عند إقبال دولته وفي حال توليها، ومن الشروط كذلك التمسك بآداب الخدمة والمواظبة عليها[1]. وأن يكون قوي النفس،حلو اللسان، بشوشا، حليما قادرا على كتمان السرّ[2]، وأن يكون في مستوى المهمة الخطيرة المحمولة على عاتقه[3]،لأن صحبة السلطان أمرعظيم، وصاحبه راكب خطر جسيم[4].ونظرا للمهام التي كان يقوم بها كوسيط بين السلطان وحاشيته وصف هذا الدورالذي تقوم به أقلامه صاحب بديع الإنشاء قائلا: « ... لا

---

(1) ابن بسام : المصدر السابق ، ق1 ، ج1، ص ص 191، 192.

** هضاب حمر، الشيخ عبد الله البستاني البناني ، المرجع السابق ، ص 1022 .

*** وردان ، نوع من الخنافس الملونة التي تعيش في الرطوبة ، كالحمّمات . بطرس البستاني ، المرجع اللسابق ، ص 52 .

*** وردان ، نوع من الخنافس الملونة التي تعيش في الرطوبة ، كالحمّمات . بطرس البستاني ، المرجع اللسابق ، ص 52 .

(2) ابن بسام : المصدر السابق ، ق1 ، ج1، ص ص 191، 192.

(3) المقري:المصدر السابق ، ج1، ص 333.

(4) رسالة التوابع والزوابع ابن شهيد الأندلسي، تحقيق وتعليق بطرس البستاني،دار صادر، بيروت، 1387ه/1967م، ص22، ص 52.

(5) المرعي المقدسي: المصدر السابق، ورقة رقم 20.

(6) ابن قتيبة: عيون الأخبار، م1،ص 27. ابن سماك العاملي : المصدر السابق ، ص 40.

(1) القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص ص 72-81.

(2) المصدر نفسه،ج1 ، ص 107. أسعد علي وفكتور الكك: جذور العربية فروع الحياة، دار الطباعة و النشر، دمشق ، ط2، 1401هـ/1981م، ص 102.

(3) ابن الأحمر: مستودع العلامة ، ص 8.

(4) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، المصدر السابق م1، ص 19 . القلقشندي : المصدر السابق ،ج1 ، ص 72.

زالت أقلامه تجري بالسعادة والسعود، وتبعث الأماني البيض من الخطوط السود، وتضرب سحب إحسانها هفات الآمال و تجود»[5].

إن حيازة الكاتب على جميع هذه الشروط من الكفاءات الأخلاقية والعلمية والمعارف الموسوعية التي ذكرناها، لا تؤهل ولا تشفع للكاتب المترشح مهما بلغ درجاتها العالية الوصول إلى خطة الكتابة السلطانية إلاّ إذا «كان حسن الوجه، معتدل القامة، وصغير الهامة، وكثيف اللحية، مليح الاستمارة ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة متفاوت الأجزاء، طويل اللحية، عظيم الهامة لأنها زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة»[6] لأنه هو الذي« يقيم في المحافل جاهه»[7]. وفي هذا السياق سجل صاحب الذخيرة نصا نقلا عن ابن شهيد، رسم فيه بأسلوبه الهزلي أبرز من خلاله أهم الصفات التي كانت عائقا أمام بعض نوابغ الكتابة الديوانية من الوصول إلى مرتبة الكتابة السلطانية، فلقد كان« سهيل كاتب سلاطين أما الجاحظ، فكان صاحب دواوين على الرغم من أنه كان واحد البلاغةِ في عصره، لم يبلغ شرف المنزلة بشرف الصنعة والجاه مثل ابن الزيّات وإبراهيم بن العباس*، والسبب في ذلك إفراط جحوظ عينيه قعد به عنها، كما قصر بي أنا فيها ثقل سمعي، وبأبي القاسم*ورم أنفه[1]،إذ لابد للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليها عينه، وأذنٍ ذكيةٍ تسمع منه حسه، وأنفٍ نقي لا تذمُّ أنفاسه عند مقاربته له»[2].وفي قصيدة، يتهكم بكاتب قال فيها:

أَبو جَعْفَرٍ** رَجُلٌ كاتِبٌ مَلِيحٌ شبَا الخَطِّ حُلْوُ الكِتَابَـةِ
تَمَلأُ شَدْماً وَلَحْماً وَمَا يَلِيقُ تَمَلـؤُهُ بِالْكِتَابَــةِ[3]

---

(5) مرعي المقدسي : المصدر السابق، ورقة رقم 20.
(6) النويري: المصدر السابق، ج7، ص ص12-13.
(7) ابن السماك العاملي : ، المصدر السابق ، ص 40 .
* إبراهيم بن العباس: من أبرز كتاب الدولة العباسية عاش ما بين (176-243هـ/800-857م) أصله من خرسان، نشأ في بغداد كتب للمعتصم والواثق والمتوكل، جمع الشعر إلى الكتابة، وكان بينه وبين ابن الزيات. ابن الأبار: إعتاب الكتاب ، ص ص 146-149.
*هو القاسم بن عبد الله ، (258-291هـ/868 -903 م) كاتب و شاعر ، وزر لكل من المعتضد بالله أحمد (و242 -ت289 هـ/856-901 م) والمكتفي بالله أبو محمد (و264-ت295هـ/877-907 م). المصدر نفسه، ص ص 181- 182 وهامش رقم 5. ينظر السيوطي : المصدر السابق ،ص ص 430 -435 و ص ص437-439.
(1) ابن بسام: المصدر السابق، ق1، ج1، ص 191.رسالة التوابع و الزوابع، ص 51.
(2) المصدرنفسه، الصفحة نفسها .
** هو أحمد بن العباس بن أبي زكريا يكنى أبا جعفر، كان فريدا في المال، والعجب والبخل، والكتابة، فله «بها يد ، ونفس ممتد، ويوم وغد، وعدة وعدد»، ابن بسام: المصدر السابق، ق1، ج1، ص ص 492-493. كان وزيرا وكاتبا، للفتى العامري الأمير الصقلبي زهير، صاحب المرية 419-429هـ/1028-1037م) ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص169. ورث الوزارة عن أبيه. ابن الخطيب : الإحاطة...، المصدر السابق، ج1، ص125 . وكان مقتله على يد باديس بن حبوس . صاحب غرناطة، سنة 429هـ/1038م. ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص ص 166-167. للمزيد، انظر ابن بسام : المصدر السابق، ق1، ج2، ص ص 502-511. كان لابن عباس بيت من شعر قبل محنته يقول فيه: « عيون الحوادث عني نيام وهضمي على الدهر شيء حرام .» لكن الدهر غدار فانقلب عليه وعلى عزه . ابن بسام : المصدر السابق ، ق1، ج2، ص510 .
(3) المصدر نفسه، ق1، ج1، ص238.

ويجب أن يكون نقي الجسد والثياب وهي شروط مظهر كاتب السلطان بحيث يكون «طيِّب الرائحة، سليم آلات الحواس، نقيّ الثوب، ولا يكون وسخ الضرس، منقلب الشفة، مكحل الأظفور، وضر الطوق»[4]. لأن الملوك ترى بأن الذي يهمل نفسه كان لغيره أكثر إهمالا[5]. تلك هي إذا الخصال والصفات التي كانت حينئذ المنشودة, ولقد تبين من خلالها ما كان يشترط ويطلب في كاتب السلطان على الخصوص من ثقافة واسعة وتهذيب في الذوق وحلم وأناة وذكاء وقدرة على تصريف الأمور وإحسان للجواب ولباقة في الخطاب وبلاغة في الكلام. ومقام وظيفته الشريفة من الأسباب التي لا تسمح له ولأمثاله بالتقصير في الخدمة السلطانية[6].

2- الرسوم الخاصة بكاتب السلطان (صاحب ديوان الرسائل):

نال صاحب ديوان الرسائل أي كاتب السلطان شرف المكانة بشرف المنصب[7]. فلا غرو أن يكون لهذا الكاتب المشارك في سياسة الدولة وتدبير شؤونها أكبر اعتبار وأسمى منزلة بين أكابر الدولة وزعمائها[8]، لذلك حرص بنو أميّة بالأندلس خلفا عن سلف على تطبيق رسوم خصوا بها كتابهم وما كان لواحد منهم أن يخل بهذه الرسوم. فهو عنوان نعمتهم وبهاء سلطانهم وقوته. لقد كانت مظاهر الرسوم التي حظي بها كاتب السلطان لصيقة بخطة الكتابة وكمال الملك وبهاء السلطان[1]. وقد وصف القلقشندي مكانته بقوله: « ولم يزل صاحب هذا الديوان (الرسائل) معظما عند الملوك في كل زمان، مقدما لديهم على من عداه: يلقون إليه أسرارهم، و يخصونه بخفايا أمورهم، ويطلعونه على ما لم يطلّع عليه أخص الأخصاء: من الوزراء و الأهل و الولد»[2]. ومن هذه الرسوم التي جرت العادة عليها عند حكام الأمويين أن تكون خطة الكتابة متوارثة. شأنها في ذلك شأن بقية الخطط الكبرى التي كانت مراتبها «عندهم كالمتوارثة في البيوت المعلومة لذلك»[3]. لأن الأمويين حرصوا كل الحرص على وضع

(4) نفسه، ق1، ج1، ص ص 191-192. النويري :المصدر السابق ، ج7،ص ص 12-13 .
(5) القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص80.
(6) الجهشياري : المصدر السابق، ص 77.
(7) ابن عذاري : المصدر السابق، ج2، ص 108.
(8) ابن الأحمر: مستودع العلامة، ص 8. دائرة المعارف الإسلامية : المرجع السابق ، ص 258 .
(1) الجهشياري: المصدر السابق، ص2. ابن السماك العاملي : المصدر السابق ، ص 41.
(2) صبح الأعشى: المصدر السابق، ج1، ص101.
(3) المقري: المصدر السابق، ج1، ص ص 201-202. ينظر الفصل التمهيدي، من هذا البحث، ص 17 .

خطط دولتهم بأيدي أبناء أسر معيّنة، فإذا توفي صاحب الخطة، نظروا في ذريته، واستقدموا أحدهم ليليها مكان أبيه، حتى وإن كان ذلك الولد لا يملك ما يؤهله لتوليها[4].

اقتضت عادة هذه الرسوم أن يكون لكاتب السلطان مجلس خاص بديوان الرسائل أو ببيت الكتابة، يكون له فراش الوزارة[5]. ويفترض أن يزود بدواة وكرسي ومسند ومخدة[6]، وكان عليه الإكثار من التعطير ومواصلة لستعمل البخور* والمسك والطيب[7]. وفي هذا السياق يصف أحد الكتاب المراتب الأدبية والتشريفات العالية التي حظي بها صاحب ديوان الرسائل قائلا: «فنعمنا الشريفة اقتضت حكمتها أن تضع كل شيء في محله، وفضلنا المنيف أبى أن يكون إلاّ لأهله، وسرنا المصون، بخل أن يجلس إلاّ في صدور الكرام الكاتبين»[9].

ولقد جرت العادة أن يجلس أهل الخدمة السلطانية عند ظهور الخليفة خاصة في الأعياد والاحتفالات وعند قدوم سفارات الوفود الأجنبية من ملوك النصارى كل حسب مراتبهم ومرتبة الكاتب الخاص في بلاد الأندلس الجلوس عن يمين الخليفة[1].

كما نال حظ التشريف بالالقاب السلطانية. كصاحب قلم بني امية الاعلى أو كاتبهم العظيم[2]. وفي كثير من الأحيان كرم كاتب بني أمية العظيم بلقب "الوزير"، ولقد جرت العادة في هذا الرسم أن يتبع بحظوة ورزق معلوم[3] بالإضافة إلى الراتب الشهري الذي يتقاضاه الكاتب، وقد تراوح ما بين 300 دينار[4] إلى 30 وازنة[5]، هذا في داخل القصر الخلافي. أما

---

(4) حسين مؤنس: معالم تاريخ...، المرجع السابق، ص 329.
(5) ابن القوطية المصدر السابق، ص 97 .
(6) القلقشندي: المصدر السابق، ج 1، ص102 .
* كان كاتب سلطان الخليفة الفاطمي إذا جلس وضعت أمامه دواة محلاة بالذهب والفضة فإذا انتهى المجلس اعطي في هذه الدواة كاغدة فيها عشر دنانير، و قرطاس فيه ثلاث مناقيل ممزوج بالمسك ليتبخر به عند دخوله على الخليفة في المرة التالية. حسن ابراهيم حسن:المرجع السابق، ص281 .
(7) القلقشندي: المصدر السابق، ج1، ص80.
(9) تقي الدين أبي بكر بن حجة الحموي: قهوة الإنشاء ، مخطوطة . تاريخ النسخ 840 هـ/1462م. برقم 1898. المكتبة الوطنية، الحامة ، الجزائر، و 3.
(1) ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق حجي ، ص 81، ص 136،ص230.
(2) قال ابن الأحمر "وكان يعبر عن كاتب الانشاء بصاحب القلم الأعلى ثم صار هذا الرسم يعبر به في زمامنا هذا عن كاتب العلامة: نثير الجمان، المصدر السابق، ص 132 .
(3) أحمد فكري : المرجع السابق، ج1، ص292.
(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص80. .
(5) المصدر نفسه، ج2، ص 156.

في خارجه فلقد نال الديار الفاخرة والبساتين، من أمثلة ذلك الكاتب عبد الرحمان الزجالي كاتب الخليفة الناصر لدين الله امتلك حيرا* خارج باب اليهود بقرطبة وهو من أجمل الأماكن «به جابية، كل لجة بها كابيه، قد قربصت بالذهب واللازورد»[6] وفي ذلك قال ابن شهيد وكان من أقرب أصدقائه:

لَقَدْ أَطْلَعُوا عِنْدَ بَابِ اليَهُودِ شَمْسًا أَبِي الحَسَنِ أَنْ تَكْسَفَا
تَرَاهُ اليَهُودُ عَلَى بَابِهَا أَمِيرًا فَتَحْسِبُهُ يُوسُفَا [7]

تابع الخليفة الحكم المستنصر بالله نهج أبيه في تكريم كتّابه الخاصين، فصاحب الكتابة العليا وزيره الحاجب المصحفي نال حظوة كبيرة فأصبح من كبار رجال دولته وفي ذلك يقول ابن خاقان «وعنه كان يسمع ويبصر، فأدرك بذلك ما أدرك، ونصب لأمانيه الحبائل والشرك»[1] كانت له منية بغربي قرطبة، لكنها آلت بعد نكبته إلى الحاجب المنصور[2].

هذا، ولقد كان من عادة كتّاب الأندلس ترك العمائم في معظم الأحوال وهو تقليد غالب عند أهل الأندلس[3]، وهذا عكس ما عند أهل المشرق فقد كان كشف الرأس تعزيرا وهوانا في العراق وهو في الأندلس أناقة[4].

أما عن عطلة كاتب السلطان بالأندلس، فيبدو أنها تأكدت برسم تعطيل الخدمة في الديوان في يوم الأحد، ومضوا على هذا الرسم إلى عهد الخلافة[5]. مما دل على مدى تأثر المجتمع الإسلامي في الأندلس بالنصارى المستعربين في رسوم حياتهم، ومثل ذلك نراه أيضا

---

* بالفتح في الأصل المكان يجتمع الماء فيه، وهو هنا البستان. الشيخ عبد الله البستاني ، المرجع السابق ، ص 365.

(6) المقري: المصدر السابق ، ج2، ص 161.

(7) المصدر نفسه الصفحة نفسها .

(1) مطمح الأنفس ، ص ص 56-57

(2) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص258. أنظر ، عبد العزيز سالم : قرطبة ...، المرجع السابق ، ج1 ، ص212 .

(3) المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص207.

(4) ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك ، ج2، ص160.

(5) اتخذ المسلمون في الأندلس يوم الأحد عطلة الأسبوع وهو تقليد قديم يعود رسمه إلى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمان بن الحكم الأول مدة حكمه (237-273ه/852-886 م)، وكان أول من سن هذا التقليد كاتب الأمير محمد قومس بن أنتنيان، ابن حيان : المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص 138 وحاشية رقم 298، ص 519. ينظر ابن سماك العاملي : الزهرات المنثورة ، ص 73.

في اصطناعهم لأعياد* النصرانية[6]. أما في المشرق فلقد كانت عطلة الكتّاب يوم الخميس للاستراحة والنظر في أمورهم، أما يوم الجمعة فهو للصلاة والعبادة[7].

كما حظي ديوان الرسائل بمجموعة من الرسوم الإدارية وكذا الفخرية وهذا الذي سأعمل على إبرازه من خلال استجلاء التكامل داخل نظام رسوم الكتابة السلطانية وكتابها.

3- رسوم وخصائص الكتابة السلطانية:

أ- رسوم تنصيب الكاتب: رافق تنصيب كاتب السلطان العديد من الرسوم والإجراءات الإدارية ،منها اختبار قدرة ومهارة الكاتب البلاغية فإن أثبت كفاءته نال منصبه، وكان الخليفة الوحيد في بلاد الأندلس الذي يمنح الكاتب قرار تعيين القبول في شكل صك سلطاني يكون في العادة عبارة عن ظهير أو أمر[1]، مؤرخ يتم بموجبه تقليد كاتب السلطان الذي يكون محلّفا يؤدّي اليمين قبل مباشرة خطته[2]. هذا ولقد كانت هذه الرسوم جارية على معظم الخطط والوظائف الكبرى لدولة الأمويين بالأندلس مثل القضاء والحجابة كما سيأتي ذكره لاحقا[3]

ب- رسوم الكتابة السلطانية: تشدد حكام بنو أمية في رسوم الكتابة السلطانية من حيث الشكل والمضمون ألزموا جميع الكتّاب التقيد بها[4] ومن هذه الرسوم كذلك أن تكون الكتب من الخلفاء وإليهم، وإلى الرؤساء بأكمل الخطوط وأبينها، وأحسنها[5]، ويراعي المداد ويميز الرق فيحسن اختياره[6]. ولا يستثنى أحدا من هذه التعليمات سواء ولاة الكور وقادة الثغور من اتباع هذه الرسوم، فمن أرسل كتابا إلى بيت الوزراء بقرطبة في رق رديء، أو مداد دبّي، أو كان

---

* كعيد "النيروز" احتفال برأس السنة عند المسحيين، وكذلك عيد "العنصرة" أي المهرجان، وهو عيد يحتفل به من كل 24 يونية. ابن عذاري: المصدر السابق ، ج3،ص84 . مزيدا عن هذين العيدين ينظر، المقريزي: الخطط، المصدر السابق ، ج1، ص ص501-505 من المناسبات كذلك "ليلة العجوز"، و"خميس الدهر". للمزيد أنظر، سالم الخلف : المرجع السابق ، ج1، ص ص 296-297. =

(6) E Levi Provençal, opcit, T3, pp 437-438.

(7) الجهشياري: المصدر السابق، ص166.

(1) ابن القوطية : المصدر السابق، ص 97. ابن حيان : المصدر السابق، تحقيق، ملشور، ص ص 39-40 ينظر الفصل التمهيدي من هذا البحث ، ص 16. مثل أمر عبد الرحمن الناصر المؤرخ سنة 344هـ الذي أصدر بموجبه تقليد الكتابة السلطانية و توزيعها على أربعة من وزراءه ، ينظر ص 29 من هذا الفصل.

(2) قال دوزي في مادة حلف ما ترجمته :و كان المستحلف في اسبانيا أنواع متعددة ، R Dozy Supplement aux dictionaires arabes T1 p316 . نقلا عن ظافر القاسمي : المرجع السابق ،ج2، ص 239 . ينظر أحمد فكري: المرجع السابق ،ج1 ، ص 302 .

(3) المرجع نفسه الصفحة نفسها .

(4) ينظر نص الكتاب السلطاني الموجه لأهل الخدمة الذي حدد فيه رسوم الكتابة من حيث الشكل في الملحق رقم (3) من هذا البحث، ص ص 125- 27 1 .

(5) ابن السماك العاملي : رونق التحبير ، ص53 .

(6) ابن بسام : المصدر السابق ، ق1 م1 ص 93.

خطه غير جيّد، أو في عبارته لحن، و ما شاكل ذلك، فلا ينظر في طلبه، بل سيعاقب بالعزل وإغرام المال[7].

وكان رسم كتابتها أن تكون الأسطار ممتدة إلى سطح البطاقة الأيسر، وأن تكون أسفل الأسطار في البطاقة، ينقص من سطر البسملة الربع أو نحوه، وأن تكون الكتب من الملوك والرؤساء في عرض البطاقة[8]. وأن تكون الكتب من الملوك و الرؤساء إلى من دونهم في طول البطاقة[9]. وينبغي للملك أن يكرم صديقه أو من يكتب إليه عن أن يكتب إليه في ظهر كتابه أو ظهر غيره، إلا من الضرورة الشديدة، وتكون تسوية البطاقة على وجهين، وأن تسوى الجهة الواحدة منفردة ثم تقاس عليها الجهة الأخرى»[1].

أما عن أركان وعناصر الرسالة السلطانية في الأندلس، فلقد اتبعت عادة ورسوم الرسائل الديوانية المعمول بها في باقي بلدان العالم الإسلامي[2]. وهي: البسملة، والتصلية على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله و صحبه[3] والبعدية، ذكر المرسل، والمرسل إليه، والدعاء لهما، التحية والتحميد. والغرض من الكتاب، والخاتمة وتأريخ الكتاب وتختم بالسلام والدعاء[4]. أما القلقشندي فبعد معاينته للرسالة الديوانية في الأندلس وجد فيها سمات انفردت بها عن بلاد المشرق[5]. ومن أهم هذه المميزات التي طبعت أسلوب كتّاب الرسائل في المغرب الإسلامي والأندلس، ميزة ميم الجمع، ويقصد بها تكريم المكتوب إليه وإجلاله ولستعمل عبارة (أنا كتبنا إليكم كتب الله لكم كذا). ذكر الخليفة الداعين له بعبارات الترضية. ذكر المكتوب إليه باسمه ضمن الرسالة. ولقد جاء في كتاب الحلل الموشية نص في غاية الأهمية مفاده أن الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله، بعد مرور عام من تلقبه بلقب الخليفة

---

(7) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

(8) ابن سماك العاملي :رونق التحبير ،ص. 53

(9) كان الوزراء يطالعون بآرائهم الى الأمير في بطاقة "dépêche"، لكن وزيره النضر بن سلمة طالعه برأيه في أمر ما في ورقة، فلما وقف عليها الأمير عبد الله لم يعجبه ذلك فكتب له:

أَنْتَ يَا نَضْرَ آبِدَةٌ   لَيْسَتْ رُتْجَى لِفَائِدَةٍ

إِنَّمَا أَنْتَ عُـــدَّة   لكنيــف ومـــــائدة »

ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 154 . E Levi. Provençal, opcit, T3, p 25.

(1) ابن سماك العاملي : المصدر السابق، ص 53.

(2) محمد مسعود جبران: المرجع السابق، ج2، ص 128.

(3) علي بن محمد :المرجع السابق، ج2، ص ص 482-483.

(4) ينظر هذا النموذج: في كتاب عبد الرحمان الناصر الذي أرسله الى الولاة عندما لقب نفسه الخليفة أمير المؤمنين. ابن عذاري : المصدر السابق، ج2، ص ص 198-199. القلقشندي: المصدر السابق: ج7، ص0 3 ص 36. هذا و سيتضمن الفصل الثالث نماذج من موضوعات الكتب السلطانية للخلافة الأموية بالأندلس.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها. ينظر سامية جباري: أدب الرسائل الديوانية في المغرب و الأندلس، من فتح الأندلس الى سقوط غرناطة (92- 897هـ) غير مطبوعة .رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، معهد اللغة العربية و آدابها . السنة ، 1999-2000 م. ص 165.

«نفذ كتابه أن يكون الخطاب كله جوابا بالكتابة عنه ((بالهاء)) التي هي كناية الغائب ((دون الكاف)) التي هي كناية المخاطب مفرقا بينه وبين من هو دونه، وأن يلتزم ذلك أهل المملكة... تعظيما لقدره، وإكبارا لمحله، فجرى الرسم بذلك»[6].

والجدير بالإشارة أن الانقلابات السياسية التي طرأت مع بداية القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر ميلادي وتحديدا عند إندلاع الفتنة سنة 399هـ/1009م، بدولة الأمويين بالأندلس، فلقد عمت فيها الفوضى والمباغة الظرفية و تدهور ت على إ ثر ذلك كافة ا لخطط التي أصبحت عبارة عن زخرف من التسطير[7]. فانعكست على تدني مركز خطة الكتابة السلطانية وكتّابها وكذا رسومها. ومن الأمثلة عن ضعف شخصية كتّاب السلاطين الذين أصبحوا ألعوبة في يد حكام هذه المرحلة التاريخية من جهة ، مستهدفين مذمومين من قبل سخط العامة من جهة أخرى ، الكاتب ابن برد الأكبر* بأمر من الخليفة هشام المؤيد و تحت تهديد سيف سلطة الحاجب عبد الرحمان (شنجول) قام هذا الكاتب بتحريرمرسوم ولاية العهد[1] لصالح هذا الحاجب الذي كان القاضي بن ذكوان** شاهدا ومصادقا عليه . ولقد بان لاستنكار العامة عليهما في أبيات الشعر :

إِنَّ ابْنَ ذَكْوَانَ وَابْنَ بُرْدٍ نَاقَضَا الدِّينَ عَيْنَ عَهْدِ

---

(6) مجهول :الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 32.

(7) ابن بسام : المصدر السابق ، ق1 ،م1 ، ص 50.

*هو أبو حفص أحمد بن برد، كاتب أندلسي من أقطاب النثر السلطاني، كان ذا حظ وافر من الأدب والبلاغة، وكذا الشعر، تولى ديوان الإنشاء بعد ابن الجزيري، في الدولة العامرية. الحميدي : المصدر السابق، ص 106، توفي بسرقسطة سنة 418هـ/1020م، عن عمر يناهز الثمانين. ابن بسام: المصدر السابق، ق1، ج1، ص 90-91 .ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، أحمد فريد رفاعة بك ،دار المأمون ، القاهرة ،د ت ، ج2 ، ص 106. وهو الذي قال عنه حفيده ابن برد الأصغر السابق الذكر شعر مفتخرا به:

مَنْ شَاءَ خَبَرِي فَأَنَا ابْنُ بُرْدٍ حَدُّ حُسَامِي قِطْعَةٌ مِنْ حَدِّي
وَأَرْفَعُ النَّاس بِنَاءُ جَدِّي مَنْ نَظَمَ الأَلْفَاظَ نَظْمَ العِقْـدِ

ابن بسام: المصدر السابق ، ق1،ج1، ص 375. للزيد عن أخباره ينظر .زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ، دار الكتاب العربي، القاهرة، د ت ، ص ص 256-263 .

**هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان ، أصله من جيان . ابن سعيد يقول : الناس ينسبو بني ذكوان الى برابر فحص البلوط . وهم يزعمون أنهم من بني سليم من موالي بني أمية . المغرب في حلي المغرب ، ج1، ص148. إشتهر بالعلم والفضل الكبير ، ولقد أفرد له الحاجب المنصور بيتا داخل الزاهرة لكي يكون قريبا منه فهو مستشاره الأول المعول عليه في معظم أموره وحتى تدبير الملك ، ولذلك كان محله منه فوق محل الوزير ،كما قال النباهي : المصدر السابق ، ص 113 ، فنال المكانة ومايتبعها من مناصب سلطانية عالية تقلب فيها مثل خطة الرد ، وقضاء الجماعة وجمع له الخطبة والصلاة و أصبح على عهد الحاجب المنصور يحمل لقب قاضي القضاة . وهو أول من تسمى بهذا الإسم . في الأندلس . وكان من خير القضاة نزاهة وعلما من ورزانة. النباهي : المصدر السابق ، ص 112. وفي عهد الحاجب عبد الملك المظفر ازداد رفعة وقدر وبقي كذلك على مكانته زمن الحاجب الناصر (شنجول) الذي قلده الوزارة وكان يكتب عنه : من الوزير قاضي القضاة ، وهو أول من كتب عنه بذلك من قضاة الأندلس . ابن سعيد المغريبي , المصدر السابق ، ج1، ص148. وامتدت ولايته لغاية الفتنة ، وفي عهد المهدي بن عبد الجبار المرواني أزال عنه إسم قاضي القضاة ، مكتفيا بقاضي الجماعة . وذلك بحقده عليه ونقمته على ابن ذكوان لخاصته من العامرية وكذلك لأحكام أمضاها عليه طرد ابن ذكوان الى العدوة ، ، لأن ابن ذكوان كان يدعو للصلح مع البربر. توفي سنة413 هـ /35 10 م. النباهي : المصدر السابق ، ص 115عن أخباره ينظر الحميدي : المصدر السابق ،ص115 .

(1) المصدر نفسه، ق1 ، ج1 ، ص ص 91-92 .

وَ عَانَدَا الحَقَّ إذَا أَقَامَا حَفِيدَ شَنجَةَ وَلِيّ العَهْدِ[2]

ومن المواقف التي بينت رضوخ كتّاب السلاطين لقوة سيف السلطة ما اتضح ذلك من خلال نص لصاحب الذخيرة جاء فيه : « وكان احمد بن برد قد تقدم في عقدها -البيعة - باسم سليمان بن المرتضى فبشره وحك اسمه، وكتب اسم عبد الرحمان (المستظهر بالله***) مكانه»[1]. وفي السياق ذاته نستحضر شكوى أحد الوزراء الكتاب من الخليفة الملقب بالمستظهر بالله الذي كان يتجاهله رغم حضوره فكتب إليه قائلا:

إذَا غِبْتَ لَمْ أَحْضُرْ، وَإنْ جِئْتَ لَمْ أَسَلْ فَسِيَّانَ مِنّي مَشْهَد وَمَغِيبُ

فَأصْبَحْتُ تَيْمِيا، وَمَا كُنْتُ قَبْلَهَا لِتَيْمٍ، وَلَكِنَّ الشَّبِيهَ نَسِيبُ

وَيُقْضَى الأَمرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ وَلاَ يَسْتَأْذِنُونَ وَهُمْ شُهُودُ[2]

هذا ولقد ازداد أمر الكتابة السلطانية تدهورا وانحطاطا عندما أصبح يرتقي اليها من لا يفقه فيها شيئا فابن بسام يخبرنا بأن الخليفة الأموي المستكفي* كان « يقول للناس أجمعين: ارتاعوا/ كيف شئتم وتسموا بما أحببتم من الخطط. فتسمى بالوزارة في أيامه مفردة ومثناة أراذيل الدائرة، وأخابث النظار، فضلا عن زعانف الكتاب والخدمة »[3].

جاء هذا النص صريح في عباراته، لا تورية فيه بل عكس الأوضاع السياسية والإدارية المتدهورة التي آلت إليها خطط مؤسسات الدولة من فوضى وارتجالية.وهذا في حد ذاته يحمل قيمة ذات بعد تاريخي هام .

وعن المستوى الأدبي والأخلاقي للكتّاب أورد ابن حيان وصفا لأحد الكتبة لتلك الحقبة التاريخية حيث قال: « ونعي إلينا فلان الدغل، غازله السل، كالأفعوان الصل، وكان أحد

---

(2) ابن الأبار : الحلة السسيراء ، ج1، ص272 .

*** هو عبد الرحمان الخامس بن هشام بن [illegible] 1002 م [illegible] بني أمية. لقب بالمستظهر بعد مبايعته في جامع قرطبة ،في 16رمضان414ه/1023 م و لم تدم خلافته الا بضع أشهر قتل في 3ذي القعدة من نفس السنة ، ينظر أخباره في الذخيرة، لإبن بسام : المصدر السابق ، ق1، م1، ص ص 48-55 . و الحميدي : المصدر السابق ، ص 27، ابن عذاري : المصدر السابق ،ج3، ص ص 125-126 . المراكشي : المصدر السابق ، ج1، 105 . ابن الخطيب : أعمال ، ج2، 129-130 .

(1) ابن بسام ، المصدر السابق، ق1 ج1، ص 49 .

(2) المقري :المصدر السابق ، ج1، ص 412. ينظر بقية عتابه في المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

* المستكفي: هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر ولد سنة 366 ه/976 م ، و كان أبوه قد قتله محمد بن أبي عامر في أول دولة هشام المؤيد . ابن حزم: المصدر السابق ، ص 100. الحميدي: المصدر السابق، ص 28. بويع يوم قتل عبد الرحمان المستظهر سنة414 هـ/1023م، وتسمى بالمستكفي بالله. ابن بسام: المصدر السابق، ق1، م1، ص335.

(3) ابن بسام: المصدر السابق، ق1، م1 ص ص 336-337. نفسه ، ق1 م2 ص 455.

أعاجيب الدنيا في الفجور والخبث، والزهو والكبر، والعقوق والجرأة، ... وكان إذا كتب مضطرا يضحك من تأمله، له في ذلك نوادر محفوظة،...»[4].

وقال في وصف كاتب آخر « وفلان ساذج الكتابة بين الجهل والتخلف ...، عظيم البطالة والبطل، ... فدم الخلقة، طويل اللحية متهافت، لم يرهف الأدب طباعه، ولا أستخرج من كلمة حكمة»[5].

ويبدو أن هذه الفقرات تنم عن دقة متناهية في الوصف، وهذا طبيعي إذا أخذت بعين الاعتبار أن ابن حيان عاصرهم وعرفهم أدق المعرفة. وعلى الرغم من أن ابن بسام أسقط أسماء الكتاب المذكورين، فأصبحوا مجهولين وذلك كما صرح به حتى لا يشنع بهم وبالتالي يبعد عن نفسه وعن كتابه عيب الذم والهجاء لأن ذلك يتنافى مع أخلاقياته[1]. بالرغم من ذلك استطاع ابن حيان بأسلوبه البليغ في الذم والهجاء أن يبين مستوى الإنحطاط الأخلاقي والاجتماعي والنفسي والثقافي لكتاب السلاطين إبان فترة الفتنة، إذ تعد من أهم ما جاء في باب تصوير نماذج الكتاب متبوعة بتحليل (بسيكوسوسيوثقافي Psycho–socio-culturel) حسب تعبير مصطلحات العصر الحاضر.

وبدورها تأثرت رسوم الكتابة بتداعيات الفتنة، ويمثل كتاب الخليفة الأموي المستظهر بالله الذي ذيل به جوابه لأحد الشعراء الذي هنأه يوم بيعته في سنة 414هـ/1023م، وبالرغم من أن هذا الشاعر اعتذر ببيتين من الشعر* لأنه كتب تهنئته في رق مبشور. لكن هذا الخليفة لم يهتم بشكل الكتاب، بل فرح به وأجزل له عطاءه موقعا:

قَبِلْنَا الْعُذْرَ فِي بَشْرِ الكِتَابِ ... لَمَّا أَحْكَمْتَ فِي فَصْلِ الخِطَابِ
وَجُودُنَا بِالْجَزَاءِ بِمَا لَدَيْنَا ... عَلَى قَدْرِ الْوُجُودِ بِلا حِسَابِ
فَنَحْنُ المَنْعُومُونَ إِذَا قَدِرْنَا ... وَنَحْنُ الْغَافِرُونَ أَذَى الذِّئَابِ
وَنَحْنُ الطَّالِعُونَ بِلا امْتِرَاءٍ ... شُمُوسُ المَجْدِ مِنْ فُلْكِ التُّرَابِ[2]

يندرج هذا الكتاب ضمن موضوع أدب المجاملات السياسية، لقد جاء توقيع هذا الخليفة كانطباع للفرحة والغبطة التي غمرته، فموضوع التهنئة في مناسبة هامة – كالبيعة-

---

(4) نفسه ، الصفحة نفسها.
(5) نفسه ، ق1 م2 ،ص 456 .
(1) نفسه ، ق1، م2، ص125.
* الرِّقُّ مُبَلْوَرٌ فِيهِ بَشَارَةٌ ... يَبْقَى الإِمَامُ الفَاطِمُ المُسْتَظْهِرُ
مَلِكٌ أَعَادَ العَيْشَ غَضًّا شَخْصَهُ ... وَكَذَا يَكُونُ بِهِ طِوَالَ الأَدْهُرِ
ابن بسام : المصدر السابق ،ق1 ، ج1، ص55. ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج2، ص ص 16-17.
(2) ابن بسام : المصدر السابق ،ق1 ، ج1، ص55 .

جعلت من هذا الكتاب يكتسي أهمية بالغة لدى الخليفة المستظهر بالله، لأن هذا الشاعر شاركه الفرحة كما مدحه ورفع من شأنه ، فالشعراء كانوا ومازالوا يعدهم الحكّام من جملة مظاهر وأبهة الملك وجلال السلطان. وهذا هو المهم بالنسبة لهذا الخليفة أما قضية رسوم الكتابة السلطانية، فلا يقاس عليها.

ومن خلال استجلاء أهمية نص هذا الكتاب اتضح ، أن رسوم وتشريعات الكتابة الرسمية أضحت لا يتقيد بها من قبل الخاص -على المستوى الرسمي- وكذا العام، بدليل أن الخليفة المستظهر بالله قبل الاعتذار عن رداءة الرق، والبشر بل تجاوز ذلك إلى المكافأة بالعطاء والثناء. وهذه الحالة بكل تأكيد خالفت الرسوم التي سبق و أن أشرنا اليها ، عندما كان يعاقب بالعزل وإغرام المال من يخل برسم من رسوم الكتابة.

واتضح مما تقدم ذكره، أن عناية الأمويين بنظام الكتابة السلطانية ورسومها لم يكن يهدف إلى تزيين الواجهة السياسية وإبراز النخبة من طبقة الكتّاب، أو بهدف التعجيز أو المنافسة، بل كان بدافع إقامة مؤسسات إدارية متدرجة حازمة قوية ذات أبعاد إستراتيجية تمثلت تحديدا في التخصص والانضباط الدقيق لإدارتها تبلور عنها العديد من الدلالات الحضارية أضفت على الأندلس في عصر الخلافة الرخاء و الازدهار.



الفصل الثاني

مظاهر تطور أنماط وصيغ الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس

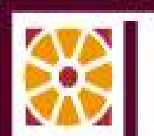
أولا: المناشير الإعلامية (المعممات)

ثانياً: كتب التولية في الخطط السلطانية

ثالثاً: كتب الاستفسار أو (تبرير غياب)

رابعاً: كتب عرض الحال (التقرير)

خامساً: كتب التهديد المستتر




لم ينحصر أثر انعكاس المتغيرات السياسية والحضارية لعصر الخلافة الأموية بالأندلس على نظم مؤسسات إدارة الكتابة السلطانية ورسومها، بل تعداها إلى أنماط الكتابة السلطانية وما رافقها من مظاهر التأنق في نسقها الأدبي من أساليب وصيغ.

وفي هذا الصدد لابد أن أشير بأن تشخيص وإجراء الجانب الفني لهذه الأنماط سيكون على سبيل المسح الخفيف لأن طبيعة الدراسة لا تسمح بالتعمق الدقيق في البناء الفني وما يتعلق به من أنواع الصيغ الأدبية ودلالات الألفاظ اللغوية التي تتطلبها الدراسة الأدبية الرأسية والأفقية لأدب الرسائل الديوانية بصفة عامة والسلطانية التي هي واحدة منها بصفة خاصة. ولذلك سيكون التركيز على مؤشرات هذا التطور من حيث ترقيها وتنوع أصنافها دون أن أتخطى تماس نسيجها الفني الذي هو جزء من مظاهرها.

أولا: المناشير الإعلامية (المعممات)*

وهي إحدى أنواع المكاتبات السلطانية التي تطورت عن أصلها الذي يرجع إلى أقدم صور الإنشاء الرسمي(السلطاني) في البلاد الإسلامية قاطبة، والتي يطلق عليها في العادة اسم كتب الإعلام والتبليغ، التي اكتست ضرورة بالغة الأهمية للسلطة المركزية. وقبل عصر الخلافة الأموية بالأندلس كان أغلبية هذا النوع من المكاتبات السلطانية قد انصبت على مخاطبة الشخص المعني والموجه إليه الكتاب(1).

ويبدو أن هذا النمط من المكاتبات السلطانية في عصر الخلافة أصبح ينشر ويوزع في نسخ عديدة -قصد تعميم البلاغ السلطاني- إلى مجموعة من الناس الذين أصبحوا معنيين بمحتواه. ومن الأمثلة على ذلك : كأن يبعث الخليفة إلى ولاة الأقاليم أمرا أو نهيا، أو توضيحا أو مرسوما وغير ذلك مما يحتاج إلى تبليغه بغرض الأمر بالعمل على تنفيذه وتطبيق ما جاء فيه. والجديد كذلك أن هذه المناشير تنوعت من حيث بناء صيغها وأغراض مضامينها. وسأقتصر على ذكر ثلاثة أنواع منها:

1- منشور إعلان لقب الخلافة الأموية بالأندلس لسنة 316 هـ/ 929 م

* هي أحد أنواع الكتب السلطانية التي تنشر وتعمم، وهي لا تقتصر على مخاطبة فرد أو جماعة قليلة، وإنما تهدف إلى إعلام جمهور من الناس، كالقادة، والولاة، علي بن محمد، المرجع السابق، ج1، ص 181.

(1) من أمثلة ذلك ينظر توقيعات حكام الإمارة الأموية المختلفة المواضيع التي عرضناها في الفصل التمهيدي من هذا البحث.

وهو لعبد الرحمان الناصر وجهه إلى ولاته وعماله في الأقاليم ليخبرهم باتخاذه لقب الخليفة، وليلزمهم بمخاطبته به، ولينبه الخطباء إلى مراعاته. ومما جاء في نص هذا المنشور الشهير: « بسم الله الرحمن الرحيم.أما بعد، فإنّا أحقّ من استوفى حقّه، وأجدر من استكمل حظّه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، للذي فضّلنا الله به، وأظهر أثرتنا فيه، ورفع سلطاننا إليه، ويسّر على أيدينا إدراكه، وسهّل بدولتنا مرامه، وللذي أشاد في الأفاق من ذكرنا، وعلو أمرنا، وأعلن من رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا واستبشارهم بدولتنا، والحمد لله ولي النعمة والإنعام بما انعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه! وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنّا وورودها علينا بذلك،اذ كل مدعوّ بهذا الاسم غيرنا منتحل له، و دخيل فيه، و متسم بما لا يستحقه.وعلمنا أنّ التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه، واسم ثابت أسقطناه. فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطباتك لنا عليه، إن شاء الله. والله المستعان!كتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجّة سنة 316» [1].

يتضح من هذا النص السلطاني أن معانيه بليغة، أما صياغته فجاءت سهلة بما يتوافق والألفاظ الصريحة، فيه توازن للعبارات ومقاطع فقراته. أما فواصله فجاء فيها تنغيم واضح. بينما السجع جاءت تلوناته بسيطة، مما جعل هذا النص بعيدا عن التعقيد الذي في العادة يعكس مستوى ودرجة السجع (..فإنّا أحقّ من استوفى حقّه، وأجدر من استكمل حظّه... ومتسم بما لا يستحقه)، ومنها (...وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه، واسم ثابت أسقطناه...). لكن الصنعة والسجع جاءت بسيطة لا تحلية فيها عفوية ودون قصد وبقيت تلك الخصائص إحدى سمات الكتابة السلطانية حتى أواخر عصر الحكم المستنصر بالله[2]. كما أصبحت طريقة بناء موضوع الكتاب واضحة من حيث البدء والعرض والخاتمة.

2- منشور الخليفة الحكم المستنصر بالله لسنة 363 هـ /973 م:

وجه الخليفة الحكم المستنصر بالله إلى جميع عمّاله وولاته منشورا، يخبرهم بنصره وظفره في حربه على الحسن بن قنون بعدوة بالمغرب، بقلم الكاتب جعفر المصحفي. وأهم ما جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله المحيط الذي لا يحاط به، والظاهر الذي لا

---

[1] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص ص 198، 199. وقد أ ورد النص نفسه مع اختلاف بسيط لبعض المفردات مجهول: الحلل الموشية...، المصدر السابق، ص ص 31-32.
[2] إ حسان عباس: المرجع السابق، ص 328.

يظهر عليه، الواحد الذي لا يكاثر والقادر الذي لا يقادر، مقدر الأقدار ومصرف الأعصار، ومكور الليل على النهار... والحمد لله رب العالمين، الذي اصطفى من عباده صفوة ... جعلهم وسائط بينه وبين عباده، ... ثم ختمهم بأكرمهم عنده مكانا، وأرفعهم لديه منزلة -محمد صلى الله عليه و سلم-، أرسله إلى الناس كافة بدين الإسلام الذي نسخ الأديان،... وأظهر فضله لقوله تبارك وتعالى:﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمَ ﴾[1]... والحمد لله الذي... انتخب من دوحته خلائف في أمته حملة لسنته، وحفظة على شريعته... والرافع لعلم مناقبهم، أمير المؤمنين... فأيد الله تعالى جنده، ونصره وأعلاه، وأظفره بمن قد كان جاهره بمعصية وأعلن مخالفته وتجانف عن طاعته... حتى استوثقت الطاعة في جميع بلاد المغرب، وقامت الدعوة بمنابر قواعده،... تعظيم الله عز وجل وتحميده وتمجيده، والثناء على رسوله صلى الله عليه... وأمير المؤمنين يأمرك أن تقرأ كتابه هذا على منابر عملك، تسر المسلمين بما تضمنه، ويحمدوا الله عليه إن شاء الله، وهو المستعان، وكتب في صدر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة»[2].

اتسم هذا المنشور كونه مفرطا في الطول (أربع صفحات وردت ضمن كتاب المقتبس) إذا ما قارناه مع منشور عبد الرحمان الناصر السالف الذكر، وعلى هذا الأساس فهذا الطول إحدى خصائصه، أما فقراته فلقد توزعت كالتالي: مداخل التحميدات والعناية بها، والتطويل فيها. و من أهم مظاهره تأثره بأسلوب عبد الحميد الكاتب الذي لمع في أواخر العصر الأموي، والذي كان أول من أطال في كتابة نص الرسائل السلطانية وأكثر من التحميدات[3]. لم يأت استعماله هذه التحميدات عن طريق التلقائية، بل أصبحت فناً من فنون الصياغة الأدبية للكتب والرسائل السلطانية، فالتحميدات أصبحت المجلى الأول الذي يقف عليه المتلقي في أنساق الرسائل وقد عني المبدعون عناية تامة بنسج هذا الفن. ظهر ذلك جليا عند ضياء الدين بن الأثير الذي نظّر لفن التحميد وجعل من هذا الفن عنوانا لجودة الكاتب وبراعته حيث قال:« ومن الحذاقة في هذا الباب أن تجعل التحميدات في أوائل الكتب السلطانية مناسبة لمعاني تلك الكتب، وإنما خصصت الكتب السلطانية دون غيرها لأن التحاميد لا تصدر في غيره، فانها تكون قد تضمنت أمورا لائقة بالتحميد كفتح معقل أو هزيمة جيش أو جرى هذا

(1) سورة آل عمران، الآية 19.
(2) ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق حجي، ص ص 178-182.
(3) أحمد هيكل: المرجع السابق، ص175.

المجرى...»[(1)]. وعدوا القدرة فيه علامة من علامات الحذق كما كانوا يوائمون في نسقه بين الحمد وما يتصل بغرض الموضوع، والكاتب ابن برد الأكبر في هذا الكتاب قد أكثر ونوع من حيث الغرض والهدف لأن ذلك يجعله متقدما بارزا في صناعة الكتابة السلطانية.

وبالفعل فلقد أظهر الكاتب الوزير المصحفي بأنه يملك بيان هذا الفن من خلال الأنواع والأغراض التي افتتح بها هذا الكتاب: فالتحميد الأول مدخل حقيقي، والتحميد الثاني غرضه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام، أما التحميد الثالث فغرضه ذكر خلفائه الذين منهم ((أمير المؤمنين)) أي الحكم المستنصر بالله. وكان هذا هو الهدف الحقيقي لكل هذه التحميدات. ومن هنا تبرز لنا جليا الخصائص الجديدة التي لم تسبق عهد هذا المنشور.

ومن جهة ثانية فلقد حفل هذا النص بالكثير من ألوان الانسجام*مثل (ثم ختمهم بأكرمهم عنده مكانا، وأرفعهم لديه منزلة محمد صلى الله عليه وسلم، أرسله إلى الناس كافة بدين الإسلام الذي نسخ الأديان) والترصيع**مثل (انتخب من دوحته خلائف في أمته حملة لسنته، وحفظة على شريعته) والبديع*** مثل (فأيد الله تعالى جنده، ونصره وأعلاه، وأظفره بمن قد كان جاهره بمعصية وأعلن مخالفته وتجانف عن طاعته) والسجع**** (مقدر الأقدار ومصرف الأعصار، ومكور الليل على النهار) التي اكتست بها خاصة مقاطع التحميدات. لأن الفقرات الأخيرة منه كادت أن تكون خالية من كل زينة وزخرفة بيانية* التي عادة لا يغفلها كاتب سلطان بليغ مثل الحاجب جعفر المصحفي[(1)] الظاهر أن غرض الخليفة الحكم المستنصر بالله في شرح نبأ القضاء على تلك ثورة بدقة وإسهاب جاء ضمن إستراتجيات التي كان يهدف من ورائها إلى إعادة الشعور بالأمن إلى البلاد ،ومن ناحية أخرى وضع حد للعصاة والخارجين عن الطاعة، ولكل من تسول له نفسه التمرد على السلطة.

---

(1) المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر: ج3، ص 108 .

* الانسجام : سلامة الألفاظ وسهولة المعاني مع جزالتها وتناسبها، السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، توثيق، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1420هـ/1999م، ص 335 .

** الترصيع: توازن الألفاظ و توافقها، المرجع نفسه، ص 332.

*** البديع: لغة: المخترع الموجد على غير مثال سابق، أي بدعه واخترعه، واصطلاحا: هو علم يعرف به وجوه التحسين، من الأساليب التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتزيده رونقا وبعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد. وواضعه عبد الله بن المعتز المتوفى سنة 274هـ/896 م، نفسه، ص 298.

**** السجع : هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير. نفسه، ص330 .

* البيان معناه في اللغة: الكشف والإيضاح وفي الاصطلاح: أصول وقواعد يعرف بها يراد المعنى الواح بطرق يختلف بعضها عن بعض، نفسه، ص216.

(1) علي بن محمد : المرجع السابق ، ج1، س 184.

3- منشور الحاجب عبد الملك المظفر** لسنة 397 هـ/1007 م:

والذي وجهه إلى عامة الناس حين قتل عيسى بن سعيد القطاع وزيره. والكتاب بقلم الوزير الكاتب أبي حفص بن برد الأكبر وأهم ما جاء فيه:« أيها الناس– وفقكم الله لعصمته، واستنقذكم برحمته- إن من علم منكم حال الخائن عيسى بن سعيد*** بالمشاهدة، ورأى مبلغ النعمة عليه بالمحاضرة، فقد اكتفى بما شهد، واجتزأ بما عاين وحضر؛ ومن غاب عنه كُنْهُ ذلك من عوامكم بانتزاح منزل أو لاتصال شغل، فليعلم أنَّا أخّذناه من الحضيض الأوهد، وانتشلناه من شظف للعيش الأنكد، فرفعنا خسيسته، وأتممنا نقيصته، وخوّلناه صنوف الأموال، وصيّرنا حاله فوق الأحوال... فلم يقم لله تعالى بحق، ولا قابل إحسانه بصدق، ولا عامل رعيّتَنا برفق، ولا تناول خدمتنا بحذق؛ بل أعلن بالمعاصي، واستذل الأعزة وذوي الهيئات... ونبذ عهودنا، وخالف سبلنا،... حاول شق عصا الأمة، وهدّ ركن الخلافة والأمانة،... حتى صرعه بغيه، وأسلمه غدره، وأخذه الله بما اجترم...، وصار إلى نار الله وسعيره...»(2).

هذا النص السلطاني هو جزء صغير من أصل عدد من الفقرات مما يدل على طابع ميل الكتابة السلطانية الإعلامية إلى الإفاضة والتطويل، وهذا عكس عهد الإمارة فالنثر السلطاني الذي سبق وأن بينت البعض من عييناته في الفصل التمهيدي من هذا البحث كان معظمه كثيرالإيجاز مركزا نحو القصد في التعبير وإيثارة المعنى. ولقد تبين من خلال ذلك كيف كانت حينها تفضل الكتابة كلما انتحلت طبيعة التوقيعات فأصحابها هم المشهود لهم بالبلاغة في ذلك العصر(1).

** هو أبو مروان عبد الملك بن الحاجب المنصور ، ولد بقرطبة 364هـ/ 974م. ابن عذاري : المصدر السابق، ج3، ص ، تولى الحجابة سنة 392هـ-399هـ/1002م-1009م. بعهد من أبيه، ابن الخطيب: أعمال ...، المصدر السابق، ج2، ص 80. سار على نهج أبيه في الجهاد ضد النصارى، وكذا سياسته اتجاه عدوة المغرب. المراكشي : المعجب ...، المصدر السابق، نال الألقاب السلطانية سنة 398هـ/1008 م، ينظر نص التسمية في البيان ج3، ص ص 16-17. فكان أول من اجتمع له لقبان من ملوك الأندلس. ابن عذاري: المصدر السابق ، ج3، ص 17 . أصبحت المراسلات السلطانية في عهده : « تكتب من الحاجب المظفر سيف الدولة أبي مروان عبد الملك بن المنصور » Levi Provençal, T2, opcit, pp 281-282. ومن الأشعار التي قيلت بمناسبة هذا اللقب :

دَعَــاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيــنَ المُظَفّرَا وَ سَمّاكَ سَيْفَ الدّوْلَةِ لِلْمُتَخَيرَا

المصدر نفسه، الصفحة نفسها . كانت وفاته سنة399 هـ/ 1009 م. ابن عذاري : المصدر السابق، ج3، ص ص 36- 37.

*** هو ابو الأصبغ عيسى بن سعي اليحصبي المعروف بالقطاع عربي من بني ال الجزيري، كان من أبرزكّتاب الحاجب المنصور نال المكانة والحظوة الرفيعة عنده ،ابن بسام : المصدر السابق، ق1 ، ج1، ص106. ترقى في المناصب العالية على عهد الحاجب المظفر، حتى أصبح المدبر لدولته ، فطغى. ابن عذاري، المصدر السابق ج3 ص ص 25-26 . فقتل على يد الحاجب عبد الملك المظفر سنة 397.ه/1006م . ابن بسام: المصدر السابق ، ق1، ج1 ، ص ص106 -107. ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 3 ، ص ص 32-33. ينظر أخباره كذلك في كتاب مفاخر البربر : المصدر السابق ، تحقيق عبد القادر بوباية ، ص ص 116-117 .

(2) ابن بسّام: المصدر السابق، ق1، ج1، ص103.

(1) إحسان عباس : المرجع السابق، ص ص 326- 327 .

إن التحولات التي طرأت على سمة صيغ الكتابة السلطانية بدأت ملامحها تظهر منذ الشطر الأول من عصر الخلافة، واستمرت بعد ذلك في التطور خصوصا في هذا النوع حتى بلغت حجما كبيرا من الطول والسعة[2]. كما رافقت هذه النصوص السلطانية تلوينات الصيغ الأدبية التي برزت بصفة خاصة في نص منشور الحاجب عبد الملك الذي تميز عن المنشورين السابقين من الناحية الفنية فلقد ظهر أكثر صنعة كما التزم بالسجع مثل:(..وخوّ لناه صنوف الأموال، وصيّرنا حاله فوق الأحوال ...) و(... ولا قابل إحسانه بصدق، ولا امل رعيّتَنا برفق، ولا تناول خدمتنا بحذق...)أما الإزدواج* كما في (..أخّذناه من الحضيض الأوهد، وانتشلناه من شظف العيش الأنكد...)... الخ.

ولقد اتضحت خصائص هذا النص سواء من ناحية اكتمال الأدوات البلاغية، أو نضج الأساليب البيانية، حيث كشفت عن بصمة شخصية الكاتب ابن برد الأكبر أحد أساطين الترسل الذي ذاع صيته في هذا القرن، والذي نالت الكتابة السلطانية على يده تقدما ملحوظا[3]. وفي هذا الصدد يتضح من خلال هذا النوع من النصوص السلطانية ذات الصبغة الإعلامية، بأنه يختلف عن المنشورين السابقين فهو موجه إلى جميع الناس بدون استثناء. وقد شاع استخدام هذا النمط من الكتب السلطانية في أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، خاصة بعد ظهور انعكاسات الفتنة وما أفرزته من عصيان وتمرد على سلطة الخلافة.

ومن الواضح الجلي أن هذه المناشير الثلاثة هي ضرب جديد في الكتابة السلطانية، والذي شاع استخدامه خلال عصر الخلافة الأموية بالأندلس، وقد جاءت على نمطين منهما ما هو محدود النشر موجه إلى فئة من قادة النظام ورجالات الدولة كولاة الأقاليم والقادة، ومنها ما وجه إلى جمهور الناس، وكانت تقرأ في المساجد، وكان الطابع الغالب لهذه المناشير كتب التهديد والترهيب، وكذلك كتب الفتح.

ثانياً: كتب التولية في الخطط السلطانية:

شغلت كتب التولية في الخطط الكبرى أهمية بالغة من قبل الخلفاء بني أمية وذلك لارتباطها المباشر بالسياسة الداخلية وتنظيم شؤون إدارة الدولة .

---

(2) علي بن محمد: المرجع السابق، ج1، ص 184 .
* هو تجانس اللفظين المتجاورين : نحو من جد وجد ، ومن لج ولج .السيد أحمد الهاشمي: المرجع السابق، ص330 .
(3) علي بن محمد: المرجع السابق، ج1، ص 185.

وعلى هذا الأساس تأثرت الكتابة السلطانية الخاصة بمراسيم التعيين في المناصب السلطانية بالتحولات والتطورات التي واكبت عصر الخلافة.ولقد ظهرت على اثر ذلك أنماط جديدة بصيغ وأغراض مختلفة، ذاع تداولها في المكاتبات السلطانية لهذا العصر.

وقد انقسمت أغراضها إلى نوعين: الأول منها خاص بتعيين رجالات الدولة في الخطط الكبرى والمراتب العليا، أما النوع الثاني يتعلق بسجلات تكليف وانتداب زعماء القبائل وفيما يلي سأدرج بعض الأمثلة من هذه الأنواع .

1- مرسوم تعيين القاضي محمد بن السليم* لسنة 353 هـ/964 م:

ولقد نص ظهير ولايته: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب أمر به أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله محمد بن إسحاق بن السليم؛ ولاه به خطة القضاء، واختاره للحكم بين جميع المسلمين، ورفعه إلى أعلى المراتب عنده في تنفيذ الأحكام، غير مطلق يده إلاّ بالحق، ولسانه إلاّ بالعدل ورسم له في كتابه رسوما بدا فيه بأمانة الله – عز وجل – إليه .. فإنه عهد الله الذي بعث به نبيه صلى الله عليه وسلم فأحل حلاله، وحرّم حرامه، وأمضى أحكامه، وفارق الأمة، على أنهم لن يضلوا ما اتبعوه؛ فهو العروة الوثقى..وأمره أن يصلح سريرته فيها، يصلح الله على علانيته...وأن يجعل الناس في نفسه سواء، إذا جلس للحكم بينهم، حتى لا يطمع فيه الشريف، ولا ييأس منه الضعيف... وأمره أن يحتفظ في حين وقوع الشهادات عنده، فلا يقضي بين المسلمين منها بما أقامه به التحقيق على ألسنة العدول، ذوي القبول... وأن يحترس بأموال اليتامى، ولا يولي عليهم إلا أهل العفاف عنها...كتب يوم الاثنين، للنصف من شعبان سنة 353هـ»[1].

يبين هذا النص، أن منصب القضاء من المناصب التي اكتست أهمية كبيرة من قبل الخلفاء الأمويين ، بحيث لا يتم التعيين في هذا المنصب إلآ بعد التحري واختيارلهذا المنصب من رجال الدين والورع لما يتوقف عنه من تطبيق الشريعة واتخاد الأحكام من أمور الدين و الدنيا. ولذلك فنص الظهير لا يخلو من التذكير بإحقاق الحق وإبطال الباطل والتزام العدل

* محمد بن إسحاق بن المنذر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن سليم ، قرطبي ، ولى خطة القضاء الجماعة سنة353 هـ-964 م، كما تولى الصلاة بقرطبة سنة358 هـ-969 م،فكان من الفضل في علمه و فهمه و ورعه ، حسن النظر في الأمور والتريث فيها . بقي في خطته ، لغاية عهد هشام المؤيد الذي أبقاه في منصبه ، لكن الحاجب المنصور بقي يسعى ورائه ويتعرض بأحكامه قصد الحط من أمره . القاضي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك . تحقيق، أحمد بكير محمد ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دار مكتبة الفكر . طرابلس ، د ، ت ج2،ص541. 548. توفي عام 367هـ/ 978م. الحميدي : المصدر السابق ، ص 39 .ينظر أخباره في المرقبة: المصدر السابق ، ص 103 . الخشني: قضاة قرطبة : المصدر السابق، ص176.

(1) النباهي : المصدر السابق ، ص ص 101-102.

بين الخصوم، وما إلى ذلك من النصائح التي تعين القاضي في مهامه التي تشيع منها الروح الدينية (أمره بتقوى الله العظيم الذي يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور وأن يجعل كتاب الله أمامه... ، فإنه عهد الله الذي بعث به نبيه صلى الله عليه و سلم فأحل حلاله، وحرم حرامه، وأمضى أحكامه،... فهو العروة الوثقى،... ودين الله القويم...). كما نلاحظ فلقد جاءت هذه العبارات ترجمة لشخصية وروح أخلاق الخليفة الحكم المستنصر بالله الرفيعة فقد «كان من أهل الدين والفضل والورع، ومن أعدل الملوك واتقاهم وأعلمهم وأحلمهم وأحمدهم وأحسنهم سيرة ، وأرفعهم قدرا وأعلاهم ذكرا،...»[2] والتي ذكرتها كتب التاريخ والتراجم و يتجلى ذلك في كثرة إشاراته إلى مبادئ العدل الإسلامية والتي حرس الخليفة على أن يكون القاضي متقيدا بأحكامها خاصة وأنه سيتولى أعلى المراتب السلطانية أي قضاء الجماعة بقرطبة عاصمة الخلافة الأموية بالأندلس.

أما النسيج الفني لهذا النص فلقد غلب عليه السجع البسيط الواضح والترادف الذي كان الغرض منه التأكيد على المعنى مثل (فأحل حلاله، وحرم حرامه، وأمضى أحكامه) كما حمل العديد من عبارات الالتزام بتطبيق الأوامر مثل (وأمره أن يصلح سريرته)، كما (وأمره أن يحتفظ في حين وقوع الشهادات عنده)، (وأن يحترس بأموال اليتامى) وكل هذا يبرز خصائص ومميزات الكتابة السلطانية لهذا العصر في كتب التولية في الخطط الكبرى.

2- مرسوم تعيين أصبغ بن محمد بن فطيس* على كورة رية** سنة 361هـ/971 م:

أصبحت التولية على الكور تتم في عصر الخلافة عن طريق مرسوم سلطاني، ومن هذا النوع من المكاتبة لدينا نص كتاب الخليفة الحكم المستنصر بالله جاء فيه :«بسم الله الرحمان الرحيم: أما بعد، فإنما تستدام النعمة بشكرها وتعرف النصيحة باستعمالها، وبالنصيحة تفاوتت منازل العبيد لدى ساداتها، وقد رأى أمير المؤمنين فيك رأيا عظمت به

---

[2] مؤلف مجهول : تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، ص 211.

* هو من بيت آل فطيس الذين توارثوا المناصب السلطانية على امتداد الدولة الأموية بالأندلس . ولقد سبق وأن أشرت إلي هذه الأسرة فيما سبق. انظر ا بن حيان : المصدر السابق ، تحقيق علي محمود علي مكي، تعليق : رقم 186 و187- ص 482.

** رية: كورة من كور الأندلس، في قبلي قرطبة، نزلها جند الأردن من العرب، وهي كثيرة الخيرات . الحميري : المصدر السابق، ص 79 .

عليك النعمة،...ورأى تقليدك شطر-نصف- كورة رية، وهي من أهم كور الأندلس عليه، برا وبحرا، وجبايتها وضياعها، فانظر أي خادم تكون، و شاكر للنعمة تظهر، إن شاء الله.»[1].

امتاز هذا النص بكونه قصير، موجز، دقيق، قليل الصنعة البيانية التي أصبحت تميز الكتابة السلطانية لهذا العصر، ملائما لطابعه ومضمونه، أما من حيث الشكل فلقد كان واضحا في فقراته بحيث نستطيع أن نميز بين محاوره الثلاث: البدء بتعظيم نعمة الخليفة على صاحب الولاية و ما يتبع ذلك من أسباب التمسك بطاعته وحسن خدمته، ثم في المحور الثاني الأمر بحسن معاملة الرعية، أما المحور الثالث من النص فلقد بيّن فيه مهامه وصلاحياته والجوانب التي يمتد إليها حكمه مثل البر والبحر والجباية... الخ.

3- سجل انتداب وتكليف زعماء القبائل سنة 362 هـ / 972 م :

اقتضت الضرورة أن يكون عقد كتب عهود الزعامة للأفراد على قبائلهم في كتب السجلات كما سماها ابن حيان[2]،والسجل من إنشاء الوزير الكاتب جعفر المصحفي وهذا بعض من نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب من عبد الله الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين لأبي العيش بن أبي العيش بن أيوب*** أنه ولاه النظر في قبيلة أطانة مهران* من كتامة** مؤثرا له ومظهرا لحسن رأيه فيه وثقته به فيما فوضه إليه للذي أحبه واستصلاحه واستصلاح أحواله وأحوالهم... والتزام طاعته، وطاعة خليفته التي افترضها عليه... محافظ

---

(1) ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق حجي، ص ص 77-78.

(2) المصدر نفسه، ص 111 ص 114.

*** هو الأمير أبو العيش أحمد بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسين، رضي الله عنه، وكان أبو العيش عالما فقيها، حافظا لتواريخ الملوك وأيام الناس وأنساب قبائل العرب والبربر وكان شجاعا كريما وكان معروفا لدى بني ادريس بالفاضل، وكان مائلا الى بني مروان متشيعا فيهم ثم قطع الدعوة في جميع بلاده على العبيدن ، وخطب لعبد الرحمان الناصر في جميع منابر اقليمه ، بعد أن أقطعه كلا من سبة وطنجة و بقي أبو العيش وإخوته وبني عمه من الأدارسة بمدينة البصرة وأصيلة مؤيدين من قبل الخليفة عبد الرحمان الناصر الذي كان يمدهم بالرجال والمال. المقتبس :المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص347 وص ص 374-375 حتى بايعه أكثر قبائل زناتة وغيرهم من البربر لبلاد المغرب الأوسط وخطب له على المنابر من تاهرت (عاصمة الرستميين) الى طنجة . ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص ص 106-107.

* قبيلة أطانة: هي إحدى الفروع دوار ريشية (دائرة عين الكبيرة) يعرفون (بوطانة) وربما يعود انتسابهم إلى قبيلة لطانة التي ينتمي إليها بعض قادة كتامة المعاديين للدعوة الشيعية. موسى لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979م، ص 113.

** كتامة: مجموعة من قبيلة البربر البرنس . الأصطخري : المصدر السابق، ص 36. يؤكد عدد من المؤرخين أنها من أصل عربي حميري تركها افريقش أحد ملوك التبابعة ولها بطون تصل الى 18 بطنا، والتي بدورها تتفرع الى بطون و أفخاد . ابن خلدون : كتاب العبر ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 148-150. هذا وخلال القرن 4ه/10 م، اختلطت قبائل كتامة بمصمودة مما أمحى الكثير من الأسماء التي ذكرها ابن خلدون في العبر و مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر . 1396 ه/ 1976، ص 100 . وهي تنقسم إلى فرعين رئيسيين كبيرين : فرع غرس ، وفرع يسودة ، استقرت خلال الصدر الأول للإسلام بمنطقة قسنطينة بالمغرب الأوسط ، و قد إ نتقل منها فرع الى المغرب الأقصى ، و ماتبقى منهذا الفرع يسكن حاليا إقليم الحسيمة ويحمل الإسم الأصلي القبيلة أيً كتامةً ويشتمل على خمسة بطون : أمزاز، وبني تميم ، والسواحل ، وتاماساوت ، وعبد الغاية . والجدير بالملاحظة أن قبيلة كتامة هي التي أيدت الشيعة الإسماعلية على الظهور في المغرب الإسلامي، وساندتهم حتى أسسوا الدولة الفاطمية .ابن أبي زرع: المصدر السابق، هامش رقم 188 ص109. المزيد ، حول اسم هذه القبيلة وانتشارها الجغرافي، وبطونها، و أهم تطوراتها التاريخية . ينظر كتاب موسى لقبال: المرجع السابق، ص ص 92- 191.

عليها معتقدا للقيام بوظائفها وشروطها، والوقوف عند حدوده، والانتهاء إلى عهوده... وأن يأخذ على ذلك أيمان وجوه القبائل المصروفة إليه وعلى مسالمة من سالمه، ومحاربة من حاربه، دنوا منه أو بعدوا عنه... كما « أمره أن يحتمل في أحكامه على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة محمد صلى الله عليه وسلم... ومراعاة الصلاة لأوقاتها وإقامتها على كمالها بحدودها والأذان لها... والإفطار عند رؤية الهلال.. وأن يأخذ زكواتهم من الحبوب المرفوعة عندهم والثمرات الموجودة بأرضهم...، ويستشعر الحزم والعزم المناصحة والاجتهاد في جهاد المارقين من سلطانه والفاسقين عن طاعته، ... »(1).

اكتسى كتاب الخليفة المستنصر بالله الموجه لأبي العيش أهمية كبيرة سواء من حيث بنائه وطوله، أو من حيث مضمونه الذي احتوى على العديد من الأوامر ومنها الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وإقامة شعائر الدين الإسلامي والتي ألزم بها منتدب القبيلة منها كالأمر بالصلاة (...ومراعاة الصلاة لأوقاتها وإقامتها على كمالها بحدوده، والأذان لها على حسب ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين من بعده وما عليه جماعة المسلمين، وعن الصيام مثل قضية (... الإفطار عند رؤية الهلال ...). كما توقف عند ركن الزكاة* فتوسع في التعريف بها [illegible]
ولقد أطنب وكأنه درس دقيق في فقه الزكاة (...وأن يأخذ زكواتهم من الحبوب المرفوعة عندهم...، والزكاة كلها في كل عام مرة، وزكاة الإبل في كل خمس شاة...) كما شرح بكل تفصيل كيف تزكى كل من البقر والغنم. وأكد بأنه (لا زكاة... في الفواكه كلها، رطبها ويابسها، وتخرج زكاة النخيل والأعناب وزكاة الزيتون من زيته اذا عصر...). كما بين شروط مستحقيها...الخ. ونظرا لكل الشروحات المستفيضة والتفاصيل الدقيقة لفريضة الزكاة الأمر الذي جعلها تشغل عدة فقرات من هذا المرسوم. وما التأكيد عليها والالتزام بأدائها لما للزكاة من دور اجتماعي واقتصادي هام لا يستهان به في نظام المجتمع الإسلامي.

يعد هذا المرسوم السلطاني من بين الأنماط الجديدة التي عرفتها النصوص السلطانية لعصر الخلافة الأموية بالأندلس ويتجلى ذلك بوضوح عندما استعمل ابن حيان مصطلح (السجل) حين قال كذلك في نهاية نص المرسوم: « ... دفع إلى جميع من سجل له على قومه

---

(1) ابن حيان: المصدر السابق ، تحقيق حجي، ص ص 111- 114.
* احدى أركان الإسلام الخمس ، وهي صدقة في نفس الوقت ف « الصدقة زكاة ،و الزكاة صدقة ، يفترق الإسم و يتفق المعنى ». الماوردي : الأحكام السلطانية ..، المصدر السابق ، ص 113 .

من قبائل البربر... من سجلاتهم المنعقدة لهم على نسخة سجل أبي العيش بن أيوب زعيمهم»[1]. وكما نرى فإن هذه العبارة الأخيرة توحي بأن قالب صيغة هذه السجلات السلطانية كان على نسق واحد، بحيث يتغير اسم زعيم القبيلة الذي عقد له في ذلك السجل والدليل على ذلك أن ابن حيان ذكر جماعة كبيرة منهم[2].

وهكذا يجمع هذه الكتب الثلاثة غرض واحد أي مقاليد – تولية- رجالات الدولة في مناصب الخطط السلطانية الساميةو فلقد أصبح الخليفة وكما نرى لا يعّين مسؤولا كبيرا في وظيفة إلاّ وخاطبه بكتاب التوليه الذي يتضمن مرسوم التعيين، يحدد له بعض جوانب مهمته من صلاحيات والتزامات أمام السلطة والرعية في نفس الوقت لكنها اختلفت من حيث غرض الموضوع وكذا مبنى صياغة النص السلطاني. فالمرسوم الخاص بتعيين القاضي محمد بن سليم، كما رأينا غلبت عليه النصائح الدينية، أما النص الثالث الخاص بسجل زعامة ابن العيش على قبيلته، فلقد تفرعت فقراته إلى الإرشادات الدينية والنصائح الاجتماعية، وأكثر من ذلك تحول نص هذا المرسوم إلى درس لتعليم فريضة الزكاة.تميز يبقى هذا المرسوم بالرغم من كونه فضفاضا واسع الأفق ومع ذلك فنصه كان سهل الفهم بسيط الصنعة البيانية بعيد عن التعقيد والغموض الذي ستعرفه الكتابة السلطانية في مراحل متقدمة من هذا العصر.

وعلى هذا الأساس يبقى نص الكتاب الثاني –الخاص بتولية أصبغ بن محمد على كوره ريه – أقرب النصيين إلى نموذج رسوم التولية الذي ظهر في هذا العصر لاشتماله على أهم قواعد المنهجية التي ينبغي أن تتوفر في مثل هذا النمط من الكتابة السلطانية شكلا ومضمونا.

ثالثاً: كتب الاستفسار أو (تبرير غياب):

هي إحدى الأصناف الجديدة التي ظهرت في المكاتبات السلطانية في عهد الخلافة، فلقد أصبح حضور ومشاركة كبار رجالات الدولة والفقهاء والمشاورين ووجهاء البلد في المناسبات والاحتفالات الرسمية بتسلمهم دعوة رسمية، ومن تخلف أو غاب تتم مساءلته بواسطة كتاب سلطاني في صيغة استفسار، ومن أمثلة ذلك، أن الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله عندما أقام الاحتفال بمناسبة ختان أولاد ابنه عبد الله بقصر الزهراء، دعا إليه العلماء

[1] ابن حيان: المصدر السابق،تحقيق حجي ، ص 114.ينظر النص بالكامل المصدر نفسه، من ص111 إلى ص 114 .
[2] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

والعدول أي الشهود[1] فحضروا جميعا وغاب المشاور أبي إبراهيم* أحد كبار فقهاء المالكية ووجهاء البلاط الخلافي ، وافتقد مكانه لارتفاع منزلته، فساء غيابه هذا الخليفة، فطلب من ابنه الحكم أن يكتب له مفندا مقرعا[2]، فكتب إليه الحكم:« بسم الله الرحمن الرحيم، حفظك الله وتولاك! وسددك ورعاك! لما امتحن أمير المؤمنين مولاي وسيدي -أبقاه الله!- الأولياء الذين يستعد بهم وجدك متقدما في الولاية، متأخرا في الصلة. على أنه قد أنذرك –أبقاه الله!- خصوصا للمشاركة في السرور الذي كان عنده، لا أعدمه الله توالي المسرة، ثم أنذرت من قبل إبلاغا في التكرمة، فكان منك على ذلك كله من التخلف ما ضاقت عليك فيه المعذرة، واستبلغ أمير المؤمنين في إنكاره ومعاتبتك عليه، فأعيت عليك عنك الحجة. فعرفني –أكرمك الله!- ما العذر الذي أوجب توقفك عن إجابة دعوته، ومشاهدة السرور الذي سر به ورغب المشاركة فيه، لنعرفه –أبقاه الله!- بذلك، فتسكن نفسه العزيزة إليه إن شاء الله تعالى» [1]. فأجابه الفقيه إجابة* أقنعت الخليفة الناصر وأقنعته،هذا ولقد جاء نص هذا الكتاب سهل الفهم بحيث اكتست صيغه مسحة خفيفة من السجع العفوي خاصة في الفقرة الأولى من نص الرسالة، مثل (... حفظك الله وتولاك! وسددك ورعاك!...) كذلك وجود الجمل الإعتراضية المهذبة الدالة على المكانة والحظوة التي يحتلها المرسل اليه (...فعرفني –أكرمك الله!-...) يوحي هذا الكتاب أن دعوات الحضور كانت رسمية وإجبارية وليست اختيارية، إلاّ بعذر بائن ، لأن التسامح في غياب مثل هذه الشخصيات تنقص من هيبة السلطة والسلطان معا، والملاحظ أن هذه الصيغة لا تزال مستعملة حتى يومنا هذا في الإدارات الحكومية مع الموظفين بشأن غياباتهم طلبا لتبريرها.

---

(1) Vandevelde Helene : Cours d'histoire du droit musulman et des institutions musulmanes, OPU, Alger, 1983, p258.

* أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة التجيبي، ولد سنة 277هـ/ 900 م ،أصله من طليطلة ، قصد قرطبة طلبا للعلم واستقر فيها وكان من الذين نالوا العلم والفضل والاحترام والزهد و المكانة الرفيعة في الفقه المالكي ، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم مما أكسبه المنزلة الرفيعة فأصبح معظما وصدرا في الفتيا ومشاورا لدى الخليفة عبد الرحمان الناصر ثم ابنه من بعده ، اللذين أخصوه برعاية وتقدير كبيرين، توفي بطليطلة سنة 352هـ/963م . وهو في غزوة مع الخليفة الحكم المستنصر . ابن الفرضي : المصدر السابق، ص ص 69 -70. القاضي عياض: المصدر السابق، ج2 ، ص ص 126-134.

(2) المقري : المصدر السابق، ج1، ص352 .

(1) المقري: المصدر السابق، ج1، ص ص 352-353.

* ونص الرسالة الجوابية جاء كما يلي: « سلام على الأمير سيدي ورحمة الله، قرأت –أبقى الله الأمير سيدي ! – هذا الكتاب وفهمته ، ولم يكن توقفي لنفسي، إنما كان لأمير المؤمنين سيدنا -أبقى الله سلطانه -، لعلمي بمذهبه، وسكوني إلى تقواه ، واقتفاؤه لأثر سلفه الطيب، رضوان الله عليهم. فإنهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتهنونها بما يشينها ، و لا بما يغض منها و يطرق الى تنقيصها ، يستعدون بها لدينهم ، ويتزينون بها عند رعاياهم ومن يفسد عليهم من قصادهم ، فلهذا تخلفت ، ولعلمي بمذهبه توقفت ، إن شاء الله تعالى » . المقري : المصدر السابق ، ج1 ص 353. محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقيا،دراسة ونصوص، 64-897هـ/683-1492م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1406هـ/1986م ، ص 171.

رابعاً: كتب عرض الحال** (التقرير):

ومنها على سبيل المثال كتاب الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله وجهه إلى ولاته يشرح ظروف غزوة الخندق لسنة 327هـ/939م، حيث التقي في شمالي الأندلس بجيش من نصارى الشمال، وهناك هزم هزيمة شديدة، فلما رجع إلى مقر ملكه أصدر هذا الكتاب يشرح فيه ما حدث. وهو من إنشاء الكاتب الوزير عيسى بن فطيس جاء فيه:«... فاستعزم الله أمير المؤمنين ليلته، واستخاره عن وجهه في النهوض إلى مدينة شانت مانكش دار الكفرة ومجتمع النصرانية... وقد تلاحقت جموع الكفرة، وقدّموا صلبانهم،...فلما كان في اليوم الثالث من احتلاله، عهد أمير المؤمنين إلى صاحب العسكر بمصاحبتهم بالحرب، وقد تلاحقت بهم المدود من أقصى بنبلونة وألبة والقلاع وأهل قشتيلية، إلى مشركي قلمرية، وكل صنف من أصناف العجم معهم،... فصرع قومس غرماح، وابن أخي الخنزير، ابن فرذلند،... وانجلت الحرب عن هزيمتهم... وكان أمير المؤمنين غير التقدم على نهر دويرة إلى شنت أشتبين... فحامى أمير المؤمنين برجاله وخاصته عن المسلمين ساعات من النهار، حتى تقدم أكثرهم وجازت الخندق أثقالهم،...فأمر بقراءة كتاب أمير المؤمنين على الناس قبلك، إثر صلاة الجمعة، ليشكروا الله ... واعهد بنسخه إلى عمال الكور حولك إن شاء الله تعالى. والله المستعان.وكتب يوم الاثنين لثمان خلون من ذي القعدة سنة سبع وعشرين وثلاث مائة»(1).

من خلال متابعة هذا الكتاب السلطاني الخاص بعرض حال لهذه الغزوة ، أمكن رصد صيغ ومراحل تحريره والتي يمكن تلخيصها في العناصر التالية: تمهيد وتحديد المكان (فاستعزم الله أمير المؤمنين ليلته، واستخاره عن وجهه في النهوض إلى مدينة شانت مانكش، دارالكفرة ومجتمع النصرانية...). كما يشتمل على وصف مفصل ودقيق للموضوع المراد عرضه، ولذلك جاء وصف هذه الغزوة متناهيا في الدقة لسير وقائع حيثياتها فرغم فارق

** هذا النوع من الكتب السلطانية في حقيقة الأمر عبارة عن عرض لحال ما ، أو صورة لما وقع بالفعل ، ونقل أخبار حادث بعينه في مجالات الحياة المختلفة، وهذا يجرنا كما جاء في العنوان الى كلمة ((التقرير)) وان كان هذا مصطلح حديث بالنظر الى الدلالة التي يكتنفها ، مع ذلك فان مفهوم هذا المصطلح ليس جديدا، وإنما كانت بعض الكلمات تستعمل مكانها و لعلها الأكثر تداولا عبارة ((عرض الحال)) ابن بسام: المصدر السابق ، ق2، م 2،ص 655. التي اختصرت في كلمة واحدة أي على نحو ((عرضحال)) ويشتمل هذا النوع من الكتابة العديد من المجالات منها الشؤون الاجتماعية ، و العسكرية الحربية ، و السياسية ، وحتي الأحوال النفسية .. فيه . علي بن محمد :النثر الأندلسي...، المرجع السابق، ج2 ، ص ص 517-516. و في الوقت الحاضر يمثل عرض الحال Compte-rendu) وثيقة تستعملها الإدارة لعرض وقائع معينة ، و يهدف عرض حال الى تقديم وصف حالة أو واقعة معينة بحيث يتقيد الكاتب بسرد و نقل الوقائع بكل أمانة دون التصرف فيها و بصورة حقيقية يمكن استغلالها والا*حتفاظ بها كأثر مكتوب يمكن الرجوع اليه عند الحاجة .
Jacque Gandouine, Correspondance et rédaction administrative, ed Hachette, Paris 5, 1980, p20.

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ، ص ص 438-443.

الزمان الذي يفصلنا عن هذه الغزوة مع ذلك فنص هذا الكتاب صور لنا ببراعة فائقة وقائع هذه الغزوة تنبض بالحياة، وبمعنى لغة عصرنا كأنها – فيلم وثائقي لأحداث تلك الحرب- ولهذا دوره الإيجابي وقيمته التوثيقية خاصة دقة المعلومات لوقائع تلك الحروب.

وأثناء ذلك العرض سجل الكتاب العديد من أسماء المناطق، والجهات والأماكن والأنهار التي دارت فيها تلك الغزوة شمال الأندلس مثل (مدينة شنت مانكش)، (بنبلونة)، (وألبة)، والقلاع، (وأهل قشتيلة)، (حصن دبليش)، (جليقية)، (نهر الدويرة)، (خنادق)، (الثغور)، (شنت اشتبين)، (حصن أنتيشة) وحتى سير أيام اشتباكات الحرب، كما تضمن العديد من المصطلحات التي بينت ديانة العدو منها (الصلبان) و(رومية) يعني بها المسيحية عموما، ومن هذه المصطلحات التاريخية أيضا مثلا: دار الكفرة، مجمع النصرانية ومشريكي قلمرية، (وكل صنف من أصناف العجم)، (أعلام المشركين وقوامسهم)كذلك اشتمل على الكثير من الألفاظ والتجهيزات الحربية (الخيول)، (الأسلحة)، (الدروع)، (وأساليب القتال).

بالإضافة إلى هذا كانت أسماء أعلام قادة هذه الغزوة من الجانبين حاضرة نذكر منها (أمير المؤمنين)، و(محمد بن هاشم)، (ابن فرذلند، شيخ النصرانية).

كما عرض هذا العرض نتائج الغزوة والكيفية التي عاد بها الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله مع المجموعة المتبقية من عساكره إلى قرطبة. هذا ولقد جاء قالب هذا الكتاب في صيغة الأسلوب المرسل* أي" المطلق" الخالي من ضوابط الفواصل والأسجاع[1]، بمعنى أن الصيغ تأتي على سجيتها دون تكليف وتعقيد، أو البحث عن تنميق قصد الصنعة البيانية، إذ كان هدف كاتب السلطان هنا ينصب اهتمامه بالفكرة وصياغتها قصد تبليغها للمرسل إليه دون غير ذلك.

يعدّ هذا الكتاب السلطاني نموذجا لأنماط الكتب التي ظهرت في هذه المرحلة التاريخية، والتي تشيد بالحركة الجهادية الأندلسية مهما كانت النتائج، وهي الطابع الغالب على خارطة الكتب المدونة في متون مصادر التاريخ الوسيط الإسلامي [2]. فعلى الرغم من أن غزوة الخندق لم تكن لصالح الخليفة عبد الرحمان الناصر حيث انهزم وقتل فيها المئات من جنوده،

---

*عكسه الأسلوب المقيد الذي يرتكز في معماره على الإسجاع وبقية فنون الصنعة البيانية. محمد مسعود جبران : المرجع السابق، ص160.

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) كمثال نظرة فاحصة لكتاب ابن حيان تحقيق شالميتا نسبة كبيرة من نصوص كتب الفتح و الجهاد ضد نصارى اسبانيا . لأن ذلك يمثل أهم قضايا و انشغلات الخلفاء . ...

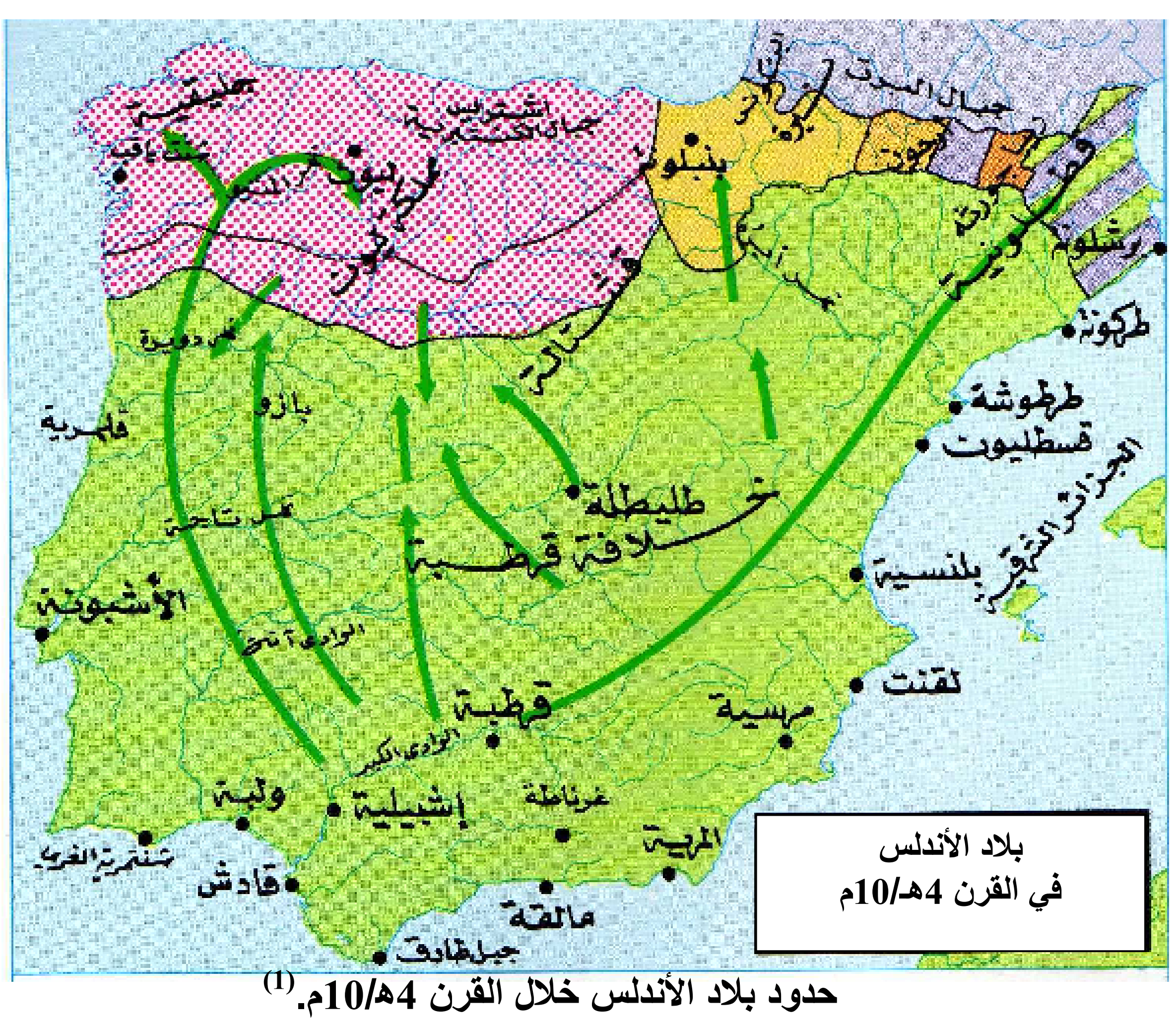
كما وصفها ابن حيان حيث «نالت السلطان والمسلمين فيها حطمة عظيمة قتل فيها خلق وأسر كثير، وملك سواد العسكر وعدة السلطان وسراديقه وآلاته السلطانية وفيها مصحفه الخاص به ودرعه الأثيرة لديه» [3] . إلاّ أن الملفت الانتباه أن هذا الكتاب يندرج ضمن كتب الفتح[4]، والتي صنفها القلقشندي ضمن « أهم المكاتبات خطرا، وأجلها قدرا لاشتمال أغراضها على انجاز وعد الله تعالى الذي له الطاعة في إظهار دينه على كل الدين» [5].

كما اشتمل هذا الكتاب على وصف جيد لهمة الخليفة عبد الرحمان الناصر وعزيمته وشجاعته لنصرة الدين، واستعداده للنيل من عدوه والتنكيل به أشد التنكيل في عقر دارهم رغم تحالف قوى نصارى الأسبان لقتال المسلمين[1]. هذا وقد تبين كيف كانت عاقبة ونهاية الخونة المتخاذلين من الفرسان الذين كانوا سببا في هزيمة جيش المسلمين في هذه الغزوة بسبب تقاعسهم وتخليهم عن القتال وقت الشدة، وانسحابهم من المعركة كاشفين أجنحة الجيش للعدو[2]، فلقد أعطى هذا الخليفة الأمر وهو قافل بجيشه بالاستعجال بمعاقبتهم قبل أن يصل إلى قرطبة وإقامة المشانق (المصالب). ولما دخل المدينة أمر بصلب 300 من الفرسان[3] المسؤولين عن هزيمة الخندق[4]. وأمر بالنداء على العاصاة والخارجين عن الطاعة « هذا جزاء من غش الإسلام وكاد أهله وأدخل بمصاف الجهاد»[5] - أي أخل بمعنى الجهاد - حتى يكونوا عبرة لمن يعتبر.

والحقيقة التاريخية التي استخلصتها من خلال تتبعي لنتائج هذه الغزوة الشهيرة، وحسب رواية ابن حيان، أن الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله « لم يعاود الغزو بعد إلى أن مضى لسبيله»[6]. وبالرغم من ذلك بقيت الصوائف تتردد على أراضي النصارى وذلك ابتداء من سنة 328 هـ/940 م، وما بعدها وحققت جيوشه انتصارات ساحقة في العديد من المواقع الأمر الذي جعل ملوك النصارى يترددون برسلهم إلى بلاطه طلبا للصلح[7].

---

(3) المصدر نفسه ، ص 436 .
(4) نفسه ، ص 438 .
(5) صبح الأعشى : المصدر السابق ، ج10، ص ص 19-21 .
(1) المقري : المصدر السابق، ج1، ص 332 .
(2) ابن حيان : المصدر السابق، تحقيق شالميتا ، ص 438 .
(3) ابن الخطيب : أعمال ...، المصدر السابق ، ج2، ص 38 .
(4) ابن حيان : المصدر السابق، تحقيق شالميتا ، ص ص 444 -446.
(5) ابن الخطيب : المصدر السابق، ج2، ص 38 .
(6) ابن حيان: المصدر السابق، ، ص438 . ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج2، ص 38 .
(7) ابن حيان: المصدر السابق ، ص438، ص 449، ص 451، ص 454. ابن الخطيب : المصدر السابق،ج2، ص 38.



حدود بلاد الأندلس خلال القرن 4هـ/10م.[1]

- مملكة نبرة وجاراتها النصرانيّة
- مملكة أرغون
- مملكة ليون وقشتالة
- مملكة البرتغال
- الأندلس الإسلامية

---

(1) حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ، ط1، 1407هـ/1987م، ص176.

الأسهم التي تظهر داخل الخريطة تبين اتجاهات بعض غزوات المسلمين في شمال اسبانية المسيحية، كما تبين بعض المواقع المذكورة في نص كتاب غزوة الخندق.

خامساً: كتب التهديد المستتر:

قام خلفاء بني أمية بالأندلس بمحاربة الفتن والاضطرابات الداخلية، كما ضيقوا على أهل الجرائم والخارجين على الطاعة، خاصة وأن حركات التمرد على السلطة المركزية كانت كثيرة الحدوث، فلقد أدرك هؤلاء مدى خطورة هذه الظواهر، لذلك كانوا يسارعون إلى مخاطبة هؤلاء الثائرين بهدف إطفاء نار تلك الفتن. ولقد اختلفت مواقف الحكام اتجاههم فتارة بالتنكيل والقتل، وتارة بالمسامحة والغفران. وقد جسدت كتب التهديد ذلك، ويعتبر كتاب الحاجب عبد الملك المظفر من انشاء الكاتب ابن برد الأكبر من الكتب التي جاءت في هذا الإطار، والكتاب موجه إلى أحد* الخارجين عن طاعته ومما جاء فيه: « أما بعد أتاك الله رشدك، ... فإن الله تعالى خلق الخلق غنيا عنهم... وجعلهم أخيافا**... فمنهم المختص بالطاعة، ومنهم المبتلي بالمعصية، وبين الفريقين أقوام خلطوا عملا صالحا، وآخر سيئا، عسى الله أن يتوب عليهم، ولو شاء الله لكان الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين... والسعيد من خاف ربه، وعرف ذنبه، وبادر بالتوبة قبل فواتها، واستعطى الرحمة قبل منعها...بعيدا عن المكاره، قريب المكانة، رفيع الدرجة...خلا أنه حدث بينك وبين الحاجب مالم يزل يحدث بين القواد والعمال على قديم الزمان،...ولن تضيق بك السبيل عند أمير المؤمنين، وأنت طاعة سالفة ، واستقامة موروثة، وبين إنابة منتظرة، وتوبة مستقبلة، فإحدى الحالتين تحط الذنوب الكبيرة،...فالآن عصمك الله، واللبب*** رخي، والمركب وطي، وبابك إلى رضى أميرا لمؤمنين مفتوح، وسبيلك إلى حسن رأيه سهل ، ولا يذهب بك اللجاج إلى عار الدنيا ونار الآخرة، إياك ومصارع الناكثين، وحذار موارط الغادرين»[1].

---

* يكشف ،ابن بسام عن اسم هذا الثائر الذي خرج عن السلطة المركزية وهو هذيل بن رزين ، من أهل المغرب، الذي سيذيع أمره كزعيم من زعماء ملوك الطوائف. ويرجع له الفضل في تأسيس إمارة بني رزين بشنتمرية الشرق. للمزيد عن أخباره ينظر في الذخيرة ، ق1 م1، ص94 وما بعدها . وكذا عند ابن عذاري ،المصدر السابق، ج3، ص308.

** من الأخياف : المختلفون. واخوة أخياف، أمهم واحدة والآباء شتى. محي الدين عبد المجيد وعبد الله السبكي، المرجع السابق، ص 152.

*** اللبب: ما استرق من الرمل ، وما يشد في صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل أقام به ولزمه ،المرجع نفسه ، ص364 .

(1) ابن بسام: المصدر السابق ، ق1، ج1، ص ص 94-95.

من خلال هذا النص تتضح محاولة الحاجب المظفر في كسب ثقة هذا الثائر وإعادته إلى طاعة الخلافة. وهنا تظهر أهمية استعمال الكتابة كأداة سلمية لتفاوض واختزال المشاكل، بهدف تجنيب السلطة الحاكمة الخسائر المادية والبشرية خاصة إذا طالت مدّة هذه الفتن، والأمثلة كثيرة على تلك الثورات التي عانت منها الدولة الأموية بالأندلس، وقد سبق ذكرها ضمن سياقات فصول هذا البحث، ولذلك طغى على هذا الصنف من التبليغ النصح والإرشاد والهدوء.

لقد أظهر الكاتب ابن برد الأكبر براعة تامة بإحكامه صياغة مثل هذا النوع من الرسائل الخطيرة، التي عالجت مسألة أمن الدولة أي كتب–التهديد المستتر- وهذا تطلب منه جهدا كبيرا لينأى بصاحبها عن لهجة الغضب والتوتر الذي عادة ما ينطبع في مثل هذه المواقف. ولقد اتضحت مقدرة الكاتب في تبنيه أسلوب النصيحة والوعظ، والمجادلة بالحجة، والإغراء بالطاعة والعودة إلى صف الجماعة، ولذلك طغى على هذا الصنف من التبليغ النصح والإرشاد وهو أسلوب كتب وصايا الاستخلاف. ومن جهة أخرى، عمل على تبسيط موضوع الخلاف القائم بين الثائر والحاجب كما ورد في العبارة التالية (خلا أنه حدث بينك وبين الحاجب ما لم يزل يحدث بين القواد والعمال على قديم الزمان) ولولا السطور الأخيرة التي جاء فيها (ولا يذهب بك اللجاج الى عار الدنيا ونار الآخرة إياك ومصارع الناكثين، وحذار موارط الغادرين) لما بان التهديد والترهيب الخفي المستتر .

أما الجانب الفني لهذا الكتاب، مثل نموذجا ظهرفيه تآثر بالجاحظ[1] الذي كان صاحب مدرسة أسلوبية متميزة سادت خلال القرن الرابع الهجري[2] على وجه التحديد. ويتضح ذلك من خلال ميله إلى الجمل القصار والفقرات المتقابلة، وعدم تعمد المحسنات البديعية باستثناء سجع خفيف لا تكليف فيه، لأنه غير مقصود لذاته، مع التفنن في أداء المعنى والحرص على جمال الصياغة، ودقة التعبير، ووضوح الغرض و ميله إلى تزيين المعاني والألفاظ من ازدواج ومقابلة، وإجادة استخدام حروف الجر وأدوات الظرفية بصفة عامة.

ومما تقدم ذكره، خلصت إلى أنه كان وراء وجود مثل هذه الأنماط المستحدثة في الكتابة السلطانية إبان عهد الخلافة، العديد من العوامل التي ساهمت بشكل مباشر أو غير

---

[1] ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق محمود علي مكي، ص 164. أحمد هيكل: المرجع السابق، ص 175.
[2] المرجع نفسه، ص 343 .

مباشر في تطورها وتعدد أنواعها وما رافق ذلك من صيغ فنية، كما سبق وأن بينته، وسأقتصر على ذكر أهم هذه العوامل، منها أن أقطاب الكتابة السلطانية كانوا من الخلفاء الأمويين أنفسهم، طورا يكتبون بأقلامهم وطورا يملون على كتابهم، ولعل أشهر من تولى الكتابة في الدولة الأموية على الإطلاق هو الخليفة عبد الرحمن الناصر، فقد اختبره جده الأمير عبد الله بن محمد عندما أمره أن يكتب كتابا لأحد عماله بأمر هام. ويبدو أن عبد الرحمن قد أصاب بغية جده، الذي لم يخف سروره بنبوغ حفيده، فاتخذه كاتبا لسره[1] . وكان سعي هؤلاء الحكام في استخدام كبار كتاب العصر من بيوتات الكتابة السلطانية العريقة دوره البليغ في تطور أنماط وصيغ الكتابة السلطانية .

وبدون شك كانت لتأثيرات الأدبية المشرقية أثرها الكبير على البيئة الفكرية الأندلسية نتيجة التواصل المتبادل ضمن الرحلات العلمية ، وانتشار المؤلفات المشرقية في أرض الأندلس أثره الواضح في طبع الإنتاج الأندلسي بالطابع المشرقي[2] .

إن الأنماط المستحدثة في الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس، التي جاء عرضها ضمن عناصر هذا الفصل بالتحديد، بينت أن مظاهر تطور هذه الأصناف قد لامست الشكل وكذا المضمون الذي رافق تنوع الصيغ الفنية لأدب النثر السلطاني بمقارنته مع نظيره في عصر الإمارة، والذي امتاز بتفضيل الإيجاز في التعبير وإيثار المعنى[3].

وللتذكير فأن الكتابة السلطانية لم تأت على صورة واحدة في عهد الخلافة، وكذا عند جميع كتاب السلاطين، فإلى غاية بداية هذا العصر بقيت هذه الكتابة عادية سلمية واضحة المقصد، قليلة الصنعة عديمة الاحتفال بأدوات الزينة التي بدأت تميز هذا العصر[4].

وتبين مما سبق ذكره أن نثر الكتابة السلطانية في مسيرته قد تعرض لألوان من التأثير الفني المشرقي، ففي بداية الحركة النثرية كان أسلوب الجاحظ يغلب على كتابات الأندلسيين ثم ما لبث أن تطور لتحل تأثيرات مشرقية جديدة كطريقة السجع المتأنق[5] التي جعلت منه فنا من أصوله الالتزام بالسجع والبديع والميل إلى الإطناب والتأنق

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق الأب مليشور ، ص ص 39،40 .
(2) سعد عبد الصالح البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316 -422هـ/928-1030م)، مجمع البحوث و إحياء التراث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1418هـ/1997م، ص 214.
(3) إحسان عباس: المرجع السابق ص 326.
(4) علي بن محمد، المرجع السابق، ج1، ص189.
(5) أنيس المقدسي : المرجع السابق ، ص 251 .

في تحليه بالشعر والأمثال[1] و« كان لابن العميد* يد تذكر في ذلك حتى عدّه البعض إمام الكتّاب في عصره»[2].

ويبدو أن الحال لم يدم على هذا التقليد بل ما لبث الأندلسيون أن بلغوا درجة أرقى وأسمى من ذي قبل، فأظهر الكثير منهم نبوغا وإبداعا. وكان لتمرسهم بالكتابة الفنية واشتغالهم الدائب بها أثره في تولد ظاهرة النقد التي أسهمت في نقاء الكتابة السلطانية وتخليصها من الشوائب[3].

ويضاف إلى هذا العامل أن البلاط الخلافة الأموية بالأندلس كان لا يخلو من كتّاب وأدباء «يشددون النكير على من يتقعر في اللغة أو يغرب في الأسلوب»[4].

ويتجلى من خلال هذا النص مدى ما لحق الكتابة السلطانية في الأندلس من تطور ورقي، وأنه أصبح هناك الكثير من الأدباء والكتاب الذين اتصفوا بالنظرة الفاحصة والبصيرة النافذة في تقييم الإنتاج الأدبي من الكتابات الفنية. فلمع في ذلك الوقت كتاب بارزون يحررون الرسائل ويصدرون المنشورات ويصفون الوقائع والأحداث المهمة وصفا نثريا[5]. ومن هم على سبيل المثال الكاتب والشاعر ابن دراج القسطلي** الذي شغل مكانة سامية بين كتاب الإنشاء لمرحلة الحجابة العامرية، وكان معدودا في جملة العلماء والأدباء والشعراء، وكانت له طريقة في البلاغة والرسائل التي تمتاز بالتنقيح والتجويد، والتؤدة في الكتابة[6]. فلقد جاء ذلك

---

(1) المرجع نفسه ، ص ص-343- 344.

* هو أبو الفضل ابن العميد من عائلة فارسية. نشأ في بيت أدب و كتابة لأن أباه عبد الله الحسين كان وزيرا و كاتبا، ورسائله مدونة بخرسان ، وفي سنة 328ه/940م، هو سيد الكتاب في القرن الرابع، و أعرف الوزراء لعهده بسياسة الملك و كان معاصروه يسمونه (الجاحظ الثاني)، فحمل عنه أعباء الإدارة، وخاض معه غمرات السياسة والحرب. الثعالبي : يتيمة الدهر، ج3، ص3، ينظر زكي مبارك: المرجع السابق، ص 235، وأنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1968م، ص142.

(2) علي ابن أبي عمران : عنوان المرقصات و المطربات ، نقلا عن أنيس المقدسي : المرجع السابق ، ص 251 .

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 126. الضبي: المصدر السابق ، ص 182.

(4) ابن بسام: المصدر السابق، ق3، م6، ص818.

(5) أحمد هيكل: المرجع السابق، ص 338.

** هو أحمد بن محمد بن دراج أبو عمر الكاتب المعروف بالقسطلي: كان كاتبا من كتاب الإشاء وشاعر بلاط في أيام الحاجب المنصور أبي عامر، واشتهر بشعره وبلاغته التي لا يضاهيها في المشرق الا المتنبي: الحميدي، المصدر السابق ، ص ص 97-98 فهو لسان الجزيرة ابن بسام: المصدر السابق، ق1، م1، ص ص 58-85، ينظر دراسة إحسان عباس : المرجع السابق ، ص ص 237-269. توفي سنة 420هـ/1030م. الحميدي، المصدر السابق، ص 100.

(6) المصدر نفسه، ص97-98.

في الجذوة: بأن رسائل ابن دراج القسطلي كانوا يتناقلونها ويعجبون بها[7]. ورغم المسحة المشرقية في الصنعة، فإن ابن دراج قد اختط لنفسه طريقة حددها ابن حزم بقوله:«وقد كان قد أحدث ابن دراج عندنا نوعا من البلاغة ما بين الخطب والرسائل»[1] أما المؤرخ الأديب إحسان عباس فيقول بخصوص طريقته: «فكان في أسلوبه خارجا عن المألوف العام من الأساليب في الأندلس»[2].وبهذهالأحكام البليغة اتضح كيف تطورت خصائص النثر السلطاني في الأندلس التي تميزت بالنضج والإستقلال في شخصيته الأدبية.

وحصيلة القول، أن الكتابة السلطانية اتسمت في المرحلة السابقة لعصر الخلافة -أي عصر الإمارة- بالميل إلى الإيجاز البليغ لأن في ذلك الحين كانت تفضل على ذلك النحو وكان أصحابها هم المشهود لهم بالبلاغة في هذا الشأن[3]. كما تميزت بالأسلوب المباشرإخباري حينا وخطابي حينا آخر ، لا تتجاوز معانيه ألفاظه إلاّ نادرا. أما الصور البيانية فهي محدودة في التشبيهات البسيطة التي لا تغرق معانيها في التعقيد، بعيدة عن الزخرفة البيانية[4]. ويتبين ذلك عند مقارنة توقيع الأمير عبد الرحمان الداخل الذي بعثه لأحد العصاة[5] بمنشور الحاجب عبد الملك المظفر الموجه إلى أحد الخارجين عن طاعته، إذ ظهر ذلك بارزا في طول النص الذي تميز به أسلوب الكاتب ابن برد الأكبر من محسنات بيانية وترادف وتكرار والسجع، وجناس وطباق الذي أصبح إحدى خصائص الكتابة الديوانية لهذا العصر.

كل هذه المؤثرات كان لها وقعها بطريقة مباشرة على مظاهر تطور أنماط الكتابة السلطانية في الأندلس، والتي اتجهت نحو النقلة النوعية في مجال الترقي اللغوي والأدبي الفني فجاء النثر السلطاني تجسيدا دقيقا لبلاغة زمانه، كانعكاس للمناخ الثقافي الذي لامس جميع مناحي الحياة خاصة الناحية الأدبية واللغوية. وكانت الثورة على التقصير في الكتابة من أبرز مظاهرها كما تبين سابقا. مع ذلك بقي من يفضل الإيجاز على الإطالة مثل ابن الحناط* الذي يقول: «الإسهاب كلفة والإيجاز حكمة وخواطر الألباب سهام يصاب بها أغراض الكلام

---

(7) الحميدي، المصدر السابق، ص 99.

(1) ابن حزم الأندلسي : التقريب إلى حد المنطق، نقلا عن إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ..، المرجع السابق ، ص 331.

(2) المرجع نفسه. للاطلاع على أسلوبه في النثر و النظم ينظر كتاب الذخيرة: لابن بسام، المصدر السابق، ق1، م1، ص ص 56- 85.

(3) إحسان عباس : المرجع السابق ، ص ص 326- 327 .

(4) أحمد هيكل : المرجع السابق ، ص 114.

(5) ينظر جوابه في الفصل التمهيدي من هذا البحث، ص 13.

* أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحناط الشاعر العالم بعلوم الجاهلية والإسلام، الضرير القرطبي، توفي سنة 437هـ/1046م، في كنف ، الأمير محمد بن القاسم، ابن بسام : المصدر السابق، ق1، م 1، ص ص 339-340 .

وأخونا أبو عامر (ابن شهيد) يسهب نثرا، ويطول نظما... متخيلا أنه أحرز السباق في الآداب، وأتي فصل الخطاب. فهو يستقصر أساتيذ الأدباء، ويستجهل شيوخ العلماء...»[1].

هذا وإذا أردنا تتبع التراكيب وأساليبها الفنية في الكتابة السلطانية، نلاحظ بأنها جاءت في الغالب الأعم بسيطة ليس فيها خروج عن المألوف في الكتابة الرسمية والإنشائية في البلدان الإسلامية، فلقد سعى الأندلسيون يقتفون أثر المشارقة في أساليب الكتابة[2] وكان النثر أول عهد العرب بالأندلس سهلا جزلا لا تكلف فيه، ولا أثر للصناعة اللفظية إلآ ما جاء منها عفوا.

أما عن الألفاظ التي تضمنتها نصوص الكتابة السلطانية فلقد امتازت بالوضوح والبعد عن الغريب، إذ لا يحتاج قارئ عصرنا لهذه النصوص إلى الرجوع للمعاجم، إلاّ نادرا، ومنها نصوص التي يستغنى قراؤها عن القاموس استغناء تاما.

مما لا شك فيه أن نسيج الأسلوب الفني الذي قولب مضامين أنماط وصيغ الكتابة السلطانية لهذا العصر قد اتكأ على العديد من الروافد الموروث التراثي ،ولقد تصدرها رافد القرآن وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ولو ضمنيا، فلقد لازمتها ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم بصفة خاصة في مواقع مختلفة ومواضيع متعددة، لدرجة يكاد يندر كتاب سلطاني خال من آية قرآنية بنصها الكامل أو بالتلميح إلى معناها، وتأسيسا لذلك فنصوص الكتابة السلطانية عبرت بكل وضوح عن الروح الدينية التي ارتكزت عليها أسس الدولة الأموية بالأندلس كما حرصت أن تلتزم بها سياسة ونهجا[3].

والأهم من ذلك كله أن الكتابة السلطانية أخذت تتجه بشكل واضح إلى المنهجية والعناية بالبدء والعرض والخاتمة. كما انعكست عليها فخامة وعظمة الأندلس في عصر الخلافة. نلمس ذلك من خلال كثرة الألقاب، والجمل الدعائية المفخمة، والعبارات الاعتراضية المعظمة، ومن خصائصها المشرقية المقتبسة عن طريقة ابن العميد والتي تميل إلى التكرار والتطويل والبسط والإطناب[1].

---

(1) ابن بسام : المصدر السابق، ق1، م1، ص 340 .
(2) المصدر نفسه، ق1، م1 ، ص ص 19-20.
(3) ينظر على سبيل المثال: كتاب الخليفة الحكم المستنصر بالله، الخاص بتكليف أبي العيش على قبيلته من هذا الفصل ص ص 65- 66 .
(1) أحمد هيكل: المرجع السابق، ص ص 252. ص 338.

هذا، ولقد حمل النثر السلطاني الأندلسي في طياته الكثير من ملامح وسمات الشخصية الأدبية المستقلة[2]. نلمس ذلك بالخصوص في قلة الغلو والمبالغة في تعظيم الخلفاء – السلاطين- كما كان المشارقة يفعلون. والالتزام بالإطناب في الرسائل السلطانية، كما أنها استطاعت أن تجمع مزايا كثيرة تقاطع معها التقاء الشرق بالغرب، رغم ذلك ظل النثر الأندلسي بما فيه أدب الرسائل السلطانية محافظا على عربيته وفصاحته، لم تفسده العجمة إلى غاية جلاء المسلمين من بلاد الأندلس[3].

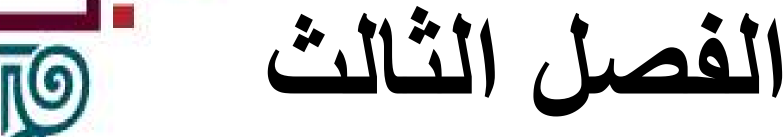
هكذا استطاعت الكتابة السلطانية خلال هذا العصر أن تتعدي الحواجز السياسية، بكل قوة، ظهر ذلك بالخصوص في تنوع الأساليب البلاغية وتلوينات المحسنات البديعية التي أضفت التفاعل والتكامل على الأثر الحضاري للكتابة السلطانية، بما حملته من مظاهر التطور واكتمال سمات استقلال الشخصية الأدبية للنثر السلطاني التي ظهرت في أواخر عصر الخلافة بظهور كتاب بارعين أغنوا الكتابة الفنية بأمثلة رفيعة من كتابتهم الإنشائية[4]. كما برزوا بأسلوبهم الخاص الذي تميزوا به. وفي هذا الصدد يرى أحد الأدباء أن استقلالية الكتابة في الأندلس جاءت نتيجة هاجس التحدي للخطاب الأدبي المشرقي والرغبة في التفوق عليه بالتقليد ثم بالتجديد أتبعه في ذلك المنوال مظاهر من الإتباع ومظاهر أخرى من الابتداع شكلا ومضمونا[5].

وبكل تأكيد سيكون لهذه الأنماط المستجدة والمتطورة الدور الكبير في تفعيل واتساع مجلات قضايا موضوعات الكتابة السلطانية. وهذا الذي سأعمل على إبرازه ضمن عناصر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

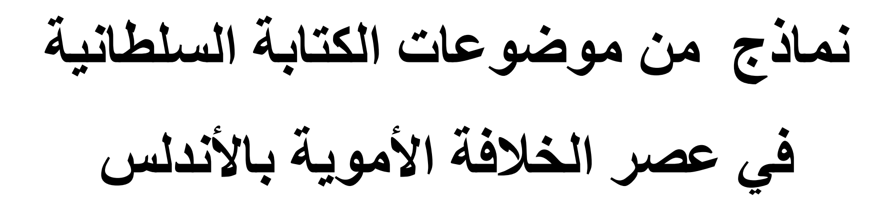
[2] إحسان عباس : المرجع السابق ، ص ص 81-82 .
[3] محمد عبد المنعم الخفاجي : الأدب الأندلسي التطور والتجديد. دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ/1992 م، ص 573.
[4] إحسان عباس : المرجع السابق، ص 329 .
[5] محمد مسعود جبران: المرجع السابق، ج 2، ص 406.







الفصل الثالث



نماذج من موضوعات الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس

أولا: موضوعات المجال السياسي والإداري

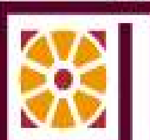
ثانيا: مجال الجهاد والحرب

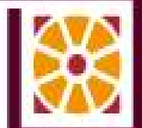
ثالثا: المجال الاقتصادي والاجتماعي

رابعا: المجال الثقافي والمذهبي

خامساً: مجال العلاقات الخارجية





يمكن القول أن مظاهر التطور العام التي أفرزتها حضارة الأمويين بالأندلس في عصر الخلافة، من الأمور التي ساهمت في تنويع مواضيع الكتابة السلطانية تماشيا مع خصائص وقضايا شؤون الدولة وانشغالاتها، سواء على المستوى العام أم الخاص. وسأتناول ،ضمن هذا الفصل نماذج من موضوعات الكتابة السلطانية كشواهد للتمثيل ولا الحصر، التي عملت على جمعها وتصنيفها في مجالات بهدف استجلاء الأبعاد السياسية والدلائل الحضارية الدالة على روح عصر الخلافة، بما حملته من مجد وقوة، وكذا هزات الفتنة وانعكاسات تداعياتها.

أولا: موضوعات المجال السياسي والعسكري

1- كتاب في الآمان* لسنة 326هـ/939 م

حرص عبد الرحمان الناصر لدين الله على محاربة الثائرين وتتبعهم حتى الموت أو الاستسلام، وبالموازاة انتهج سياسة ، منح الأمان لهم إن هم خضعوا لشروط الطاعة[1]. ككتابه الذي أصدره في سنة 326هـ/939 م، والموجه إلى محمد بن هاشم الثائر بسرقسطة و اللائذ بالتوبة والطاعة، وعقد له الأمان بأوثق عقد كما عبّر عنها ابن حيان ومما جاء فيها«... الأمان لمحمد بن هاشم وإخوته، وبنيه، وذويه، وجميع أصحابه ورجاله، ومن اتصل به وبهم جميعا، من أهل مدينة سرقسطة، مدة يرضاها الناصر لدين الله، ويملكه إياها تمليكا، يدخل فيها من يشاء... ويكون أهل مدينة سرقسطة ومن يبقيه محمد بن هاشم بينهم من أهله وأتباعه، آمنين بأمان الله، محفوظين بعهد الله ... وأن يجدد البيعة لأمير المؤمنين، ويلتزم شروطها، ويخلص الطاعة له، ويوفي حقوقها وأن يغزو مع أمير المؤمنين ويعادي من عاداه ويحارب من حاربه ويسالم من سالمه من أهل الملوك وغيرهم، ... ويصير ذلك له وصية فيمن بعده، يلزم الوقوف عندها، على سبيل الخلفاء في خالدات عهودهم، إن شاء □»[2]. لقد أعقب هذا الحدث مراسيم حلف« خمسين يمينا منسوقة» [3]. أقام بها كل من الخليفة ومحمد بن هاشم، بمسجد سرقسطة الجامع وأمام شهادة جمع من كبار رجال الدولة[1]. هكذا تبين ، من نص الكتاب كيف كان هذا الخليفة يجيد التعامل مع أعدائه الثائرين في إكرام من آتاه طائعا. كما امتاز بالوفاء

* « وهي رأس مال الملك، وعليها التعويل في حقن الدماء وحفظ الأموال ومنع الشرور وقمع الدُّعار والمفسدين، والمنع من التظالم المؤدي إلى الفتنة والاضطراب؛ ومنها الوفاء بالعهد، قال تعالى سلطانه□وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً□ سورة الإسراء، الآية 34؛ وهو الأصل في تسكين القلوب، وطمأنينة النفوس، ووثوق الرعية بالملك إذا طلب الأمان منه خائف، أو أراد المعاهدة منه معاهد ». ابن طباطبا: الفخري في الأداب السلطانية، ص 24.

[1] حسن محمود حسن، ومنى حسن محمود: تاريخ المغرب و الأندلس، من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار الفكر، القاهرة، ط I، 1419هـ/1999 م،ص 138.

[2] ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص ص 404-407.

[3] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[1] لمعرفة مناصب هؤلاء الرجال و أسمائهم (الشهود). ينظر المصدر نفسه، ص ص 407 -410 .

بالعهد الذي قطعه لهم[2]. كان لهذه السياسة أثرها الإيجابي، إذ استطاع هذا الخليفة كسب بعض الثوار إلى جانبه فأصبحوا من أخلص الأتباع[3].

2- كتاب في وصية الاستخلاف لسنة 381 هـ/991م

جرت رسوم الحكم في الأندلس أن يوجه الخلفاء كتب وصايا الاستخلاف لأبنائهم أو أولياء عهدهم الذين سيعقبونهم في مناصبهم. وهذا النوع من العهود غالبا ما يقيدها الخلفاء في أواخر أيام حكمهم. وأهم ما تشتمل عليه رسائل الاستخلاف . جملة من النصائح والإرشادات القيّمة.

يأتي كتاب، الحاجب المنصور بن أبي عامر لسنة 381 هـ/991م نموذجا لوصية الاستخلاف، وجهها إلى ابنه عبد الملك ومما قاله فيه: « يا بني لست تجد أنصح لك ولا أشفق مني عليك، فلا تتعدين وصيتي فقد جودت لك رأسي ورويتي على حين اجتماع من ذهني فاجعلها مثلا بين عينيك، وقد وطئت لك مهاد الدولة، وعزلت طبقات أوليائه، وقايست لك بين دخل المملكة وخرجها، واستكثرت لك من أطعمتها وعددها، وخلفت لك جباية تزيد على ما يقويك بجيشك ونفقتك، فلا تطلق يدا في الإنفاق، ولا تغض لظلمة العمال، فينحل أمرك سريعا، فكل سرف إلى اختلال، فاقصد في أمرك جهدك واستلبث فيما يرفع إليك أهل البطالة، والرعية قد صفيت لك تقويمها وأعظم مناها إلى أن تأمن البادرة وتسكن إلى لين الجنبة... وصاحب القصر قد علمت مذهبه. و أنه لا يأتيك من قبله شيء تكرهه ... والألفة ممن يتولاه، ويلتمس الوثوب به، فلا تنم عن هذه الطائفة جهدك، ولا ترفع عنها سوء الظن والنميمة، وعاجل بها من خفته على أقل تهمة، مع قيامك بحق صاحب القصر على أتم وجه، فليس لك ولأوليائك شيء يقيكم الحنث في يمين بيعته إلا ما تقيمه لوليها من هذه النفقة...»[4].

تضمن نص الوصية العديد من أمور السياسة العامة، إذ حل سيرة حياة قائد ورجل سياسي داهية محنك وضعها بين يدي ابنه عبد الملك حتى يستنير بهديها لقيادة بلاد الأندلس. هكذا تم توريث منصب الحج [illegible] بالأندلس، لأن المقاليد في المناصب السلطانية تكون تحت إشراف الخليفة مباشرة. و الملت

(2) نفسه، ص 466.

(3) حسن محمود حسن، ومنى حسن محمود: المرجع السابق، ص 138.

(4) ابن بسام : المصدر السابق ،ط1417ه 1997م ق4 ، ج1، ص ص 76 78 .

للأنتباه وصية الترشيح تعود لسنة 381هـ/991م[1]. وهذا التاريخ نعتبره مبكرا، إذا ما قارناه بسنة وفاة المنصور التي حدثت سنة 392هـ/ 1002م[2]، وقد يرجح سبب ذلك إلى المرض الذي كان ينتاب الحاجب المنصور من حين إلى آخر[3].

3- كتاب في الجهاد لسنة 390هـ/ 1000م

يعتبر الجهاد أحد الأسس التي ترتكز عليها مشروعية القتال في الإسلام، وذلك حتى يكون الدين كله لله « والجهاد باب من أبواب الجنة»[4]. وأصل الجهاد في سبيل الله ليس لحمل الناس على اعتناق الإسلام كرها لكن لإزالة الحواجز والعقبات المانعة من سماع تعاليم الإسلام على الناس[5] . وفي ذلك قال سبحانه وتعالى: (لا إكراه في الدين)[6]. وكتب الجهاد عادة ما تأتي للحث على الجهاد، مبينة أهدافه وأبعاده، شارحة بواعثه وفضائله وهي تهدف كما ذكر القلقشندي إلى إعزاز الكلمة وإسباغ النعمة بإظهار هذه الملة، وما وعد الله من نصر أوليائه وخذلان أعدائه[7]. ويأتي كتاب الحاجب المنصور[8] الخاص بموقعة صخرة جربيرة (Cervera Pena) لسنة 390هـ/1000م كمثال على جهاده وانتصاراته البطولية في غزواته التي اشتهر بها ضدّ نصارى شمال الأندلس[9].

لم ينتصر هذا الحاجب في هذه الغزوة إلاّ بعد حرب شديدة صعبة وذلك بسبب تحالف ملوك وأمراء النصارى واتفاقهم على الصمود أمامه مهما كانت انتصاراته . ومن العطل، كذلك فرار فلول جنوده من تلك الحرب[1]. وبعد انتهاء المعركة وعلى اثر عودته إلى

---

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص 293.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص301. ابن الخطيب: المصدر السابق، ج2، ص 80. في حين وردت وفاته عند الحميدي في سنة 393هـ/1003م. الجذوة : المصدر السابق ، ص 70.

(3) ابن بسام : المصدر السابق ، ق 4 ، م1، ص76 ،

(4) الإمام علي بن أبي طالب : نهج البلاغة ، تحقيق و شرح ، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الإحياء الكتب العربية، سي البابي الحلبي و شركاه ، ط1، 1383ه//1963 م. ج، 1 ص75

(5) علي محمد الصلابي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، دار التوزيع و النشر الإسلامي ، ، القاهرة ط1، 1427ه /2006 م ، ج1، ص 173.

(6) سورة البقرة، الآية : 256.

(7) القلقشندي : المصدر السابق ، ج8، ص 246.

(8) من غريب الصدف أن المصادر التاريخية تقرن ميلاد الحاجب بن أبي عامر " بغزوة الخندق"* التي انهزم فيها عبد الرحمان الناصر. فهذا ابن الأبار يقول عن مولده : « وكان مولد المنصور محمد بن أبي عامر سنة 327 ه/939 م ، وفيها كانت الهزيمة العظيمة بالخندق على عبد الرحمان الناصر فأخذ الله بثأر الإسلام على يدي المنصور » الحلة السيراء : ج1، ص ص 272-273.

(9) E L evi Provençal, opcit, T2, pp233 - 236.

(1) عبد الله عنان : الدولة العامرية.، ص72 .

قرطبة وجه إلى جنوده وقواده كتابه الذي اشتمل على الكثير من التعنيف والسخط على ما بدا منهم من تقصير وتخاذل في نصرة الدين الإسلامي والجهاد في سبيله[2].

والكتاب من إنشاء كاتبه عبد الملك بن إدريس* ومما جاء فيه«... وكثيرا ما فرط من قولكم، وسبق من عزمكم، أنكم تجهلون قتال المعاقل والحصون، وتشتاقون ملاقاة الرجال على العجول، فحين جاءكم شانجه** بالأمنية، وقاتلكم بالشرطية، وظهرت لكم رعلة الطائفة النصرانية، أنكرتم ما عرفتم، ونافرتم ما ألفتم حتى فررتم فرار اليعافير***من آساد الغيل... فألحقتم العار بأنفسكم ...فلا نعمتي رعيتم،... ولا غضب الله ورسوله اتقيتم، فقد قال الله عزّ وجل: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[3] وقال: □ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[4] ففيم، ولما كان انحيازكم، أشكا في وعد ربكم ؟ أم كان خورا في أصل طبعكم ؟ أم عجزا عن دفع بطلكم بحقكم؟ ... ولولا رجال من □ صدقوا، فرفضوا عنكم العار بجلادهم، وحرروا رقابكم من الذل بجهادهم، وبذلوا في الله ما بذلوه بحكم القرآن، و الرعاية لذمم الدين و السلطان، لبرئت من جماعتكم،...لن أعدم من الله العلي العظيم عاجل نصر وحسن عقبى لعباده المخلصين، وأوليائه المتقين ،فلابد أن ينصر دينه بما شاء...»[1] وقال

---

(2) عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ق2 ، ص ص 562 -563.للمزيد حول وقائع هذه غزوة ينظر: المرجع نفسه الصفحة نفسها كذلك.
E Levi Provençal, Opcit, T 3, pp 252-253.

* هو عبد الملك بن إدريس الجزيري ، أحد وزراء و كتاب الحاجب المنصور وابنه المظفر ، ذكره الحميدي، و قال فيه: «عالم أديب،شاعر، معدود في أكابر البلغاء و من ذوي البديهة ». جذوة المقتبس ...، المصدر السابق ، ص 248. ينظر عن بعض أشعاره ، الثعالبي: اليتيمة ... ،المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 101-102 .و المقري : المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 71 -72 . قال فيه صاحب المطمح :«علم من أعلام الزمان ، و عين من أعيان االبيان ، ...، تولى التحبير أيام المنصور و الإنشاء ...، ولا أحد يلحقه ، إلى أيام المظفر فمشى على سننه ...» الفتح ابن خاقان: المطمح ...، المصدر السابق المصدر السابق ، ص ص 74 -75. « و لقد حصل ابن الجزيري الكاتب على المراتب العالية،بامتلاكه ناصية البلاغة و التعاليم الديوانية فكان يحب الاشتمال على ابن أبي عامر المنصور و يتصور فرط حاجته إليه في الإنشاء. »ابن الأبار: إعتاب...، المصدر السابق، ص198. و كان الجزيري عقربي الطبع، والتهور والانتساب في الدسائس البلاطية قتل بالمطبق سنة 394 هـ/1004م. ابن بسام : المصدر السابق ،ق4،ج1، ص ص50 -52.

** هو شانجة غرسية الثالث ، المعروف الكبير(Sancho Garces 3 El Mayor) ملك نافار (NAVARRE) 970م-1035 م، علما أن نافار نالت استقلالها عن الحكم الكارولنجي ، في القرن التاسع الميلادي ، وبعد ذلك صارت وريثة حقوق الكارولنجيين في أرغون (ARAGON) وعلى اثر ذلك ضمت نافار هذا الإقليم اليها خلال القرن العاشر للميلاد . وحصل شانجة الكبير على عرش قشتالة و استولى على أغلب ليون ، كما وحد ممالك اسبانيا لعدة سنين ،أ وصى شانجة بأرغون لولده راميرو الذي ملكها لغاية وفاته سنة 1063م . و به انتهت الوحدة. وبعد وفاة ألفونسو المحارب الذي حكم مابين (1104م-1134م) ،عادت مملكة نافار الى عرشها القديم. وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم ، ترجمة ، محمد مصطفى زيادة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. د.ت، ج1، ص 649 . عبد الله عنان: المرجع السابق ، ق2، ص ص 599-601.
Levi Provençale, Opcit, T2, p p252-253

*** العفر –بفتحتين – التراب، والأعفر الرمل الأحمر ، والجمع يعفور، المختار من صحاح اللغة، المرجع السابق ، ص ص 347-348.

(3) سورة الأنفال، الآية 45.

(4) سورة الأنفال، الآية 16.

(1) النباهي : المصدر السابق ، ص ص 110-111 .

ابن أبي عامر كان متأثرا بخطبة الجهاد[2] المنسوبة إلى الخليفة الإمام علي رضي الله عنه، من أمثلة تلك المقاطع قوله (فواعجبا من جد هؤلاء في باطلهم ، وفشلكم عن حقكم ، حين صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم ولا تغرون) أو كقوله (فأنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا أحلام أطفال، وعقول ربات الحجل) كان انتصار الحاجب المنصور في هذه الغزوة بظروفها الصعبة وملابساتها الدقيقة له مغزى عظيم الأثر في الأوساط الأندلسية وما يدل على ذلك قصيدة التهنئة بالفتح العظيم من نظم شاعر المنصور صاعد البغدادي والتي كان مطلعها:

اَلْيَوْمَ عَاشَ الدّينُ وَابْتَدَأَ الهُدَى   غَضَّا وَعَادَ المُلْكُ عَذْبَ المَوْرِدِ [3]

جاء هذا الكتاب في صيغة خطبة الجهاد، ولقد عكس نصه البياني صدقا حالة الحاجب المنصور المشحونة بالغضب والنقمة على جماعة جنوده الفارين كما تجلت فيها مشاعر السخط لنفس القائد الأعلى لجيش أبي عامر، فجاءت رسالته مجلجلة الإيقاع متلاحقة العبارات، كثيرة الفواصل، يشيع فيها التقابل* بين المقاطع، وينشر فيها نوع من السجع الفقير الصنعة قليل التنوع كما أسند الكلمات إلى جمع المخاطبين، مثل (عرفتم، نفرتم، آلفتم، فررتم، ولا وجوهكم أبقيتم، لسفه أحلامكم). كما هو واضح اتكأ هذا الكتاب كثيرا على شواهد من القرآن الكريم، وذلك حسب رأيي لإبراز قيمة الجهاد في سبيل الله ، وفي نفس الوقت لتبيان مدى فداحة موقفهم (أي الفرار من ساحة الوغى) أمام الله الذي سيعاقبهم يوم القيامة على موقفهم ذلك. ومن جهة أخرى إن إعلام الرعية بالفتوحات والانتصارات على الخصم ليس إلا مسألة سياسة ونفسية معتمدة من صاحب السلطان فالتحذير هنا لكل من تسول له نفسه بالعصيان أو التمرد على السلطة والسلطان ولا تخرج عن الالتزام بالطاعة في سبيل إعلاء راية الإسلام.

4- كتاب حول الفتنة لسنة 409هـ/ 1019م

جاء موضوع الحرب في خطاب الكتابة السلطانية لعهد الخلافة الأموية بالأندلس، متنوع الموضوعات وذلك لتعدد العوامل والأسباب الدافعة لها. والكتاب الذي ندرجه ضمن هذا السياق سيكون نموذجا لبعض أوجه الصراع الدموي الذي أصبح الطابع الغالب على

---

(2) ينظر : نهج البلاغة ، المصدر السابق ، ج 1 ص ، ص75-79.
(3) ابن الخطيب : المصدر السابق ،ج2، ص69.
* التقابل من المقابلة : وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب .أحمد الهاشمي ، المرجع السابق، ص 304.

أوضاع الأندلس أيام الفتنة العصيبة. فاهتز كرسي الخلافة والسلطان في قرطبة، وتقلص نفوذ الخليفة، وانتزى كل أحد في موضعه وخرجت العديد من الولايات عن طاعته[1].

وهذا الكتاب هو من الخليفة المرتضى* الذي تمت بيعته سنة 409 هـ/1019 م إلى أمير صنهاجة زاوي بن زيري صاحب غرناطة[2] بادر هذا الخليفة باستعمال الكتابة السلطانية كأداة سلمية للتفاهم، فتمت بينهما، مراسلات، بقيت منها بعض الإشارات، خاطب الخليفة المرتضى الأمير الصنهاجي زاوي بن زيري بكتاب «يدعوه فيه إلى طاعته، ومسح أعطافه، وأجمل موعده»[3]. كما وعدهم بأمان الخروج، لأنه لا سبيل إلى بقائهم بذلك الموضع[4]، بعد قراءة نص الكتاب طلب هذا الخليفة من كاتبه بالرد على ظهر رقعته**. فلما قرأ المرتضى جواب زاوي تبين رفض الأمير البربري، لمطالبه، وأرسل إليه كتابا ثانيا مليئا بالتهديد و الوعيد و من جملة ما قال فيه .إنه « قد أتاه بجميع ابطال الأندلس وافرنجها فما عساه يصنع أمام تلك القوة؟ ولذلك فمن الأفضل له أن يعلن تسليمه. وأنهى كتابه بهذا البيت من الشعر:

إنْ كُنْتَ مَنَّا أَبْشِرْ بِخَيْرٍ أَوْ لاَ فَأَيْقِنْ بِكُلّ شَرّ »[1]

كان جواب زاوي* من الأسباب التي جعلت الحرب أمرا واقعا «وناشبه القتال»[2] لكن هذا الخليفة انهزم ومن معه و« طاروا على وجوههم، مسلموهم وإفرنجهم»[3].وقتل هذا الخليفة «في ضنك ذلك المأزق»[4]. قبل أن يصل إلى كرسي الخلافة الأموية بقرطبة.

---

(1) أحمد فكري : المرجع السابق ، ص 125 .

*هو الخليفة الأموي عبد الرحمان الرابع بن محمد بن عبد الله بن الناصر الملقب ((المرتضى)) قتل في السنة التي بويع فيها 409 هـ/ 1 019 م، في طريقه الى قصر قرطبة. ابن عذاري : المصدر السابق ، ج3، ص ص 121-122،و ص ص 125 -131 . عن أخباره يراجع ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، المصدر السابق ، ص 101، ابن بسام : المصدر السابق ، ق1، ج1، ص 351. ابن الأثير : المصدر السابق ، ج9 ، ص271 . الخطيب : المصدر السابق ، ج2، ص .124

(2) لم يخطط الخليفة المرتضى عندما خرج من شرقي الأندلس سنة409 هـ/ 1 019 م لمواجهة و الاصطدام بزاوي بن زيري ، فلقد كان هدفه قرطبة ، للقضاء على القاسم بن حمود الذي تولى الخلافة مكان أخيه ، لكن خيران و من معه لما رأوا قوة شخصية المرتضى، خافوا من أنه لن يحقق لهم أمانيهم، عندها عملوا على الغدر به من أجل القضاء علية ، فأشاروا له التوجه الى غرناطة لدعوة زيري للدخول في طاعته ، يعود تاريخ دولة هذا الأمير البربري في غرناطة الى سنة 403هـ/1013 م تحديدا مع وصول الخليفة سليمان بن الحكم الى عرش الأندلس للمرة الثانية إذ كان على هذا الخليفة أن يثمن مناصرة البربر له لأن لولاهم لما نال كرسي الأندلس . ولأجل ذلك أقطع ولايات الأندلس الخاضعة لسيطرته على قبائلهم . كما وزع عليهم المناصب السلطانية ، حيث كان منهم الحاجب و الوزير بهذا العمل يكون الخليفة المستعين قد خفف من وطأتهم التي بدأ يحس بثقلها. بالرغم من ذلك فدولته كانت « أول دولة البربر بقرطبة » ابن عذاري : المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 112-114 .. فهو« لا يقدر على خلافهم لأنهم كانوا عامة جنده وهم الذين قاموا معه حتى ملكوه ». ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 7، ص 268 .للمزيد عن أخبار المستعين و أحداث الفتنة ينظر ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج2، ص ص 113-117 . و ابن خلدون : العبر، المصدر السابق ، ج4، ص ص 150 -152، عبد القادر بوباية : البربر في الأندلس ،ج2، ص ص 378-384.

(3) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج3، ص 125. ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج1، ص 295. لم أعثر على النص الكامل لهذا الكتاب بل جاء في معظم المصادر التي ذكرته مختصرا متصرفا فيه .

(4) الأمير عبد الله بن بلقين آخر أمراء بني زيري بغرناطة: كتاب التبيان ، تحقيق آمين توفيق الطيبي ، منشورات عكاظ ،الرباط، 1998 م . ص 61 .

** جاء فيه:﴿ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ سورة الكافرون : الآية ،1، 2 . ابن بسام : المصدر السابق ، ق1، ج1، ص 351. ابن الخطيب : الإحاطة ...، المصدر السابق ،ج1،ص295.

(1) المقري ،المصدر السابق ، ج2، ص 30.

ومن الواضح البين، أن هذا الكتاب على الرغم من اقتضابه أبرز أوجه وصور الصراع الدموي الذي اصطبغت به أوضاع الأندلس أيام الفتنة العصيبة. والمتتبع لخلفيات هذا الكتاب سيجد كل صور الغدر السياسي والعسكري وتشعب الأطراف التي ساهمت في مقتل المرتضى الذي كان شائعا في بلاد الأندلس خلال هذه الفترة المضطربة ، بدليل تصريح القائد زاوي بن زيري لجيشه عندما انتهت الحرب لصالحه حيث قال: «إن انهزام من رأيتموه لم يكن عن قوة منا. إنما جره مع القضاء غدر ملوكهم لسلطانهم ليهلكوه كما فعلوا، فاني عرفت ذلك من يوم نزولهم »[(5)].

حمل هذا الكتاب أصداء أزمة فتنة القرن الخامس الهجري التي عاشتها الأندلس وأوضحت قدرا من تفاصيلها الدقيقة. وكشفت عن تلك التحالفات والتواطؤ مع نصارى الشمال، مثلما ورد في قول الخليفة المرتضى للأمير البربري (انه قد أتاه بجميع أبطال الأندلس والفرنجة فما عساه يصنع أمام تلك القوة؟). لقد فتحت بها معابر باب الأندلس أمام الأسبان الذين تدخلوا في شؤون الخلافة الأموية مما زاد في تشابك وتعقد أزمة الفتنة كما شجع حركة الاسترداد الإسباني التي استهدفت اقتطاع أراضي الأندلس من يد المسلمين.

ثانيا : موضوعات المجال الإداري

1- كتاب في العزل* الإداري لسنة 325هـ/937م[(1)]

تنوعت الأسباب والطرق التي كان يتم بموجبها عزل رجالات الدولة من المناصب السلطانية ، ويعتبر كتاب العزل الذي رد به الخليفة الناصر لدين الله على رسالة** القائد

*﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ سورة التكاثر : الآية 1. الأمير عبد الله : التبيان ، المصدر السابق ، ص 61 . ابن بسام: المصدر السابق ، ق1، ج1، ص 351. ابن الخطيب : الإحاطة ...، المصدر السابق ،ج1،ص295.

(2) ابن بسام : المصدر السابق ، ق1، ج1، ص 351. ابن الخطيب : المصدر السابق ،ج1،ص295. .

(3) ابن بسام : المصدر السابق ، ق1، ج1، ص 351.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها . مجهول : مفاخر البربر ، المصدر السابق، تحقيق عبد القادر بوباية ، ص 134. ابن الخطيب : المصدر السابق ،ج1،ص 295.

(5) ابن بسام : المصدر السابق ، ق1، ج1، ص354.

* العزل ويقال له كذلك (الصرف) يدخل ضمن الإجراءات السياسية والإدارية بقرار وتحت اشراف الخليفة الوحيد الذي له صلاحيات، معاقبة رجالات دولته وعزلهم من خططهم السلطانية، لسبب أو عدة أسباب أنكرها عليهم. ابن ابن حيان : المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص 470.

(1) المصدر نفسه، ص 394 .

** أرسل هذا القائد عامله على مدينة شنترين . ابن حيان، المصدر السابق، شالميتا ،ص 394 . من سرقسطة لعبد الرحمان الناصر يطلب منه أن يجعله وليا لعهده بدلا من الحكم أو عبد الله أبني عبد الرحمن الناصر. مجهول : أخبار مجموعة ، المصدر السابق، ص ص 177-178 .

أحمد بـن إسـحاق***، أحـد النمـادج وممـا جـاء فيـه:«أمـا بعـد: فإنا كنـا نـرى الاسـتحماد إليـك استصـلاحا لـك، فـأبى الطّـبع الغريـزي إلاّ مـا اسـتحكم منـه السـوء، إلاّ أن اسـتحوذ عليك،فـالفقر يصلحك والغنى يطغيك، إذ لـم تكـن عرفتـه ولا تعودتـه. أو لـيس كـان أبـوك فارسـا مـن فرسـان ابـن حجـاج أخسـهم حـالا عنـده، وأنـت يومئـذ نخـاس الحميـر بإشـبيلية، فـأقبلتم إلينا،فآوينـاكم ونصرناكم وشرفناكم، ومولناكم، واستوزرنا أباك، وقلدناك أعنة الخيل أجمع،وفوضنا إليك أمر ثغرنا الأعظم، فتهاونت، بالتنفيذ لنا وقلة المبالاة بنا. ثم مع هذا الترشيح للخلافة فبأي حسب أو بأي نسب؟، وفيكم قال القائل:

أَنْتُمْ خُتّارُ****أَخُتّارٍ وَلَيْسَ خَزّ*****كَخَيْش******

أليست كانت أمك حمدونة الساحرة، وأبوك المجذوم، وجدك بـواب حـوثرة ابـن العبـاس يفتل الحبـال فـي أسطوانة ويخيط الحلفا علـى بـاب داره؟ فلعنك الله ولعن مـن أنشبنا بك. فيـا مأبون ويا مجذوم، ويا ابن الكلب والكلبة اقبل صاغرا» (2). إن السب والشتم ومـا إلـى ذلك من الحط من شأن القائد التي احتوى عليها هذا الكتاب بينت بكل وضوح حالـة غضب الخليفة عبد الرحمـان الناصـر لـدين الله، وهـذا النـوع مـن الجـواب كـان كافيـا لعزلـه مـن منصـب القيـادة. لـم يكتف الخليفـة بهذا الجـواب، بـل أمـر القائـد مـولاه نجدة بـن حسين بمحاربتـه « فـي قطعـة مـن الجيش مبادرا فتقه»(1) من خلال [illegible] البعيدة عن التسامح والمجاملات التي قد تضر بدولتهم وسلطتها.

ومن الأسباب التي كانـت تـؤدي إلـى عـزل رجـالات الخدمـة السلطانية عندما يتبن أن صاحب الخطة غير أمين في الأعمال المكلّف بهـا. ظهـر ذلك عندما عزل عبد الرحمـان الناصـر لـدين الله سـعيد بـن حسـان عن خطتـي الـوزارة والسكة معـا وسـجنه مهانـا، لأنـه وقـف على التدليس، في عمل السكة وفساد نقد المال الذي ضرب في مدته(2).

*** أحمد بن إسحاق القرشي من أصل أموي، أصبح من كبار القواد زمن عبد الرحمن الناصر، ثم أرسله الناصر لحصار سرقسطة وبقي هناك ، وعلى اثر ذلك نال الكثير من الإمتيازات ، مما جعلته يغالي في طموحه ،حتى بلغ به مبلغ أن رشح نفسه لولاية العهد بعد الخليفة الناصر . محمد ماهر حمادة : المرجع السابق ، ص172 .

**** من ختر، والخثورة : ضد الرقة. المختار من صحاح اللغة ، المرجع السابق ، ص 131.

***** مفرد خزوز، من الثياب. المرجع نفسه ، ص 135. الرفيعة التي تليق عادة بالسلاطين ، والطبقات الراقية في القرون الوسطى .

****** الخيش ، ثياب مصنوع من الكتان. الرديء . نفسه ، ص 152.

(2) مجهول : أخبار المجموعة ، المصدر السابق ، ص ص 138-139.

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ، ص 394

(2) المصدر نفسه ، ص 486 .

وكـان العـزل فـي كثيـر مـن الأحيـان يجـر علـى صـاحبه سـخط الخليفـة علـى المعـزول وبالإضـافة إلـى النتـائج الوخيمـة كـالحبس[3]، وقطـع الجريـات، كمـا حـدث مـع الأميـر البربـري زيري بن عطية، الذي كان قائما بالدعوة لبني أمية بالمغرب، لكن سخط الحاجب المنصور بن أبي عامر عليه و عزله وتابعه بالقتل.[4] إن العزل كـان يقيـد فـي كتـاب سلطـاني مثلـه مثل كتب التولية، لكي يكتسي الطابع الرسمي وينفذ، كما تبين أن الخليفة في الأندلس لـه السلطة المطلقة في تنفيذ قرار العزل.

2– كتاب في الترقيـة

تبقى الترقيـة إحدى أهداف ومساعي وطموحات رجال الدولـة، نظـرا لمـا تـوفره لهـم مـن جريـات، ومراتـب عاليـة اجتماعيـة وسياسـية. وتأتي الترقيـة فـي كثيـر مـن الأحيـان كجـائزة استحقاق، يمنحهـا الخليفـة لرجـالات دولتـه بـدون طلـب منـهم، مكافـأة لهـم لتفـانيهم فـي العمـل وإخلاصهم للبلاط الخلافي. كما تمنح الترقيـة كذلك تلبيـة لطلـب أحـد رجـال الخدمـة السلطـانية. وفي هذا السياق سنتناول كتابا يتضمن موافقة على ترقيـة أجـاب بهـا الخليفـة الحكـم المستنصـر بالله مولاه القائد غالب بن عبد الرحمان الناصري الذي طلب منه أن يرفعـه إلى القيـادة العليـا للجيش، فوقع له بالموافقة على ظهر طلبـه. والكتـاب موجـه إلـى الـوزراء لكـي يطبقـوا مـا فيـه، ونص هذا الكتـاب: «هذا ما تضمنه غالب لنا بلسانه، وأبانه عندنا وبين أيدينا له صامتا ثم خطـه بيمينه في كتابـه هذا، وقد قبلنـاه وأمضينـاه ورضينـاه وأجزنـاه، فليلـزم توقيعنـا هذا ويستقـر فـي البيـت عندكم، إن شاء الله، ورأينـا أن نوقـع اسـم القيـادة العليـا علـى غالـب مولانـا لغنائـه وجميـل مقامـه، فـلا يخاطـب مـن الآن إلا بـه تشريفـا لـه، إن شـاء الله. والله المستعان»[1]. وهكـذا تـولى غالب بن عبد الرحمان الناصري القيـادة العليـا للأنـدلس بـرا وبحـرا[2] . ولا يفوتنـا هنـا أن ننـوه بمرتبة القيادة العليا في الجيش لذلك حظي صاحبها بمكانة هامة لأنـه يشكل سندا أساسيا للخليفة[3].

---

(3) نفسه ، الصفحة نفسها .

(4) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 131-132. مجهول: مفاخر البربر ...، تحقيق، عبد القادر بوباية، ص 117 .

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق حجي ، ص 69.

(2) السيد عبد العزيز سالم و مختار أحمد العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس ،دار النهضة العربية ، بيروت ، 1969م. ص ، 184.

(3) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة الأسطول الأندلسي . دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1، 1969م، ص ص 39-40 .

إن موافقة الخليفة على طلب الترقيات وما يتبعها من ألقاب سلطانية، خاصة إذا كان صاحب الطلب من الذين ساهموا وقدموا الكثير بخدماتهم السياسية أو العسكرية(4)، لها ما يفسرها: فهي تعني المزيد من طاعة هذا القائد، وكذلك المزيد من التفاني في العمل والإخلاص للبيت الأموي ومن هنا نستنتج أن تقدير رجالات الدولة وتشريفهم والإعلاء من مراتب مناصبهم، من قبل الخلفاء الأمويين ما هو إلآ وجها من وجوه سياسة الاصطناع والترغيب التي أفادت ودعمت كثيرا حكم الأمويين بالأندلس.

3- كتاب في منح الألقاب السلطانية لسنة 399 هـ/1009 م

كان الخلفاء الأمويون يمنحون الألقاب السلطانية لكبار موظفيهم، في الحجابة والقضاء والوزارة والجيش،(5) وهي من مظاهر السلطان في الأندلس. ومن الأمثلة على ذلك نص مرسوم الخليفة هشام المؤيد* لسنة 399 هـ/1009 م الذي منح بموجبه لقب الحاجب المأمون ناصر الدولة أبي المطرف لعبد الرحمان بن أبي عامر** وما جاء فيه: « بسم الله الرحمن الرحيم. أدام الله حفظك، ... رأينا -أكرمك الله- لما ظهر لنا من جميل طاعتك،... والقيام بأعباء المملكة على أفضل الطرق ... تسميتك في كتبنا إليك وتحليتك بالمأمون في مخاطبتك... فاعتمل فيما ينفذ من الكتب عنك وإليك على عنوان كتابنا هذا إليك. نسأل الله عونا شافيا وتأكيدا كافيا إن شاء الله تعالى»(1).

يخبرنا صاحب البيان بأنه عندما أثبتت التسمية وتم الإشهار عنها لدى الكافة أنكر الناس أمر عجلة الحاجب عبد الرحمان وخليفته تسميته بالاسم الخلافي، خاصة وهو لا يحمل ولو البعض من المواصفات التي عادة يتحلى بها ذوي المنازل الكبرى من أصحاب الألقاب

---

(4) يذكر لنا ابن حيان كيف استعان الخليفة المستنصر بالقائد غالب في رسم الخطة الحربية لمواجهة الغزو النورماندي ، المقتبس ، تحقيق حجي، المصدر السابق ، ص ص 66-67 .

(5) سالم الخلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم...، ج1، ص 165.

* هو هشام بن الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمان ا لناصر ، بويع بالخلافة غداة وفاة أبيه، ولقب بالمؤيد بالله وكنيته أبو الوليد. أمه صبح البشكنسية كانت حظية الحكم المستنصر، ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص253.ابن الخطيب : أعمال ...، المصدر السابق ، ج2، ص ص48-62 . بعهد من أبيه ، وهو ابن لم يبلغ من العمر 12سنة . وبذلك استبد بالحكم بعد أن حجر على الخليفة ،وحاصره في قصره ، وسد بابه . ونقل الدواوين إلى قصر الزاهرة ، وقعد على سرير الملك ، وأمر أن يحيي بتحية الملوك ، وكتب اسمه على السكة والطراز ، ولم يبق لهشام من رسم الخلافة إلاّ الدعاء على المنابر . وبقي على الخلافة لغاية الفتنة فقتل ونبش قبره على أقل تقدير ثلاث مرات ، و رغم ذلك فلقد طالت مدته في الخلافة بلغت 36 سنة . ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2، ص253.

** عبد الرحمان بن الحاجب المنصور الملقب بشنجول ،(Sanchuelo) تصغير شانجة ، وهو اسم جده لأمه المعروف في المصادر النصرانية بلقب أبر كة (995- 970 Sancho Garces2 Abarca) و هو شانجة الثاني بن غارسية الأول ، ثالث ملوك البشكو نس لمملكةً نبارةً أو نافارا ابن عذاري: المصدر السابق ، ج3، ص38. وبقي ذلك الاسم كذلك عند العامة، وقصدوا به الأحمق. ابن كردبوس: المصدر السابق، ص66، والحاشية، رقم 5، من نفس الصفحة. ابن الخطيب: المصدر السابق، ج2، ص 84-85. تولى أمر الأندلس بعد موت عبد الملك المظفر ، و كان ذلك سنة399 ه/1009 م ناصر الدولة . ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 84-85 . 2
E L evi Provençal, opcit, T, pp 293-294

(1) ابن عذاري: المصدر السابق ، ج 3 ، ص 41.

السلطانية[2] . علما أن هذا الحاجب العامري تمادى في طلبه حتى نال في هذه السنة 399 هـ/1009 م لقب ولي عهد الخليفة هشام المؤيد بموجب مرسوم* عهد المبايعة المنعقد في لهذه السنة، على الرغم من ضعف شخصية الخليفة هشام المؤيد أمام استبداد الحجابة العامرية إلاّ أن البعد الشرعي والرسمي للسلطة ، ظل حاضرا فلقد بقي إسم هذا الخليفة مسجلا في جل وثائق المكاتبات السلطانية لعهده مما أضفى على هذه النصوص قيمة ذات بعد تاريخي وسياسي بالغ الأهمية.

ثالثا: موضوعات المجال الاقتصادي والاجتماعي

حظيت الشؤون الاقتصادية والاجتماعية بقسم كبير من اهتمامات السلطة الحاكمة، يظهر ذلك واضحا في مضامين موضوعات نصوص الكتب السلطانية التي عالجت جوانب من قضاياها المختلفة ومن أهم نماذج هذه الكتب:

1- كتاب في الاستسقاء لسنة 317هـ/930م

حدث قحط شديد في الأندلس سنة 317هـ/930م فكتب الخليفة عبد الرحمان الناصر إلى عماله طلب منهم القيام بالناس من أجل صلاة الاستسقاء ومما جاء فيه:«بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فإن الله عز وجل إذا بسط رزقه،...، أحب أن يشكر عليها، وإذا زواها وقبضها أحب أن يسألها، ويضرع إليه فيها... هو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا... فأوجبت به الرغبة...، في المسألة فيما احتبس به،... قد أمرنا الخطيب، فيما قبلنا بالاستسقاء في المسجد الجامع يوم الجمعة، والجمعة الثانية التي تليه، إن أبطأت السقيا، والبروز يوم الاثنين بعده لجماعة المسلمين عندنا الى مصلاتهم ولتكن ضراعتهم الى الله تعالى ضراعة نقد اعترف بذنبه، و رجا رحمة ربه. والله غفور رحيم، وهو المستعان لا شريك له، إن شاء الله» .[1]

يتبين جليا من هذا الكتاب كيف شغل موضوع القحط اهتمامات السلطة الحاكمة، الأمر الذي أدى بها إلى إصدار ذلك الكتاب السلطاني يأمر من خلاله الخليفة القيام بصلاة الاستسقاء. كما أطلعنا من جهة أخرى على بعض السنن الحميدة والتقاليد الدينية ذات الطابع

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 42.
* ينظر نص هذا المرسوم في الملحق رقم (4) من هذا البحث، ص ص126-127.
(1) ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ،ص 250-252 .

الاقتصادي اتجاه قضية الجفاف و ندرة الأمطار.هذه السّنة الحميدة التي لا يزال مجتمع العالم الإسلامي متمسكا بها إلى يومنا هذا.

2- كتاب في تبرئة الذمة لسنة 355 هـ/ 966 م

يندرج هذا الكتاب ضمن موضوع "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وذلك لما خص به الله تعالى الفئة المؤمنة بقوله (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[2] لذا حرص بعض خلفاء بني أمية على الالتزام بأوامر الله، ولأجل ذلك عملوا على تعيين عمال الكور والثغور« الأكفاء ذوي المروءة»[3]، لأن عدالة العامل، تنعكس على أمن واستقرار الدولة وبلادها، ومظاهر التمرد وعصيان الرعية ما هي في الواقع إلا إحدى نتائج جور وظلم عمال الكور واغتصاب أموال الناس. ولقد جرت عادة خلفاء بني أمية تفقد سيرة العمال وإدارتهم وأوضاع رعيتهم بإرسال بعض الثقات وأمناء الكور و الثغور للتحقيق مع الرعية سرا، ففي سنة 327هـ /939م أخرج الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله القاضي ابن عبد الله بن أبي عيسى* إلى الثغور الشرقية للنظر في مصالح الرعية[4]. و بالمثل سار الخليفة الحكم المستنصر بالله على نهج أبيه في تفقد أمور البلاد و العباد فلقد أمر صاحب الرد* عبد الملك بن منذر بن سعيد بالخروج إلى الكور الغربية كشريس، ولقنت، واشبيلية ولبلة وقرمونة ومورور، واستجة وشذونة لمطالعة رعاياها والتعرف على أحوالهم والكشف عن سير أعمالهم فيها[1]. وفي حالة وجود شكوى ضد أحد من العمال، حقق في الأمر، فإذا ثبتت التهمة على المدعى تتم معاقبته جسديا وماليا كما يعزل من منصبه[2].

---

[2] سورة آل عمران : الآية 110 .

[3] سالم الخلف : المرجع السابق، ج1، ص 336.

* اشتغل بالقضاء و تميز بالعدل و الصرامة في تنفيذ الحدود و الحقوق ن كان عالما ملما للسنن والآثار ، قلده الخليفة عبد الرحمان الناصر مع قضاء أمانة الكورة ألبيرة وتفقد عمالها، وكلفه بقضاء جماعة قرطبة ، سنة 326ه/ 938 م . كما أخصه ب تصريف المهمات أموره ، كالأمانات الثغور، و السفارات إلى كبار الأمراء ، و حتى الإشراف على المغازي . النباهي: المصدر السابق ، ص ص 81-82، وما بعدها .

[4] ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ،ص 453.

* هو متولي رد المظالم على أصحابها ، أي انصافهم ، وفي المشرق يقابلها النظر في المظالم ، . احسان عباس : تاريخ ...، المرجع السابق ، ص 84.

[1] ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق حجي ، ص 100.

[2] المصدر نفسه ، ص ص 104 -105 . ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2، ص 283.

ونموذج هذا الكتاب يعود إلى سنة 355 هـ/ 966م[3] وهو من إنشاء الخليفة الحكم المستنصر بالله إذ أوقع بالعمال الذين جاروا في سياستهم على الرعية، فنكل بهم وأخذهم بجورهم وظلمهم، وكتب إليهم معنفا إياهم وفي نفس الوقت تبرأ ذمته أمام الله وأمام رعيته.[4] ومما جاء في كتابه «أما بعد، فإن الله جل ثناؤه لا يظلم مثقال ذرة ولا يقوي الظالم، وهو الوكيل بنصرة المظلوم، وقد أعد للظالمين عذابا أليما، وقد علمتم عنايتنا بالمسلمين، وحفظهم حفظنا بالعباد، فحفظتموها إلى العنف والاستبداد، وحماكم السخف المركب فيكم، ووصيتنا بالداني والقاصي والمطيع والعاصي، ونبذتم بالعداء أمرنا، فلتراجع التوبة عما أنتم بسببه من الجور (وأثبتوا) العدل، (وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقلَبٍ يَنقلِبُون)[5] والسلام»[6]. إن غرض التعنيف والتوبيخ يبدو جليا بين أسطر هذا الكتاب الذي لا يخلو من الأسلوب الوعظي والاستشهاد بآيات من القرآن الكريم هذا الأسلوب الذي شاع و لعب دورا كبيرا في تبصير ولاة الأقاليم والعمال وغيرهم، الذين كانوا يحتاجون إلى هذا اللون من الوعظ[7] ليضع حدّا لما كان يسلكه بعضهم من شطط في معاملة الرعية وإيقاع الظلم والأذى بهم.

3- كتاب في إسقاط سدس مغرم الحشد* لسنة364هـ/974م

انتهج البعض من خلفاء بني أمية في الأندلس سياسة اتسمت أحيانا بالمرونة والتقرب إلى الرعية عن طريق تخفيف وطأة المغارم التي اندرجت ضمن سياسة جبائية جاءت تماشيا وظروف الدولة الملحة والمتجددة في جمع الأموال.والكتاب الذي أصدره الخليفة الحكم المستنصر بالله سنة 364هـ/974م يأتي ضمن هذه السياسة فلقد أمر فيه عماله بإسقاط سدس جميع المغارم جاء فيه « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان أمير المؤمنين لم يزل منذ أن اصطفاه الله تعالى لخلافته ...وقلده أعباء بريته، ناظرا لجميع المسلمين ...مبتهلا بأمورهم

---

[3] مجهول : المصدر السابق ، تحقيق عبد القادر بوباية ، ص 213 .
[4] ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2 ، ص 240.
[5] سورة الشعراء : الآية 227 .
[6] مجهول : المصدر السابق ، تحقيق عبد القادر بوباية ، ص 214.
[7] من بين الرسائل التي حثت على الرفق بالرعية ينظر عهد سجل الخليفة الحكم المستنصر بالله الى أبي العيش، ابن حيان : المصدر السابق، ص 114 .
* الحشد، اسم للجمع ، جمع القوم ، ابن منظور : لسان العرب ،المصدر السابق ، م2، حرف ،ح-خ-د-ذ. ص88 .

متعهدا لأحوالهم، ساعيا فيما يرفه عنهم ويرغد عيشهم...تهون عليه في ذلك رغائب الأموال ونفيسات الذخائر وجلائل الأعلاق....ولأنّ أمير المؤمنين. ...رأى أن يجدد لـه الشكر ويمتري منـه المزيـد بإسقاط سدس جميع مغرم الحشود الواجب تقاضيها منهم لسنة أربع وستين وثلاثمائة تخفيفا عن رعيته وإحسانا إلى مملكته... وآمر بقراءته عليهم إثر صلاة الجمعة ليفهمه قاصيهم ودانيهم...»[1] .

كما نلاحظ فان هذا النص فيه مبالغة كبيرة في إظهار مكانة الخليفة عندما وضعه في مصاف -الأنبياء المصطفين من قبل الله - ويبدو أن مقصد هذا الخليفة في تقليص سدس جميع المغارم كان من باب شكر نعمة الله عليه ، ومن ناحية أخرى من باب إحسانه برعيته ومراعاته لظروفها وكذلك من أجل كسبها . وحرصا على تبليغ وتطبيق بيان المنشور أمر الخليفة المستنصر بالله عماله بقراءته وإعلام جميع الرعية بمضمونه حتى لا يتحايل عليه[2].

حمل هذا الكتاب السلطاني العديد من الدلائل السياسة والمالية والاقتصادية ومدى علاقتها بالأبعاد السياسية والاجتماعية، وهذا في حد ذاته يمثل قيمة توثيقية بالغة الأهمية حيث تبين سعي معظم خلفاء بني أمية خاصة في عهد القوة، في تدعيم حكمهم عن طريق توفير الأمن وإذابة المتناقضات الاجتماعية. ولذا نجد الأمويين يتحببون إلى الرعية بإسقاط المغارم عنهم كلها أو بعضها. وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ الوضع الاقتصادي لبلاد الأندلس تحسن كثيرا خلال القرن الرابع الهجري، حيث أشاد الرحالة والجغرافي ابن حوقل عندما زار بلاد الأندلس سنة 340هـ/951م بالثراء الاقتصادي وغنى الخزينة العامة بالأموال[1] وفي عهد الحاجب المنصور ازدادت أموال الدولة نتيجة الغنائم والسبي[2].

ومن جهة أخرى فلقد كان لدخول هذه العائدات الضخمة، كانت تنفق في مجالات مختلفة وهي على ثلاثة أقسام: ثلث للجيش، وثلث للصرف العام، وثلث يدخر[3].

ورغم كل هذا لم تكن يد حكام الأمويين في عهد قوة الخلافة الأموية مطلقة كما كان مع معظم خلفاء الفتنة، فلقد أصبح همّ هؤلاء الحكام منحصرا في كيفية الحصول على

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ،تحقيق حجي ، ص ص 207- 208
(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(1) ابن حوقل:صورة الأرض ص 107 ،علما أن زيارته تعود الى سنة 337 هـ/948 ،المصدر نفسه ص 104 .
(2) عبد الواحد المراكشي :المعجب ، ج 1 ،صينظر ابن العذاري :المصدر السابق ،ج 2ص 301 .
(3) المقري : المصدر السابق ، ج 1 ،ص 146

الأموال بدون أي اعتبار لمصادرها أو تأثيرها على الرعية لأن الذي يحكمهم «..سلطان فقير، لا يقع بيده درهم إلاّ من صبابة مستغل جوف المدينة، أو نهب مغلول ممن تقلقل عنها، يقيم منه رمقه، ويفرق جملته على من تكنفه من جنده و دائرته ، ويتطرق إلى ما يقبح رعيته» [(4)].

بالإضافة إلى ما كان يؤخذ من المصادرات والسلب والنهب[(5)]، بالغ خلفاء هذه المرحلة في استغلال موارد جبائية منها مثلا جباية القطيع*، وفي ذلك يقول ابن حزم:«وأما في زماننا هذا وبلدنا هذه...جزية على رؤوس المسلمين يسمونها القطيع »[(6)] . وهذا الوضع في الواقع كان مقرونا بالهزات السياسية العنيفة للفتنة وما نتج عنها من مظاهر. من كل ما تقدم اتضح أن الحالة الاقتصادية والمالية وثيقة الصلة بالأوضاع السياسية، التي تنعكس إيجابا وسلبا على اقتصاديات المجتمع .

رابعا: موضوعات المجال الثقافي والمذهبي

1- **كتاب حول تكريم العلماء:** لسنة 330هـ/941م، كان تكريم العلماء الوافدين على الأندلس من العادات والرسوم التي حفل بها بلاط الخلافة بالأندلس.فلقد اقترن اسم قرطبة في هذا العهد بالعلم والعلماء،وأولي الفضل والأدباء[(1)]. و كانت الوفود العلمية تكرم ويحتفل بقدومها كما كانت تستقبل بحفاوة كبيرة. وفي هذا السياق يندرج جواب الحكم الثاني ولي عهد الخليفة الناصر الخاص بالعالم الأديب أبو عليّ إسماعيل بن القاسم البغدادي، المعروف

---

(4) ابن بسام : المصدر السابق ، ق!،ج!،ص 50 .

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

*من القطع جمع قطيعة ، وهي في المصطلح الإداري مبلغ من مال الجباية على الرؤوس لا تفرق بين ذمي و مسلم .يقوم بآدائها سادة النواحي الذين تعجز الدولة عن السيطرة عليهم فتتركهم عليها مقابل أدائهم اياها . و كان لها خطة تعرف –خطة القطع -إحسان عباس : المرجع السابق، ص 84. ينظر كذلك حول هذا المصطلح ، ابن الأبار: الحلة ...، المصدر السابق ، ج1، ص233 ، هامش رقم 1 .

(6) رسائل ابن حزم نقلا عن إحسان عباس : المرجع السابق، ص 84-85.

(1) السيدعبد العزيز سالم : تاريخ ا لمسلمين ...، المرجع السابق ، ص 310 .

بالقالي* الذي وفد على الأندلس في سنة 330هـ/941 م، وأكرم الخليفة عبد الرحمان الناصر مورده، وأحسن تقبله و مثواه[2]. وفيه قال الشاعر الرمادي** :

شَمْسٌ فَكَأنّهٌ فِي غَرْبِنَا وَتَغَيّبَتْ عَنْ شَرْقِهِمْ بَأُفُولِ [3]

اختصّ الأمير الحكم الثاني بوفادة العالم المستبحر في علوم اللغة أبو علي القالي،فأمر عامله ابن رماحس باستقباله والدخول به الى قرطبة في وفد ينتخبهم من وجوه رعيته تكرمة له[4]. وأثناء رحلته كان الوفد المرافق له يتذاكر معه الأدب وعندما تناولوا بيت بن عبدة بن الطيب الذي هو:

ثُمّتْ قُمْنَا إلَى جَرْدٍ مَسُومَةَ أعْرَافِهِنّ لأيْدِينَا مَنَادِيلُ

و أخطأ القالي في لفظ أعرافهن مرتين، وفي كل مرة يلفظها أعرافها « فأنكرها ابن الرفاعي الألبيري، وكان من أهل الأدب والمعرفة »[5] .فأستصغر هذا الأخير شأن العالم الأديب قائلا: « ومع هذا يوفد على أمير المؤمنين، ويتجشم وزن بيت مشهور بين الناس لاتغلط الصبيان فيه. والله لا اتبعنه خطوة »[1]. ولما ا ضرف كتاب الوالي ابن رماحس إلى الحكم بما جرى يشكوه، فأجابه على ظهر كتابه بما يلي: « الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطئ وافد أهل العراق إلينا، وابن رفاعة أولى بالرضا من السخط، فدعه لشأنه، وأقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته، فسوف يعليه الاختبار إن شاء الله تعالى أو يحطه»[2].

* أبو علي القالي: هو إسماعيل بن قاسم بن عديون بن هارون القالي ثم البغدادي (288هـ 356هـ / 901م 967م) و نشأ في ديار بكر.من كتبه : كتاب الخير المعروف بالنوادر يشتمل على كثير من الشعر و أبواب اللغة .أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي:طبقات النحويين و اللغويين ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ،ط2، ،دت ، ص121 .ينظر أخباره ،الحميدي : المصدر السابق ، ص 145-146 . المقري : المصدر السابق ، ج 4، ص ص 71 -74 و عند، الطاهر أحمد مكي: دراسة في مصادر الأدب، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط 8، 1419هـ/ 1999م ، ص ص -245-240. سعد عبد الصالح البشري : الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316 -422هـ/928-1030م)،مجمع البحوث و إحياء التراث ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة . 1418هـ / 1997م،،ص ص 220-223. ابن خلدون: المصدر السابق ص476.

[2] ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ، ص ص479- 480عن أبي القالي ينظر .. ابن خلدون : المصدر السابق ، ج4، ص 146. المقري : المصدر السابق ، ج 4، ص ص 70--83 .

** هو يوسف بن هارون أبو عمر الكندي ، يعرف بالرمادي،شاعرمشهور ابن خاقان : المطمح ، ، ص ص ، 163-175 عاش أكثر أيامه في قرطبة ،عن أخباره ينظر الحميدي :المصدر السابق ، ص ص334 335في بلاط الخلافة الأموية ثم في بلاط الدولة العامرية ، أدرك الفتنة ، و مات كبير السن معدما فقيرا سنة 403 هـ/1013م. إحسان عباس : المرجع السابق ص 205، و ما بعدها .

[3] المقري: المصدر السابق ، ج4، ص 75 .

[4] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[5] المقري: المصدر السابق ، ج4، ص 71.

[1] المقري: المصدر السابق ، ج4، ص 71 .

[2] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

إن إجابـة ولـي العهـد فيهـا حكمـة وبعـد النظـر، فقيمـة وزن العـالم لايعادلهـا خطـأ في ميزان بيت شعري. ولقد وصف القالي بأنه « أحفظ زمانه للغة وأرواهم للشعر. وأعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين وأكثرهم تدقيقا في ذلك»[3]. وفي نفس الوقت لم ينكر الأمير الحكم الثاني تصرف ابن رفاعة وظهر ذلك جليا في جواب قوله: « وابن رفاعة أولى بالرضا من السخط، فدعه لشأنه» ،مع ذلك نال هذا العالم عناية بالغة من قبل الحكم الثاني المستنصر بالله قبل ولايته وبعدها، فأوسع في عطائه وأفرط في كرامه.[4] والجدير بالذكر أن القالي حين دخوله الأندلس جلب معه الكثير من نفائس المصنفات الأدبية واللغوية والنحوية لأهل المشرق، وبدون شك كان لهذه الكتب أثر عظيم في دفع عجلة النشاط الأدبي في الأندلس نحو القدم. وكان له الأثر الطيب على النهضة الثقافية والعلمية واللغوية بالدرجة الأولى[5]. فلقد تأسست أول مدرسة للدارسات اللغوية بالأندلس[6] ،كما أملى على طلبته الأندلسيين كتابه الأمالي[7] ومن تلاميذه أبو بكر الزبيدي صاحب مختصر العين[8]. وفي الأخير يبقى هذا النص مصدرا لاستخراج العديد من الشواهد الخاصة بـ رسوم لستقبال العلماء والمباهاة بوفادتهم والإعلاء من شأنهم و في نفس الوقت بينت المستوى الفكري الرفيع الذي تميز به خلفاء الأندلس لأن ذلك أضفى على دولتهم مظاهر التقدم العلمي والإزدهار الحضاري وفي ذلك قيمة توثيقية بأبعادها الثقافية والعلمية لا يستهان بها.

2- كتاب في التحذير من عقيدة ابن مسرة*

رغم طابع التسامح والانفتاح الذي واكب النمو الحضاري للأندلس في عصر الخلافة الأموية، غير أن ذلك لم يلغ حدود التشدد عندما نقترب من نقطة العبور المذهبية. أي خارج

---

(3) الحميدي : المصدر السابق ، ص 145- 146.

(4) المقري : المصدر السابق ، ج4، ص 75 .

(5) عصام محمد شيارو: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91 هـ /897م /710 هـ - 1492م)، دار النهضة العربية، بيروت ط I-، 2002/1423م ص ص 185 –186

(6) احسان عباس : المرجع السابق ، ص 64- 65 .

(7) عن مصنفات كتبه ينظر، المقري :المصدر السابق ، ج4، ص ص 74 -75 .

(8) المقري :المصدر السابق ، ج4، ص 74 .

* هو محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح من أهل قرطبة (ولد 269هـ -ت 319هـ/ 883م-931م)، سمع من أبيه و من محمد بن وضاح والخشني . ابن الفرضي : المصدر السابق، ص ص 323-324 ينظر : دوزي : تاريخ ...، المرجع السابق ، ج1، ص27 . خرج إلى المشرق فاشتغل مع أهل الجدل و المعتزلة . كما ألم بثقافة الشيعة محمود علي مكي : التشيع ...، المرجع السابق ، ص 103 . ثم عاد إلى الأندلس .E Levi, Provençal, opcit, T3, PP 485-487. للمزيد حول موضوع ابن مسرّة و مذهبه الديني و تلامذته يرجع الى كتاب تاريخ الفكر ...، لبالنيثيا ، المرجع السابق ، ص ص 329-331 . و كتاب : تاريخ الأدب ...،لإحسان عباس ، المرجع السابق ، من ص29إلى ص38. و ينظر كذلك . سلمى خضراء الجيوسي : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، المرجع السابق، ج2، المقال) الأول، لميغيل كروز هيرنانديس (Miguel Gruz Hernandez): الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية (دراسة شاملة)،ص ص – 1089- 1090. والمقال الثاني، لكلود عداس: التصوف الأندلسي و بروز ابن العربي، من ص 1259 إلى ص 1288.

نطاق حدود مذهب مالك بن أنس** المذهب الذي تبنته السلطة الأموية بالأندلس رسميا منذ عهد الأمير هشام الأول (172-180هـ/788-796م) وابنه الحكم الأول (180-206هـ/ 796 - 822م)[1] دون غيره من المذاهب الأخرى التي كان عليها بعض الأندلسيين[2]. فلقد حاربت هذه لدولة كل الحركات المذهبية المناوئة لمذهبها.

لم يأت موقف أمويي الأندلس في هذا الجانب إلاّ على أساس قناعة ودراية تامة بنتائج تلك الانقسامات المذهبية التي أدت إلى انهيار خلافة أجدادهم بالمشرق. وهذا الجانب في حد ذاته يمثل عاملا من عوامل القوة و« الوحدة المنشودة، وضابطا يعصم الناس من زيغ الفرقة، وآفة الانقسام على المذاهب والنحل»[3].

والظاهر أن الاطمئنان المذهبي الذي ساد الأندلس إبان القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، لم يمنع من وجود التقية المذهبية لدى بعض رجالات الخطط السلطانية، كما أن سيف الدولة لم يستطع أن يقطع نهائيا ظاهرة التمذهب داخل المجتمع الأندلسي.

وفي هذا السياق، نذكر أن القاضي منذر بن سعيد البلوطي الظاهري الذي ولي القضاء للخليفة عبد الرحمان الناصر ثم ابنه الحكم المستنصر، قد « غلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان بن علي الأصبهاني المعروف بالظاهري، فكان يؤثر مذهبه، ويجمع كتبه، ويحتج بمقالته، ويأخذ بها لنفسه، فإذا جلس مجلس الحكومة، قضى بمذهب مالك بن أنس وأصحابه الذي عليه العمل في بلده ولم يعدل عنه»[1]. والدليل على ذلك أن ولاية هذا القاضي لقضاء الجماعة في حاضرة قرطبة دامت من (339هـ/950م إلى 355 هـ/966م) أي ست عشرة سنة كاملة[2] .وهي مدة كافية لتغلغل المذاهب الدينية الأخرى وانتشارها.

وبالمثل، سيكون لشخصية ابن مسرة دور في نشر مذهبه في الأندلس، إذ كان يستر أرائه وراء ستار أراء المعتزلة والباطنية ذات الأصول الأفلاطونية المنبثقة من أراء المدرسة

** الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر،كان جده من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام . مولد كان سنة 93 هـ/712 م : ابن فرحون: الديباج المذهب ...، المصدر السابق. ص ص 17-18. توفي سنة 179 هـ /794م.نفسه، ص28 ومن أشهر مؤلفاته" الموطأ". المصدر نفسه . ص 25-26.

(1) دومينيك ايرفوا (Dominique Urvoy) : علماء الأندلس، نقلا عن سلمى خضراء الجيوسي، المرجع السابق، ج2، ص 1184.للمزيد ينظر صفحات هذا المقال ص ص 1179 الى 1194 .

(2) إحسان عباس : المرجع السابق ، ص 29.

(3) نفسه، الصفحة نفسها.

(1) النباهي: المصدر السابق ، ص 101 .

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

التي ينتمي إليها أنبذوكليس (Empédocle[*])[3]. وفـي ذلك يقول الحميدي : « لـه طريقـة في البلاغة وتدقيق الغوامض، إشـارات الصـوفية، وتواليف فـي المعـاني نسبت إليـه بذلك مقـالات نعوذ بالله منها والله أعلم به »[4]، مما أثار عليه غضب الفقهاء الذين رموه بالتفسخ والإلحاد[5]. واتهموه بالزندقة فحاصروا فكره وأشعلوا نار السلطة عليه[6] ،وأحرقت كتبه [7] ،مع ذلك فابن الأبار قلل من خطورة عقيدة ابن مسرة بقوله:« وحكي عن ابن مسرة أنه كان يتبع آثار النبـي صلى الله عليه وسلم ولقد بنى فـي الجبـل بيتا طولـه وعرضـه علـى قيـاس بيت الرسـول عليـه الصلاة والسلام الذي بناه لزوجه مارية أم إبراهيم»[8]. رغم ذلك كان ملاحق من قبل السلطة الحاكمة التي طاردته وضيقت عليه السبل.و«رغم قرارات إحراق كتب ابن مسرة، والتضـييق على مريديه، إلاّ أن أفكـاره ظلت حيـة فـي نفوس تلاميذه، الواحـد عن الآخـر».[1] هذا ولقد أعتبر ابن مسرة أول مؤسس للفكر الأندلسي المركب لمبادئ المعتزلـة المتعلقـة بالوحـدة الإلهيـة والعدل الإلهي والقدرية[2].

وفي هذا الصدد يأتي كتـاب[*] الخليفة عبد الرحمـان الناصـر من إنشـاء الوزير الكاتـب عبد الرحمان بن عبد الزجالي الذي بعثه إلـى الآفـاق يحـذر النـاس من عقيـدة ابـن مسـرّة،

---

[*] من المفكرين اليونان الأوائل الذين أسسوا خلال 450ق.م مدرسة الفكر الوضعي ، أي حاولوا وضع تفسير عقلاني للعالم المحسوس ، ولقد اقترحوا حول بنية المادة و هيكلة العالم و الكون فرضيات استخرجت من معطيات ميتولوجية . و كان اهتمامهم مركز على بشكل خاص على طبيعة الأشياء و أصل المادة و تحولاتها و عناصرها الأخيرة و كذلك على شكل العالم و القوانين المتحكمة.يوسف كرم:تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم ، بيروت ، ط1، 1977م.ص ص 150-155.رنيه تاتون :تاريخ العلوم العام ، (العلم القديم والوسيط)، ترجمة علي مقلد ،م1، المؤسسة الجامعية ، بيروت ،ط1 ،1982م ،ص ص 217-221.
Ger Iloyd, Origines et Développement de la science grecque, Ed, champs, Flamarion, Paris, 1990p p98-103. Bordas, Encyclopédie, Opcit, pp116-117.

[3] أنخييل بالنيثيا : المرجع السابق ، ص326 . للمزيد عن فلسفة ابن مسرة، وعن ردود رسالته المعروفة بالتبصرة - و عن تلامذته ، أنظر كتاب ،محمد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1417هـ،1997م. ص 274 الى ص 284.

[4] جذوة المقتبس، ص 56.

[5] محمد ابراهيم الفيومي: المرجع السابق ، ص ص 274-275.

[6] دوزي: المرجع السابق،ج1 ، ص13 .

[7] محمد إبراهيم الفيومي :المرجع السابق ، ص 275.

[8] ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، و مكتبة المثني ببغداد، 1375هـ/1956م، ج1، ص 356.

[1] بوداود عبيد :ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع و التاسع هجريين(13- 15م) دراسة في التاريخ السويو-ثقافي ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران .2003م. ص50.للمزيد حول تأثير مدرسة التصوف الفلسفي في التصوف المغربي من خلال أفكار عبد الله بن مسرة القرطبي وتلامذته ينظر المرجع نفسه ص ص 48- 52. وكذلك المقالين : ميغيل كروز هيرنانديس: المرجع السابق ، ص ص 1089-1154 .و مقال، كلود عداس : التصوف الأندلسي وبروز ابن العربي ، المرجع نفسه ، ج2، ص ص1259 - 1288 .

[2] ميغيل كروز هيرنانديس:المرجع السابق ، ص 1090 .

[*] لم أجد تاريخ محدد لتوثيق هذا الكتاب- الطويل – و حتى ليفي بروفنسال في تاريخه لإسبانيا لم يذكر سنة صدور هذا المنشور- الطويل – بل اكتفى بعبارة بان إصداره كان مع نهاية حكم الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله ،E Levi Provençal opcit T3 PP 487 . وبذلك و حسب تقديري يكون تاريخ إصداره ترجيحا وليس تدقيقا مابين بسنة 345 - 350هـ/-957 -961م. أما محمد ماهر حمادة فقد أشار بأن وفاة ابن مسرة كانت 319هـ/932م.الحميدي "المصدر السابق ، ص 56. لكن تلاميذه استمروا في نشر تعاليمه مدة 20سنة ،

وجماعته من أشهر الكتب السلطانية في هذا المجال. وهذا بعض ما جاء في بيانه:« بسم الرحمن الرحيم. أما بعد: فإن الله تعالى جده وعز ذكره جعل دين الإسلام أفضل الأديان، فأظهره وأعلاه ولم يقبل من عباده غيره، ...، (وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ..)[3] ...، فخوف و حذر و نهي عن تفرق الكلمة ،...وحشية يحثها لازم الضلالة وداعية الهلكة والشذوذ عن مذهب الجماعة من غير نظر نافذ في دين ولا رسوخ في علم ...، وقالوا بالاعتزال ق العلمة وشدوا أزره،فأثروه... ، ولولا أن سيف أمير المؤمنين من ورائهم ونظره محيط بهم، ولما صار غيهم فاشيا وجهلهم شائعا،...، ولا أهلك الله أمة من الأمم إلاّ بمثل ما انكشف به هذه الطبقة الخبيثة من التبديل للسنة والاعتداء في القرآن العظيم، و أحاديث الرسول الأمين صلوات الله عليه و سلم، هذا عند وروده عليك في الجامع قبلك وأنشره في أسماع رعيتك، وتتبع هذه الطائفة بجميع أعمالك، وابثث فيهم عيونك،وطالب فيهم غورهم جهدك ،فمن تجلببطبقتهم أن انتسب إليهم و قامت عليه البينات بذلك عندك، فاكتب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم و مواضعهم، و أسماء الشهود عليهم،...، ليعهد باستجلابهم إلى باب سدته، ... وإياك أن تداهن في أهل الريبة ... فان فرطت في أحد الأمرين أو كلاهما فقد برئ منك وأحل دمك فأعلمه وأعتلمه إن شاء الله تعالى»[1].

إن الدراسات الحديثة بينت بأن أتباع ابن مسرة من أهل الفكر الأندلسي[2] ساطاعوا أن يبعثوا من جديد الفكر المسري الذي تأسست على غراره مدرسة ابن مسرة ويرجع الفضل في عودة هذه المدرسة إلى نشاطها حسب رأي بالنيثيا إلى الخليفة الحكم المستنصر بالله الذي أضفى على عهده جوا من التسامح على الحياة الفكرية في الأندلس[3] . لكن هذا لا يعني أن الخليفة توقف عن محاربة من خرج عن مذهب مالك، حيث يظهر ذلك جليا حين قال: «

مما أثار عليهم الفقهاء و العلماء ضد هذه التعاليم ورفعوها إلى الخليفة الناصر لدين الله، المرجع السابق ، ص 176. إذ يرجع تاريخ هذا الكتاب حسب قوله ب339ﻫ/951م .

(3) سورة آل عمران الآية 85.

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق شالميتا ، ص ص 26-29 .

(2) أنخييل بالنيثيا : المرجع السابق ، ص 330 .

(3) المرجع نفسه ، الصفحةنفسها .

فمن خالف مذهب مالك بن أنس بالفتوى أو غيره، وبلغني خبره، أنزلت به من النكال ما يستحق و جعلته شرادا»[4].

بالإضافة إلى ذلك واجهت هذه المدرسة خصوما من بعض رجالات الفكر مثل محمد بن يبقى، وأبي بكر الزبيدي، وتحرج أمرها أكثر في عهد الحاجب المنصور[5]. ويكشف هذا النص عن علاقة الجانب الديني والعقائدي بالظروف السياسية، وكذا الانشغالات الإستراتيجية من أجل استمرار وحدة الدولة الأموية ببلاد الأندلس. وفي هذا السياق يخبرنا الكاتب الأديب علي بن محمد بأن سبب التدخل الرسمي وانحياز حكام بني أمية في وقت مبكر إلى مذهب الإمام مالك ، جاء من قبيل حرص هؤلاء الحكام على اختصار مرحلة الخلاف من أجل القضاء على إمكانات الصراع المذهبي[6] ، فوحدة البلاد لا تحقق حسب رأيهم إلا إذا «كان انضواء معظم الفكر الديني تحت لواء المذهب المالكي، بسلفيته وصرامته»[7].

وعلى هذا الأساس فان حكم الأمويين المسبق في هذا الجانب كان مبنيا على أساس قناعة ودراية تامة بنتائج تلك الانقسامات المذهبية التي أدت إلى انهيار خلافة أجدادهم بالمشرق. وهذا الجانب في حد ذاته يمثل عاملا من عوامل القوة و« الوحدة المنشودة، وضابطا يعصم الناس من زيغ الفرقة، وآفة الانقسام على المذاهب والنحل»[1].

كما برزت من خلال هذا النص أهمية الفكر المسري وكثرة عدد أتباعه[2] ، الذين إخترقوا حصار السلطة الحاكمة، وساهموا بقدر كبير في استمرار وتجدر هذا المذهب الذي انطوت عليه العقيدة المسرية بالأندلس، والتي شكلت حجر الزاوية في تاريخ الفكر الجدلي والفلسفي لمتصوفة بلاد الأندلس إبان القرون الوسطى .

خامسا: موضوعات مجال العلاقات الخارجية

---

(4) ابن سهل أبو الأصبغ عيسى : ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس ، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى ، تحقيق ، محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي الدولي القاهرة ط1، 1981، ص 83 .

(5) أنخييل بالنيثيا : المرجع السابق ، ص 331 . مع ذلك استطاع مريدو المدرسة المسرية التي سماها المفكر الإسباني آسين بالاثيوس (بالمدرسة الميرية) أن ينشروا مبادئه وتعاليمه : ميغيل كروز هيرنانديس: المرجع السابق، ج2، ص 1093. ينظر.السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين.و آثارهم...، هامش رقم 5، ص 314.

(6) علي بن محمد : المرجع السابق ، ج1، ص 75.

(7) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(1) علي بن محمد : نفسه ، الصفحة نفسها .

(2) ميغيل كروز هيرنانديس: ، المرجع السابق ، ج 2،ص 1902

برزت قرطبة في عصر سيادة بني أمية لبلاد الأندلس كحاضرة لها وزنها، إذ احتلت الأندلس على إثرها مكانة الصدارة في العالميين الإسلامي والمسيحي، مما جعلها مركز جذب لاستقطاب العديد من العلاقات الخارجية. ومن جهة أخرى لقد كان خلفاء البيت الأموي بالأندلس على دراية كبيرة بقيمة المبادلات الخارجية ومدى أهميتها لبقاء سلطانهم. لذلك سعوا قدر الإمكان لتطوير هذه العلاقات مع الأطراف التي كان من الضروري أن يتعاملوا معها، خاصة إذا تعلق الأمر بالدول والقبائل التي ارتبطت بهم وديا في إطار التحالفات السياسية والعسكرية على وجه الخصوص بهدف تعزيز مكانتها وموقعها الجيوسياسي في خارطة المحيط المحلي والإقليمي والعالمي.

ومن أهم صور الاتصالات الخارجية للخلافة الأموية بالأندلس:

1- كتاب حول العلاقات بأمراء القبائل المغربية

- **كتاب الهدية*: 317هـ/930م،** الهدية ظاهرة اجتماعية تعبر- بوسائل مادية- عن علاقة روحية تجسد المشاعر الإنسانية بين الناس، وتعبر كذلك عن مدى التقدير الذي يكنه المهدي إلى المهدى إليه قصد تقوية وتعزيز أواصر الصداقة والتحالف بينهما وأكثر من ذلك، فالأندلسيون كانوا يعتبرون الهدايا كنوع من التحايا. كما يقول الشاعر ابن خفاجة*:

«إنَّ خَيْرَ الْهَدَايَا مَا جَرَى مَجْرَى التَّحَايَا وَإنَّ أَفْضَلَ سَفِيرٍ سَفِيرٌ بَيْنَ صَدِيقَيْنِ».[1]

والسلطان لا يستثنى من الهدية «ومن الحق الواجب للملك أن تهدي إليه الخاصة والعامة»[2]. وقد تضمنت نصوص الكتابة السلطانية في الأندلس عصر الخلافة ألوانا من التعبير عن مضمون الهدية، ورصد الكثير من معانيها وقيمها حسب المناسبات والأغراض. وكتاب الهدية لسنة 317هـ/930 م، الذي أرسله الخليفة عبد الرحمان الناصر كجواب على الهدية[3] التي قدمها له الأمير الزناتي محمد بن خزر** خير شاهد على هذا النوع من

---

* عن الهدية الخاصة بالملك و رسومها ،و أنواعها، ينظر ابن سماك العاملي: رونق التحبير.. ، المصدر السابق، ص ص 144- 145.

*هو ابو اسحاق ابراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة ، ولدسنة 450 هـ/1058م،توفي سنة533 هـ/1137مأديب وشاعر أندلسي، تميز شعره بالوصف خاصة الطبيعة ،كرم البستاني : ديوان ابن حفاجة، ذار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، 1381هـ/1961م،ص5. للمزيد ينظر ابن بسام:المصدر السابق ، ق3،ج2،ص545

(1) المصدر نفسه الصفحة نفسها.

(2) ابن سماك العاملي : المصدر السابق ، ص 144 .

(3) ينظر نص هدية الأمير البربري محمد بن خزر : ابن حيان ، المصدر السابق، تحقيق شالميتا ، ص ص 267- 268 . ولا ينحصر الرد على الهدية بهدية مثلها ، بل تمنح كلقب من الألقاب السلطانية الفخرية و كمثال على ذلك عندما نال ابن شهيد لقب ذي الوزارتين تشريفا وتقييما للهدية المشهورة التي قدمها له. المقري: المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 333 وما بعدها . ابن خلدون : المصدر السابق، ج4، ص 138.

العلاقات. ومما جاء فيه:« ... ذهب ألا يهاديك من لبوسك إلآ بما استعمله لنفسه في طرازه الخاص على اسمك، وهذا أمر لم يفعله من تقدم من الأعاظم بالمشرق والمغرب بأحد قرب وعظم محله، فخصك من ذلك بعشر قطع مختلفة الأجناس مما استعمل لكسوته الخاصة،من عتيق الخز العبيدي وغريبه وبديعه في التآليف والصنعة، مطرزة باسمك، لم يعمل قط مثلها في طرز بني العباس ولا غيرهم، وهذا ما يبقى لك فخره ويخلد لك ولعقبك سناؤه وذكره، ما بقيت لكم باقية وثواب الله خير عقبى»[4].

جاء هذا الكتاب السلطاني عبارة عن مدح وتنويه بالمكانة التي خص بها هذا الخليفة الأمير البربري محمد بن خزر في نفسه، معليا من شأنه لدرجة المراتب السلطانية التي لم يبلغها أحد عنده، من ذلك أنه أهداه ألبسة طرازه الخاص مطرزة باسمه ليس لها مثيل.

لم يكن كتاب الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله هذا المتضمن لهديته سوى انعكاس واضح لأبعاد العلاقات الخارجية للخلافة الأمويين بالأندلس مع أمراء قبائل المغرب ، هذه العلاقات التي تندرج ضمن إستراتيجيات سياسية وأمنية دقيقة فرضتها حتمية طباع الجيوسياسية وتواجد الخطر الفاطمي المتربص بالخلافة الأموية بالأندلس[1]. الأمر الذي دفع هذه الأخيرة ضرورة اصطناع قبائل البربر[2]، وجلبهم إلى فلكها بهدف جعلهم حاجزا سياسيا وعسكريا أمام مد الخلافة الفاطمية.

ومن هذا القبيل عمل حكام الخلافة الأموية بالأندلس على تبادل المجاملات ، وكثرة الاتصالات الودية بقبائل البربر المغربية، والتي كانت تتوج في كثير من الأحيان بتقديم الهدايا السلطانية من كلا الطرفين[3]، تأكيدا لتك العلاقة وتمكينا لها.وإذا كانت الهدية تعبير عن مدى التقدير المفتوح وتمتين روابط الصداقة، كذلك التحالفات العسكرية فهي ظاهرة حضارية بما حملته من قيم إنسانية ثقافية وجمالية روحية، بالإضافة إلى الجانب المادي لتلك الحضارة المتمثل بالخصوص في وصف دقيق لأداة الهدية، وأنواعها، وجمال صناعتها كالتطريز،

** هو الأمير محمد بن خزر بن صولات المغراوي الخزري . ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 25 . ابن خلدون : المصدر السابق، ج4 ، ص 141 وهو حمل لواء حلف الدولة الأموية بالعدوة المغرب ، ضد الفاطميين ، قرابة نصف قرن من الزمن ،حاربه بلقين بن زيري وهزمه فأضطر الأمير الزناتي الى قتل نفسه حتي لايقع في يد عدوه ، وكان ذلك في 360 هـ/ 961م ،ابن عذاري :المصدر السابق، ج2، ص 243.

[4] ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق ، شلميتا ، ص 268. للمزيد عن معرفة بقية محتوى هذه الهدية القيمة ، ينظر كذلك ص ص 268-269. نفس المصدر ص ص 268-269 ينظر الملحق رقم (2) من هذا البحث للحاجب عبد الملك المظفر المتعلق بالأمير زيري بن عطية عندما عهد اليه ولاية سبتة لسنة 396 هـ/1006م، ص ص 124-125.

[1] موسى لقبال : المرجع السابق ، ص582.

[2] أحمد مختار العبادي : في التاريخ ...، المرجع السابق ، ص 400.

[3] نص هدية الأمير الزناتي محمد بن خزر عند ابن حيان : المصدر السابق ، تحقيق شلميتا، ص ص 265-267.

وقيمتها المادية ...الخ. كما جاء في هذا النص (عتيق الخز العبيدي وغريبه وبديعه في التأليف والصنعة، مطرزة...). مما يضفي على نص الكتاب فائدة وقيمة توثيقية كبيرة في مجال صناعة الألبسة الفخرية المطرزة، والأدوات التي كان السلاطين يستعملونها في ذلك العصر.

كما حملت الكتب السلطانية المتميزة والمتعلقة بموضوع الإهداء التقاليد الراسخة التي تتعلق بالكتابة لتقديم واجب الشكر على الهدية كوصف الهدية وإبداء الإعجاب بها، والرفع من قيمتها ،بالاضافة الى ذلك خلفت رصيدا أدبيا من النصوص النثرية لها خصائصها الفنية، وكذا أهميتها التوثيقية من النواحي الأدبية والثقافية والحضارية بصفة عامة .

2- كتاب حول العلاقات بالخلافة الفاطمية:

- كتاب الطعن في النسب:

إن مفهوم النسب يشمل معنى العرض والشرف بالنسبة للفرد أو الجماعة. ولذلك اعتبر الطعن في النسب كالطعن في الشرف. والدخول في هذا الموضوع الحساس خطير، يلجأ إليه الفرد عندما يتعلق الأمر بموضوع الأهاجي الشخصية الذي تأتي في العادة نتيجة سوء العلاقات والعداوة. أو الغيرة والحسد وكلها تصب في وعاء الهجاء اللاذع الذي يخافه الخاص من الحكام والعام من الناس، وهذا الذي جعل الحكام العرب بالخصوص لا يبخلون على الهجائين بالأموال الطائلة خوفا من ألسنتهم وحذرا من هجائهم، حيث كان أهل الأندلس يدارون الشعراء خوف الهجاء [1] والكتاب الذي نقدمه ضمن هذا المنوال هو من الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله الذي أجاب به على الرسالة التي أرسلها له الخليفة الفاطمي العزيز بالله* الذي سبه وهجاه فيها. ولقد بدأ الخليفة الأموي جواب كتابه بقصيدة المدح مطلعها:

أَلَسْنَا بَنِي مَرْوَانَ كَيْفَ تَقَلَّبَتْ بِنَا الْحَالُ أَوْ دَارَتْ عَلَيْنَا الدَّوَائِرُ

إلى أن قال:

---

(1) يوسف الطويل : المرجع السابق، ص 114. و كان من أشهر الهجائين في الأندلس ابن حزمون المرسي، ومؤمن بن سعيد، والسميسر.. للمزيد ينظر المرجع نفسه، ص ص 113-119. و ما بعدها .

* العزيز بالله أبو منصور نزار تولى الحكم بعد أبيه المعتز لدين الله من (365 الى -376 هـ/975 - 996م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الآتابيكي: النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة. دار الكتب العلمية ، بيروت، 1413هـ/1992م، ج4، ص 116.

إِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ مِنّا تَهَلَّلَتْ ... لَهُ الأرْضُ وَاهْتَزَّتْ إِلَيْهِ وَالْمَنَابِرُ

ثم قال: وبعد فقد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لهجوناك، والسلام»[2].

يكتسي هذا الكتاب أهمية كبرى، ذلك أن قيمته التوثيقية لا تنحصر عند جانب المادة العلمية التي تخفي في أعماقها شرخ في مسار العلاقات العدائية والأحداث التاريخية التي اقترنت بها: من خلفيات، وأسباب ونتائج ، ساهمت في طبع العلاقات الأموية-الفاطمية بالطابع العدائي. بل كذلك في الجانب الآخر لدور خطاب الكتابة السلطانية الذي أخذ على عاتقه الخوض في معارك ساخنة، لا تقل عن المعارك الميدانية، كان حد السيف فيها كلام جارح سلاح يستعمله صاحبه، للنيل من العدو، والتحقير به، والطعن في نسبه[1]. والمتوغل في خلفيات النص يكشف عن الطعن الصريح [illegible] الواقع يمثل صورة من صور الصراع التقليدي بين البيت الهاشمي والأموي[2] الذي يرجع إلى ما قبل ظهور الإسلام حول الزعامة على البيت الحرام[3]، وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، تحول إلى نزاع على منصب الخلافة[4] .أما في الدور المغربي وبالتحديد ابتداء من القرن الثاني والثالث الهجريين، الثامن والتاسع الميلادي، وانتقال هذين البيتين إلى المغرب والأندلس انتقلت معهما العداوة وأصبح لكل منهما أنصاره[5].

وفي عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر ازداد الخطر لفاطمي على بلاده ، فتحدى هذا الخليفة هذا الخطر بأساليب عديدة كالقيام بالدعاية المغرضة والجوسسة، وإطلاق اللعن على الفاطميين على منابر بلاد الأندلس[6] كما عمل على إذكاء نار الفتن والثورات البربرية والإكثار من اصطناع زعماء البربر[7]. ونظرا لتخوف الناصر من هجمات الفاطميين وحتى

---

(2) المصدر نفسه، ص 118.ورد هذا النص عند ابن خلكان :المصدر السابق ، ج5، ص 9و المقري : المصدر السابق، ج5، ص 98.

(1) حول نسب الفاطميين والطعن فيه، ينظر، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، و مصر،وسورية ، وبلاد العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط3، 1964م، ص ص 57- 71.

(2) تقي الدين عارف الدورى: تاريخ العرب المسلمين و حضارتهم في الأندلس، دراسة في المصادر والتاريخ والحضارة والتأثير، منشورات جامعة ناصر الخمس، الجماهيرية الليبية، ط1، 1997، ص 180.

(3) الطبري : المصدر السابق ، ج4، ص ص 365-و ص 545، و ص573.ابن الأثير : المصدر السابق ، ج4 ص 248 و ص 260.

(4) مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 306.تقي الدين عارف الدوري :المرجع السابق ، ص 181.

(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) القاضي النعمان بن محمد بن حيون : المجالس و المسايرات، تحقيق الحبيب القفي وآخرون ، منشورات الجامعة التونسية تونس، 1978م، ص 162.

(7) مرمول محمد الصالح : المرجع السابق ، ص 314.

يدرأ خطرهم، كان من حين إلى آخر يجري بعض محاولات الهدنة والصلح معهم، لكنها رفضت وباءت بالفشل[8].

ويبدو أن رحيل الفاطميين عن بلاد المغرب الإسلامي سنة 361هـ/972م[9] لم ينه العداء الموروث الذي اتسمت به علاقات الفاطميين بالأمويين، فرغم ابتعاد المسافات بين الخلافتين، وما نتج عنه من انفراج في الأوضاع الجيوسياسية خاصة في منطقة المغرب الأقصى. غير أن كل دولة ظلت تضمر للأخرى الكراهية والحقد، ولا أدل على ذلك من تلك الرسائل السلطانية - الساخنة - المعبأة بألوان السب والهجاء، التي تبادلها العاهلان الأندلسي والفاطمي مما زاد في إثارة الحروب بينهما لتنتهي المعركة الكلامية لصالح الخليفة المستنصر بالله، الذي أصاب هدفه . لقد كان جوابه قاسي الوقع كما أشارت إليه المصادر «فاشتد على نزار وأفحمه* عن الجواب»[1] . وللعلم أن الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله كان مهتما: «باحثا عن الأنساب، حريصا على تأليف قبائل العرب والحاق من درس نسبه أو جهله بقبيلته التي هو منها»[2] ، والجدير بالإشارة أن قضية الطعن في نسب الفاطميين ليست جديدة[3] ، لقد تداولتها كتب التاريخ ومنها كتاب المقدمة حيث تناولها ابن خلدون بالشرح والتفصيل[4]، بحيث أصبحت كالمستفيض بين الناس[5].وحسب رايي ان الخليفة في قدفه بنسب الفاطميين جاء من قبيل العداء المذهبي، والتنافس وتضارب المصالح بينهما، لأن أصل السيدة- فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - معروف و متجذر في تاريخ العرب قبل الإسلام و كتب أنساب العرب والطبقات[6].

برز من خلال هذا الكتاب القيمة التوثيقية برموزها الدالة و خاصة القيم الأخلاقية والاجتماعية التي ارتبط بها حبل انتماء وأصالة الأسر في المجتمع الإسلامي التي تشبثت به

(8) القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص 158 .
(9) حسن إبراهيم حسن :المرجع السابق ، ص 149 .
* أسكته في خصومة أو غيرها . محمد محي الدين عبد الحميد، و عبد اللطيف السبكي : المرجع السابق ، ص 387.
(1) ابن خلكان : المصدر السابق ، ج5، ص 372.
(2) ابن الأبار : الحلة ...، المصدر السابق ، ص 201.
(3) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص63 . عن تاريخ قضية الطعن في نسب الفاطميين ترجع الى عهد الخليفة الفاطمي المعزلدين ، عندما دخل إلى مصر ونسبت مقولة : سيف المعز وذهبه للتعبير عن نسب و حسب هذا الخليفة للمزيد حول هذه القضية ينظر المرجع نفسه ، ص ص 57- 71 .
(4) ابن خلدون: المقدمة ، ، ص ص 245-259 .
(5) ابن خلكان : المصدر السابق ، ج5، ص 372.
(6) ينظر ابن هشام: السيرة النبوية، حققها و ضبطها وشرحها و وضع فهارسها: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البي الحلبي و أولاده القاهرة ، ط2، 1375هـ 1955م، وابن سعد: الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة و النشر، و دار صادر، بيروت، طبعة 1377هـ/ 1958م، وابن حزم : جمهرة أنساب العرب المصدر السابق ، وأبي الفوز محمد أمين البغدادي المشهور بالسويدي: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم بيروت ، دت.ص72.

خوفا من الذوبان وفقدان الهوية لأن النسب هو زمان ومكان الانتماء الذي تتحرك فيه الأفراد في المجتمع الإسلامي. بالإضافة الى ذلك ضم هذا الكتاب قوالب فنية متنوعة الصور، حيث امتزج فيها المنظوم والمنثور، كما لشتمل على غرضين متناقضين المدح الذي خصّصه للبيت المرواني في القصيدة[7] مستهلا به جوابه، وغرض الهجاء الذي طعن به في نسب الفاطميين وجعله خاتمة لكتابه الذي قدمه في قالب صيغة التوقيع الذي يوافق مقام غرض الكتاب، قصد به هنا الدقة والإيجاز من أجل إصابة الهدف.

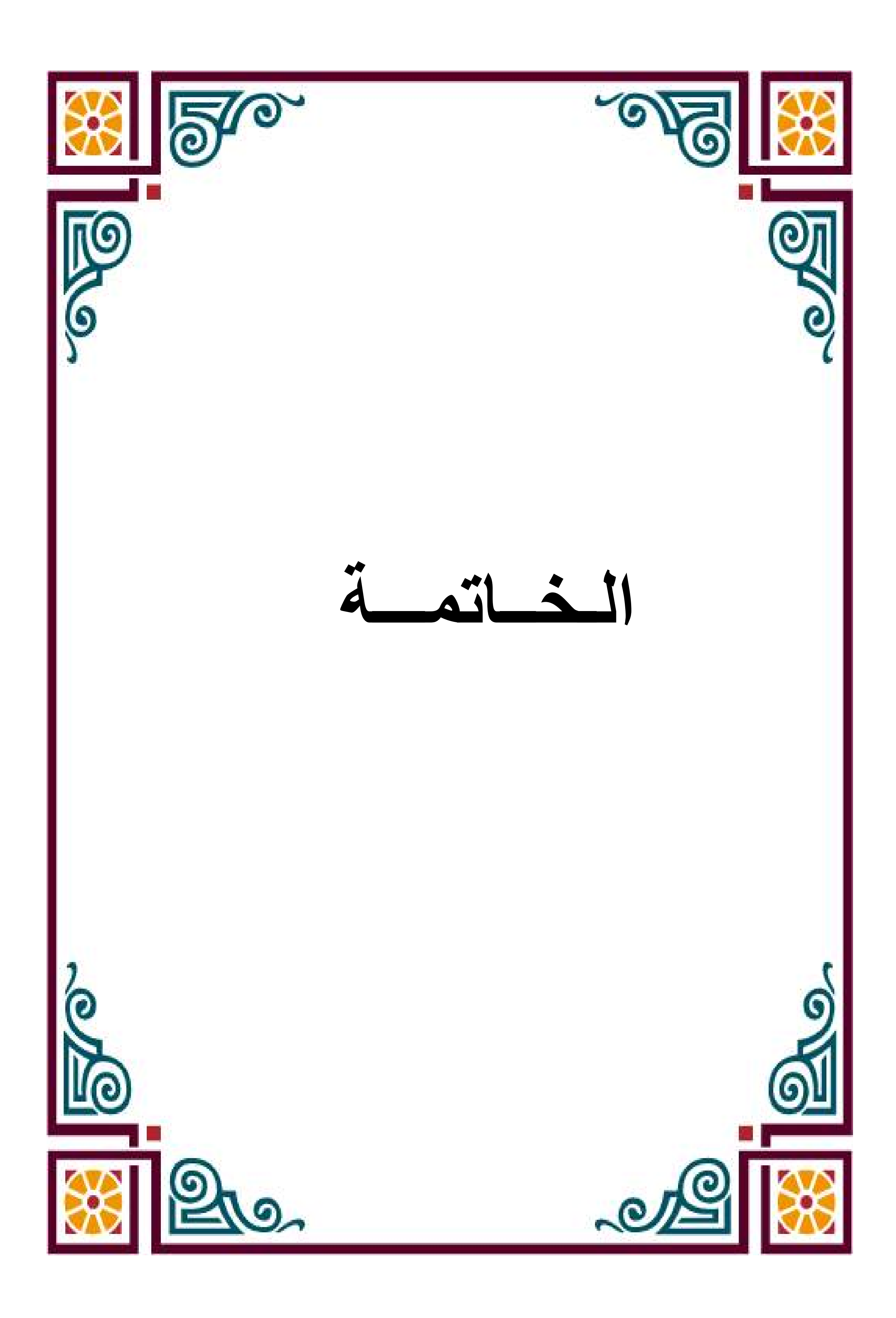
والظاهر أن توظيف خطاب الكتابة السلطانية في مجال العلاقات الخارجية جاء من باب حتمية استجابة فتح باب التواصل مع الآخر خارج حدود الدولة .و مع ذلك لابد أن نضع بعين الاعتبار محددات هذا التواصل من أوضاع وعوامل المتغيرات الظرفية التي تؤثر في أغلب الأحيان بشكل أو بآخر على تطبيع واستقرار هذه العلاقات لصالح الطرفين، وان كانت في الغالب الأعم تصطبغ بالتوتر والاصطدام. ومن جهة أخرى كشفت هذه العلاقات عن مدى مرونة وتأقلم الأمويين لمواجهة متغيرات واقع تلك العلاقات من حيث التأثير والتأثر الذي امتد وتجاوز حدود الخلافة محليا وإقليميا.

أما بالنسبة لعلاقات الخلافة الأموية مع دول نصارى الشمال، فبالرغم من أنه توجد إشارات على اتصالها مثل «... وعقد الناصر لدين الله أمان شنيير... وسلم سنفريد، وأولادهم معا لعامين كاملين... »[1]، ولقد ذكر صاحب العبر عن الخليفة الحكم المستنصر بالله حيث قال «.. فتقبل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون والأبراج القريبة من ثغور المسلمين»[2]. بالرغم من ذلك فلا توجد حسب علمي شواهد من نصوص مكاتبات الاتصالات الخلافة الأموية بممالك نصارى الشمال ضمن المصادر العربية المستخدمة في هذا البحث .

وخلاصة القول أن تلك المراسلات التي تضمنت العلاقات الخارجية للخلافة الأموية بالأندلس أبرزت العديد من الجوانب ذات القيمة التوثيقية والفائدة الكبيرة في رصد الأحداث والقرائن التاريخية والسياسية والحضارية لهذه المرحلة من تاريخ الأندلس الإسلامي.

---

[7] ينظر القصيدة كاملة، الثعالبي:يتيمة ، ج2 ، ص 301.
[1] ابن حيان : المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص 455.
[2] ابن خلدون : المصدر السابق، ج4، ص 145.



الــخــاتمـــة

من الواضح ومن خلال عرض فصول هذه الرسالة تبين أن المكانة والأهمية الكبيرة التي احتلتها الدولة الأموية في تاريخ بلاد الأندلس لا ترجع في اعتقادي إلى ما حققته من توسع في قلب إسبانية المسيحية فحسب، بل تعدّته إلى تلك التطورات الحضارية والإنجازات الراقية في النظم الإدارية، بحيث تركت أثرا عميقا في المجتمع الأندلسي من جهة، وفي المستوى التأسيسي الذي وافق نظام حكم وإدارة دولتها من جهة أخرى. فحكام بني أمية منذ عهدهم الأول ببلاد الأندلس، عملوا جاهدين على وضع أجهزة إدارية حازمة لإصلاحاتهم الداخلية وعلاقاتهم الخارجية, ظهر ذلك خصوصا في أساليب النظم التي قولبت خطة الكتابة السلطانية منذ عصر الإمارة، ليكتمل تطورها في عصر الخلافة, وهو الزمن المختار لهذه الدراسة. وقد أمكن التوصل إلى مجموعة من النتائج بعد عرض ووصف وتحليل لجوانب متعددة تخص هذه الكتابة وقد رصدتها كالتالي:

1- استخدام الكتابة السلطانية كوسيلة وغاية بهدف الإعلام وتبليغ إرادة السلطة الحاكمة، وإصلاح أوضاع الدولة الداخلية والخارجية منها.

2- تكامل دور الإمارة وفيما بعد دور الخلافة الأموية بالأندلس رغم فاصل الزمن ، في إرساء الأطر التنظيمية والإدارية لمؤسسات خطة الكتابة السلطانية، ضمن تقاليد نظم حكم الإدارة الأموية.

3- حرص الأمويين وتشددهم في تطبيق شروط رسوم- بروتوكولات- الكتابة السلطانية خاصة في اصطناع البيوتات الخطط الكبرى منها خطة الكتابة لحمل مسؤولية هذه المهام، وتوريثها ضمن قرابة سياسية، مما كشف عن الأبعاد الإستراتيجية لوحدوية واستقرار أمن الدولة وسيادتها.

4- قدرة الكتابة السلطانية على مواكبة تطور النقلة الحضارية لعصر الخلافة الأموية بالأندلس، إذ اتضح ذلك في مظاهر تطور أنماطها وصيغ تقنياتها وتنوع أغراض موضوعات أدوار مداخلاتها لقضايا الدولة والمجتمع.

5- دور حكام بني أمية بالأندلس في مد الكتابة السلطانية بالأجهزة الإدارية التي وضعت تحت تصرف كتابها فنمت وتكيفت، وتبلورت معالم تقاليد رسومها، فتطورت بالتعديل والإضافة، حتى بلغت الأوج، ومن ثم احتلت مكانة عالية الرتب في مؤسسات النظم والإدارة، فأحيطت بوشاح من العناية الفائقة وقدر كبير من قواعد ورسوم تجسدت خصوصا في تلك المظاهر من التفخيم والتعظيم من ألقاب سلطانية وامتيازات فخرية، زادتها بهاء وفخامة.

6 - ابتعاد الكتابة السلطانية عن التلقائية والارتجالية، بل وضعت لها مؤسسات سارت وفق تدرج إداري وقوالب نظم خطتها، إذ برز من خلاله الدور الفعال الذي قام به كل من صاحب ديوان الرسائل وديوان البريد وتلاحم المهام من أجل ضبط السير الحسن للمكاتبات السلطانية وفق منطق أصولها

7- تم التعرف على رسوم هذه الكتابة السلطانية الأندلسية وما رافقها من الشروط، حيث لم توضع من قبل حكام بني أمية لتزيين الواجهة السياسية أو بهدف إبراز النخبة المثقفة من طبقة الكتّاب ذوي المستوى الرفيع في صناعة الكتابة، أو من قبيل التعجيز والمنافسة، إذ كان هؤلاء يختارون كتابهم وفق شروط وكفاءات دقيقة تماشيا وضرورات الحكم.

8- اصطناع حكام بني أمية أجيال من بيوتات هذه الخطة مما ترتب عن ذلك الإخلاص والتفاني في الخدمة، والأهم من ذلك وفرت لهم الاطمئنان، وجنبتهم الارتجالية والغدر والخيانة، والتي كانت إحدى العراقيل الخطيرة التي وقفت أمام استمرار كيان أي دولة مهما كانت قوتها.

9- تداول الموروث الإداري من رسوم خطة الكتابة السلطانية لخلفاء بني أمية أبا عن جد تجلت من خلاله بصمات وتوقيعات حضارة الأمويين التي منحتهم التميز والتفوق بخصائصها، وكانت تلك الخصوصية في الواقع هي ذات الأندلس المستقلة التي نشأت منذ عصر الإمارة ليكتمل نضجها في عصر الخلافة الذهبي.

10- انعكاس التطور الحضاري لعصر الخلافة الأموية بالأندلس، على الكتابة السلطانية ، مما ساهم بقدر كبير في اتساع مساحة أفق خريطة موضوعاتها، وبذلك تخطت الأمور السياسية، نحو مجالات ومناحي الحياة بكل ألوانها لا تقل عنها أهمية وخطورة.

11- بروز عمق أثر المتغيرات السياسية والحضارية ضمن المؤشرات و مظاهر الإيحاءات الدلالية التي طرأت على المنهج الأدائي لوظيفة الكتابة السلطانية، مما أدى إلى تنوع أنماطها وكذا تقنيات صيغها شكلا ومضمونا إبان هذه الحقبة من تاريخ الأندلس، حيث أصبح هيكلها الإعلامي يستجيب للمتطلبات المجتمع والدولة في آن واحد.

12- استخدام خلفاء بني أمية الكتابة السلطانية كسلاح حاد وجارح وقاتل في بعض الأحيان، يشهرونه في وجه الشاقين لعصا الطاعة والمتمردين. كما اتخذت كوسيلة مرنة في يدهم لترغيب كبار رجالات الدولة وقادتها من أجل السير الحسن لمؤسسات الدولة وأمنها.

13- استمرارية الكتابة السلطانية في ظل ظروف سياسية شديدة التقلب بخاصة عقب أحداث الفتنة التي حلت مع بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، وأمام حدود لا تعرف الاستقرار، بالرغم من ذلك عكست لنا نصوص تلك المكاتبات فضاءات نماذج موضوعاتها.

14- ضعف شخصية بعض كتاب سلاطين الخلافة الأموية بالأندلس، فبالرغم من مركزهم العالي لم يخول لهم اختراق حدود قوة سيف الدولة المسلط عليهم، مما غيبهم في كثير من الأحيان رغم حضور بيان قلمهم العظيم في العديد من الشواهد والقضايا المصيرية للخلافة الأموية بالأندلس. فلم تكن يدهم مطلقة مثلما كان عليه رؤساء ديوان الإنشاء في المشرق خاصة على عهد الدولة العباسية.

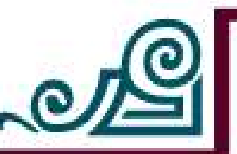
15- وعليه، فالكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس لم تكن مجرد كتابة عابرة، بل كانت كتابة مركزة تخفي أكثر مماتظهر ذات خلفية مؤسساتية ، فقد ظهر من

خلالها تراث إداري وتنظيمي يتفق والأصول الحضارية، التي تماشت مع الواقع والحقائق التي حفلت بها دولة ومجتمع الأندلس إبان هذه الحقبة التاريخية.

وفي ختام دراسة هذا الموضوع ومن خلال تحليل ومعاينة نصوص الكتابة السلطانية لعصر الخلافة الأموية بالأندلس ، تم استجلاء والكشف عن قيمتها التوثيقية كمصادر حيّة احتوت على مخزون تراثي غني، لا يستهان به في تجديد حركة التدوين التاريخي لهذه الرقعة الجغرافية من العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى.

قـائمة المصادر والمراجع






أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المخطوطات

1- تقي الدين أبي بكر بن حجة الحنفي الحموي: قهوة الإنشاء، مخطوطة، تاريخ النسخ 840هـ/1462م برقم 1898، المكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر.
2- المقدسي مرعي بن يوسف الحنبلي: بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمرسلات. مخطوطة رقم 1901، تاريخ النسخ 1250م، المكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر.
3- عبد القادر بن محي الدين الجزائري: (ت883م)، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، مكتبة الأرشيف ولاية بقسنطينة، رقم 200.

ثالثاً: المصادر المطبوعة

4- ابن الأبار القضاعي البلنسي: (ت 658هـ/1260م) الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م.
5- ....: إعتاب الكتّاب، تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1380هـ/1961م.
6- ....: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة المثنى ببغداد، 1375هـ/1956م.
7- ابن الأثير الجزري: (ت 630هـ/1233م) الكامل في التاريخ، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1400هـ/1980م.
8- ابن الأثير ضياء الدين: (ت 637هـ/1239م) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وحققه وعلق عليه أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ط1، 1379هـ/1959م.
9- ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف بن محمد: (ت 807هـ/1397م) نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق، محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1967م.
10- ....: مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق محمد تركي التونسي ومحمد بن تاويت التطواني، بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي، تحت إشراف معهد مولاي الحسن للبحوث، المغرب.
11- ابن الأزرق أبو عبد الله: (ت 895هـ/1490م) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق علي سامي النشار، دار الحرية والنشر، بغداد، 1357هـ/1977م.
12- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي: (ت حوالي 350هـ/961م) المسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة شفيق محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1381هـ/1961م.
13- الأصفهاني أبو فرج: (ت 356هـ/967م)كتاب الأغاني، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

14- ابن بشكوال أبي القاسم خلف بن عبد الملك: (ت 578هـ/1182م) كتاب الصلة، دار المصرية للتأليف، القاهرة، 1966م.
15- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي: (ت 379هـ/989م)،طبقات النحويين واللغويين، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.ت.
16- البلاذري أحمد بن يحي بن جابر: (ت 279هـ/892م) فتوح البلدان نشره تحقيق، صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
17- البكري أبو عبيد: (ت 487هـ/1094م) كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م.
18- ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي: (ت 875هـ/1470م) النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1413هـ/1992م.
19- التوحيدي علي بن محمد بن عباس أبو حيّان: (ت بعد 400هـ/1010م)،رسالة في علم الكتابة، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1421هـ/2001م.
20- الثعالبي عبد الملك بن محمد: (ت429هـ/1038م)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط2، 1375هـ/1956م.
21- الجهشياري أبوعبد الله محمد بن عبدوس: (ت331هـ/941م)، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة، شركة ومكتبة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، القاهرة، محمد محمود الحلبي وشركائه، ط2، 1401هـ/1980م.
22- ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: (ت 456هـ/1064م)،جمهرة أنساب العرب، تحت إشراف محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
23- ....: رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1987م.
24- الحميدي الأزدي: (ت 488هـ/1095م)، جدوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق د.روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.
25- الحميري محمد بن عبد المنعم: (توفي أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر إ. ليفي بروفنسال، القاهرة، 1937م.
26- ابن حوقل أبو القاسم: (ت 380هـ/990م)، كتاب صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

27- ابن حيان بن خلف بن حيان القرطبي: (ت 469هـ/1076م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس:

28- القطعة الأولى: "السفر الثاني من كتاب المقتبس"، (180-206هـ/796-822م)، تحقيق وتعليق محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، د.ت.

29- القطعة الثانية: (232-267هـ/ 846-880م)، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ/1973م.

30- القطعة الثالثة: "المقتبس في تاريخ رجال الأندلس"، (275-300 هـ/888-912م)، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ/1973م. نشر الأب ملشورم. أنطونية بولس كتنر الكتبي، باريس، 1939م.

31- القطعة الرابعة: "المقتبس لابن حيان القرطبي" الجزء الخامس، (300-330هـ/912-931م)، نشر وتحقيق، بيدرو شالميتا، وفيدريكو كورنيطي، ومحمود صبح، وغيرهم، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979م.

32- القطعة الخامسة: "المقتبس في أخبار بلد الأندلس، (360–364هـ/970-975م)، نشر وتحقيق، عبد الرحمان علي حجي، دار الثقافة، بيروت، 1965م.

33- ابن خاقان الفتح بن محمد: (ت 535هـ/1140م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ط1، 1403هـ/1983م.

34- ....: قلائد العقيان، مكتبة السيد محمد عبد الواحد بك، الطولي وأخيه، ابجوار، المسجد الحسيني، القاهرة، د.ت.

35- الخشني محمد بن الحارث بن أسد القيرواني: (ت 360هـ/970م)، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م.

36- ابن الخطيب لسان الدين: (ت 776هـ/1374م)،أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956م.

37- ....: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1393هـ/1973م.

38- ....: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت.

39- ابن خلدون عبد الرحمن: (ت 808هـ/1405م)،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1399هـ/1979م.

40- ....:المقدمة،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1413 1993م.

41- ابن خلدون يحي أبو زكريا: (ت 780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزء الأول، تحقيق د.عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/1980م.

42- الزبيدي محمد بن الحسن: (ت 379هـ/989م)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1973م.

43- ابن أبي زرع الفاسي:(ت في ق8هـ/14م)،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.

44- الزمخشري جاد الله محمود بن عمر : (ت هـ/م)، أساس البلاغة ، دار صادر ، بيروت ،1375 هـ

45- ابن سعيد المغربي: علي بن موسى (ت 685هـ/1287م) ،المغرب في حلى المغرب، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

46- ابن سِماك العاملي أبو القاسم محمد بن أبي العلاء الأندلسي: (ت حوالي 750هـ/1349م) رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، تحقيق سليمان القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1424هـ/2004م.

47- ....: الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة, دراسة وتحقيق، محمود علي مكي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1424هـ/2004م.

48- ابن سهل أبو الأصبغ عيسى ابن عبد الله الأسدي الجياني: (ت 486هـ/1093م)، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس ، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى ، تحقيق ، محمد عبد الوهاب خلاف،المركز الدولي القاهرة ، ط1، 1981م .

49- السيد البطليوسي محمد عبد الله: (ت521 هـ/1127م)، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1420هـ/1999م.

50- السيوطي الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر: (ت911 هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، دار الجيل، بيروت،ط3، 1417هـ/1997م.

51- الشنتريني ابن بسام أبو الحسن علي: (ت 542هـ/1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000م.

52- شهاب الدين أحمد بن عبد الله النويري: (ت732 هـ/1147م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية القاهرة، العامة للنشر كوستا توماس وشركاؤه، دط، د، ت.

53- ابن شهيد الأندلسي: (ت426 هـ/1034م)، رسالة التوابع والزوابع، تحقيق وتعليق طرس البستاني، دار صادر، بيروت، 1387هـ/1967م.

54- الصولي أبو بكر بن محمد بن يحيى بن عبد الله: (ت335هـ/947م)، أدب الكتاب،شرح وتعليق أحمد حسن لبج، دار الكتب العلمية بيروت،ط1، 1415هـ/ 1994م.

55- الضبي أحمد بن يحي بن عميرة: (ت 598هـ/1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق د. روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.

56- ابن أبي طالب الإمام علي: (ت40هـ/662م)، نهج البلاغة، تحقيق وشرح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الإحياء الكتب العربية، سي البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1383هـ/1963م.

57- ابن طباطبا محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي: (ت 709هـ/1309م)، الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية. حققه وضبطه وشرحه عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب،ط1، 1418هـ/1997م.

58- الطبري أبي جعفرمحمد بن جرير: (ت 310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

59- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: (ت 821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستا توماس وشركائه، الطبعة الأميرية، د.ت.

60- أبو العباس أحمد العزفي السبتي (557-633هـ/1136-1236م): إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدّينار والدرهم والصاع والمدّ. تخريج ودراسة: محمد الشريف، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1999م.

61- أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكرابن خلكان:(ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

62- ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله: (ت 257هـ/871م)، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1964م.

63- عبد الله بن بلقين الأمير الصنهاجي: (ت بعد483هـ/1090م)، كتاب التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ،الرباط، 1998م.

64- أبو عبد الله الشريف الإدريسي: (ت 548هـ/1153م) القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. تحقيق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983م.

65- ابن عذاري أبو العباس أحمد المراكشي: (كان حيا712هـ/1334م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الأجزاء الأول والثاني، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان وإ. ليفي

بروفنسـال، دار الثقافـة، بيـروت، د.ت، الجـزء الثالـث، تحقيـق إ. ليفـي بروفنسـال، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

66- العـذري أحمـد بـن عمـر المعـروف بـابن الـدلائي: (ت478هـ/1085م)نصـوص علـى الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق د. عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م.

67- العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: (ت 395هـ/1005م)، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط2، 1971م.

68- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: (ت 328هـ/941م)، العقد الفريد: تحقيق، أحمد أمين، أحمد الزين،و إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، 1381هـ/1962م.

69- ابـن عيـاض اليحصـبي القاضـي عيـاض الفضـل بـن موسـى السـبتي:(ت 544هـ/1149م)،ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،تحقيق أحمد بكير محمد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، د.ت.

70- ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين: (ت 799هـ/1397م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.

71- أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي: (ت 320هـ/932م)، نبذ كتاب الخراج وصنعة الكتابة، وضع مقدمته و هوامشه وفهارسه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان،ط1، 1408هـ/1988م.

72- ....: كتاب نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ/1995م.

73- ابن الفرضي الأزدي محمد بن يوسف: (ت 403هـ/1013م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.

74- ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني: (ت بعد290 هـ/902م)،مختصر كتاب البلدان، طبع ليدن، بريل ،1302هـ/ 1885م.

75- الفيروز آبادي مجد الدين بن يعقوب: القاموس المحيط، شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة،ط2، 1371هـ/1952م.

76- أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة: (ت ما بين 272و300 هـ/ 885م و912م)، المسالك والممالك. مكتبة المثنى ، بغداد. Goeje lugduni Batavarum Brill, 1889

77- القاضي النعمان بن محمد بن حيون: (ت 363هـ/973م)،المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب القفي وآخرون، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1978م.

78- ابن قتيبة الدينوري أبو عبد □ بن مسلم: (ت 286هـ/889م)، الإمامة والسياسة، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م.

79- ....: كتاب عيون الأخبار، إعادة طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، 1343هـ/1965م.

80- ....: أدب الكاتب، دار صادر ، بيروت، طبع ليدن 1200هـ/ 1900م .

81- القرطبي أبو عبد □ محمد بن أحمد الأنصاري: (ت 671هـ/ 1283م)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1368هـ/1949م.

82- ابن القوطية: (ت367هـ/977م)،تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1410هـ/1989م.

83- القيرواني ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني: (ت1698م)، المؤنس في أخبار وإفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط2،1387 هـ/1967م.

84- القيسي أبو نصر الفتح بن خاقان بن محمد بن عبد الله: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس (تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس)، تحقيق وتعليق، مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط1، 1422هـ/2001م.

85- ابن القطان الكتامي أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك: (ت628هـ/1230م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م.

86- ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري: (توفي بعد سنة573هـ/177م)، تاريخ الأندلس و وصفه لابن شباط محمد بن علي بن محمد(ت681هـ/1294م) ،(صلة السمط وسمة المرط) نصان جديدان، تحقيق أ. مختار العبادي، المجلة المصرية-أ- ، عدد 13، سنة 1965- 1966م.

87- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد: (ت 450هـ/1058م)ل(ت 450هـ/1058م) أحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

88- مجهول: أخبار مجموعة (ذكر فتح الأندلس) تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م.

89- مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد، 1983م.

90- مجهول: تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428هـ/2007م.

91- مجهول: كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. تحقيق، سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1399هـ/1979م.
92- مجهول: مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط،ط1، 2005م.
93- مجهول: منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، لمؤلف مغربي مجهول في القرن الحادي عشر الهجري: تحقيق داود علي الفاضل، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1، 1402هـ/1982م.
94- المراكشي عبد الواحد: (ت 625هـ/1228م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط7، 1978م.
95- المقري التلمساني أحمد: (ت 1041هـ/1631م)،نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق وضبط محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
96- ....:أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق، مصطفى السقا، إبراهيم، عبد الحفيظ شبلي، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، بيت المغرب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1358هـ/ 1939م
97- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد: كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار: (ت 845هـ/1441م)، دار التحرير للطبع والنشر، عن طبعة بولاق، القاهرة، 1270هـ/1892م.
98- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم: (ت 711هـ/1364م) لسان العرب المحيط، قدمه العلامة الشيخ العلايلي، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دراسات العرب، بيروت، د.ت.
99- النباهي الأندلسي ابن الحسن: (ت793هـ/1391م)، تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق د. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م.
100-ابن النديم، محمد بن إسحاق: (ت367هـ/977م) الفهرست، تحقيق، مصطفى الشويحي الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م.
101-ياقوت الحموي شهاب الدين الرومي : (ت627هـ/1229م) معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر، بيروت، 1404 هـ، 1984م.
102-..........:معجم الأدباء، نشر بعناية أحمد فريد رفاعة بك، دار المأمون، القاهرة، د ت.

رابعاً: المراجع باللغة العربية

103-أحمد أمين: ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1388هـ/1969م.
104-أحمد بن عبد الباقي: معالم الحضارة الإسلامية في القرن الثالث هجري، بيروت، ط1، 1991م.

105-أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، العصر العباسي الأول،شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة،ط1، 1356هـ/1937م.
106-أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة, دار المعارف، القاهرة، ط6، 1971م.
107-أرنولد توينبي: تاريخ البشرية ، ترجمة، نقولا زيادة ، الأهلية للنشر و التوزيع بيروت، ط2، 1983م.
108-أسعد علي وفكتور الكك: جذور العربية فروع الحياة، دار الطباعة والنشر، دمشق، ط2، 1401هـ/1981م.
109-أنخييل قنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
110-بركات مصطفى: الألقاب والوظائف دراسة في تطور الألقاب والوظائف (من خلال الآثار و الوثائق و المخطوطات(1517- 924م)، دار غريب، القاهرة، د.ت.
111- البشري عبد الصالح: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316 -422ه/928-030م)، مجمع البحوث و إحياء التراث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1418ه/1997م.
112-البقلي محمد قنديل: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1983م.
113-البهنسي عفيف: معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، مكتبة لبنان للناشرون، بيروت، ط1، 1995م.
114-البهنسي عفيف: الخط العربي أصوله ،نهضته،انتشاره،دارالفكر،دمشق،ط1، 1404هـ/1984م.
115-بوزياني الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.
116-توات الطاهر محمد: أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.
117-جبران محمد مسعود: فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب (المضامين والخصائص الأسلوبية) دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004م.
118-جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
119-جيدة عبد الحميد: صناعة الكتابة عند العرب، دار العلوم العربية، بيروت،ط1، 1418هـ/1998م.
120-حتي فيليب: تاريخ العرب مطول، مساعدة إدوارد جورجي وجبرائيل جبور، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت،ط4، 1965م.

121-حسن الشيخ عبد الواحد: صناعة الكتابة عند ضياء الدين ابن الأثير، مكتبة ومطبعة القاهرة،ط1، 1419هـ/1999م.
122-الحلوجي عبد الستار: المخطوط العربي، مكتبة مصباح، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط2، 1409هـ/1989م.
123-حمادة محمد ماهر: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقيا، دراسة ونصوص، 64-897هـ/683-1492م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1406هـ/1986م.
124-الخفاجي محمد عبد المنعم: الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.
125-خلف سالم عبد الله: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 1424هـ/2003م.
126-خماش نجدة: الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق،ط1، 1400هـ/1980م.
127-رينهرت دوزي: المسلمون في إسبانيا الإسلامية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م.
128-الزركلي خير الدين: الإعلام، دار العلم للملايين، ط8، 1989م.
129-سالم السيد عبد العزيز: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، دار النهضة العربية بيروت، 1408هـ/1988م.
130-سالم السيد عبد العزيز: تاريخ الدولة العربية: تاريخ العرب من ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1974م.
131-سالم السيد عبد العزيز: تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة الأسطول الأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1969م.
132-سالم السيد عبد العزيز: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مكتبة الأنقلو مصرية، القاهرة، ط2، 1986م.
133-سالم السيد عبد العزيز: تاريخ المغرب الكبير: العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.
134-سالم السيد عبد العزيز: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985م.
135-سالم السيد عبد العزيز ومختار أحمد العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1969م.
136-سحر السيد عبد العزيز سالم: بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

137-سعدون نصر □ : تاريخ العرب السياسي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1، 1998م .
138-الشامي فاطمة قدورة: تطور تاريخ العرب السياسي والحضاري (من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي)، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1997م.
139-شبارو عصام محمد: الأندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود (91-897هـ/710- 1492م، دار النهضة العربية ط1، 1423هـ/2002م.
140-الشكعة مصطفى: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين بيروت، 1974م.
141-شلبي أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، (الأندلس الإسلامية وانتقال الحضارة الإسلامية الى أوربا عن طريقها، المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا: من طلع الإسلام حتى الوقت الحاضر، السنوسية: مبادئها)، مكتبة النهضة، القاهرة، ط7، 1984م.
142-الشمري غازي جاسم مهدي: دراسات في النظم الإسلامية، مكتب الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس،ط1، 1424هـ/2002م.
143-الصابات خليل: تاريخ الطباعة في المشرق، دار المعارف، القاهرة،ط2، 966م.
144-صبحي صالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1388هـ/1968م.
145-الصوفي خالد: تاريخ العرب في إسبانيا، نهاية الخلافة الأموية بالأندلس، مكتبة دار الشرق، دمشق،ط1، 1963م.
146-ضيف شوقي: العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة،ط3، د.ت.
147-العبادي أحمد مختار: في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م.
148-العبادي أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م.
149- عباس إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة ، بيروت،ط6، 1981م.
150-عبيد بوداود: ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13-15م)، دراسة في التاريخ السوسيو-ثقافي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003م.
151-علي بن محمد: النثر الأندلسي خلال القرن الخامس هجري، مضامينه وأشكاله، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1، 1990م.

152-علي محمد كرد: الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ط3، 1968م.

153-عنان محمد عبد : الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط2، 1418هـ/1997م.

154-عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1417هـ/1997م.

155-عنان محمد عبد : دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية والدولة العامرية، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، د ت.

156-غانم محمد صغير: التوسع الفنيقي في غربي البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1979م.

157-فضل محمد رجب: عمليات الكتابة الوظيفية وتطبيقها وتعليمها وتقويمها، عالم الكتب القاهرة، ط1، 1423 هـ/2003م.

158-القاسمي ظافر: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي (الكتاب الأول الحياة الدستورية)، دار النفائس، بيروت،ط4، 1403هـ/1982م الفيومي محمد إبراهيم: تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

159-القرضاوي يوسف: فقه الزكاة، دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1399هـ/1980م.

160-قزيحة رياض: الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م.

161- الكتاني عبد الحي: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

162-كرد علي محمد: الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط3، 1968م.

163-لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

164-مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط8، 1426هـ/2005م.

165-مؤنس حسين: فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711م-756م)، دار العصر الحديث ودار المناهل، بيروت،ط1، 1423هـ/2002م.

166-مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام الزهراء للإعلام العربي القاهرة ، ط1، 1407هـ/1987م.

167-مبارك زكي: النثر الفني في القرن الرابع، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
168- مرموك محمد طالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
169- سعد سامية مصطفى: العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، (300-399هـ/912-1008م) الناشر عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2000م.
170-مصطفى شاكر: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى 1993م.
171-المقدسي أنيس: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1968م.
172-ميتز آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر، تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405هـ/1986م.
173-الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1396هـ/1976م.
174-الهاشمي السيد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، توثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1420هـ/1999م.

خامساً: المراجع باللغة الأجنبية

175- Amar D’hina : Califes et Souverains, Enal, Alger, 1991.
176- Atallah D’hina: Les états de l'occident Musulman (aux XIIIeme et XVeme siècle, institutions gouvernementales et administratives, OPU, Alger, ENAL, 1984.
177- Charles Diehl : Histoire de l’empire Byzantin, Paris, J. Picard. Ed 1924.
178- E. Levi-Provenal: Inscriptions Arabes d’Espagne Leiden, Paris, 1931.
179- E. Lévi Provençal: La Civilisation Arabe en Espagne, Vue générale, G.P, Maison Neuve et La rose, Paris, 1961.
180- E Levi Provençal : Histoire de L Espagne Musulmane Le siècle du Califat de Coddoue, Maisonneuve et Larose, Paris, 1999.
181- Francisco Javier Simonet : Histoire de los Mosarabes de Espaňa, Deducida de los Mejores y más auténticos de los Escritores christianos y arabes, Amsterdam oriental pres ed, 1967.
182- Gaudefroy-Demombynes et Platonov Le monde Musulman et Byzantin jusqu’au croisades, Paris 6, 1931, T7.

183- G. Contenan: La civilisation Phénicienne, Ed. Payot, Paris, 1949.
184- H Massé, code de la chancellerie d'état, BIFAO x/1(1914)
185- Henri Terrassé : Islam d'Espagne, (une rencontre de l'orient et de l'occident), librairie plon, Paris 6éme, 1958.
186- Jacque Gandouine Correspendance et redaction administrative, ed. Hachette, Paris 5, 1980.
187- Jacques Glassner, Sumer: Science et Vie, Hors Serie, Comment est née L'écriture, Nº219, Juin, 2002, France.
188- Jean Chélini, dirigée par George Duby : Histoire religieuse de l'occident médiéval. Librairie Armand Colin, Paris Veme, Ed 1968.
189- Vandevelde Helene: Cours d'histoire du droit musulman et des institutions musulmanes, OPU, Alger, 1983.
190- Bordas Encyclopédie, T4, Histoire Universelle Le Monde antique, Ed G.L. 1968, Paris.
191- Grand Dictionnaire Encyclopédique Larousse, Librairie Larousse, Montparnasse, Paris 6º.
192- Dictionnaire encyclopédique 2000 Larousse bordas, Ed Mont parnasse, Paris 6eme, 1999.
193- Dictionnaire encyclopédique Quillet, Edition Spadem, 1990, Paris, France, T.H.L
194- Henri Goelzer : Dictionnaire Latin ،Français des origines à l'époque carolingienne Augmentée d'un lexique des noms propres des tableaux, Par Henri le Grand édition Garnier Frères, Paris 1928.
195- Le Robert Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue Française Parmentier, Paris 11e, ed. 1969.

سادساً: الرسائل والأطروحات الجامعية

196-بوباية عبد القادر: البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) 300-422هـ/912-1031م، رسالة دكتوراه، غير مطبوعة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، السانية، 1423هـ/2002م.
197-جباري سامية: أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس، من فتح الأندلس إلى سقوط غرناطة (92هـ- 897هـ) مخطوطة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، سنة 1999-2000م.

سابعاً: المقالات

198-الجيوسي سلمى الخضراء: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م.
-دومينيك إيرفوا: علماء الأندلس.
-كلود عداس: التصوف الأندلسي وبروز ابن العربي.
-مارغريتا لوبيز غوميز (Margarita Lopez Gomez): المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس، ترجمة، أكرم ذا النون.
-مكي محمود علي: تاريخ الأندلس السياسي، دراسة شاملة (92- 897هـ/711-1492م).
-ميقيل كروز هيرناديس: الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية.
199-سحر السيد عبد العزيز سالم: بنو أبي عبدة : الأصول الأسرية الأولى لبني جهور أصحاب قرطبة في عصر الطوائف، المجلة المصرية، العدد 29، القاهرة، 1997م.

ثامناً: الموسوعات والمعاجم

200-دائرة المعارف الإسلامية:تحت رعاية الإتحاد الدولي للمجامع الدولية ،ترجمة،ابراهيم زكي خورشيد،أحمد الشناوي ،عبد الحميد يونس ، الشعب ،القاهرة،ط1، 1933م.
201-وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة، محمد مصطفى زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
202-سهيل إدريس وجبور عبد النور: المنهل الوسيط، دار الآداب، دار العلم للملايين، بيروت،ط6، 1987م.
203-المعلم بطرس البستاني: قاموس محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط6، 1997م.
204-المعجم الوجيز الميسر، دار الكتاب الحديث، الكويت،ط1، 1404هـ/1993م.



الفهـــرس

المحتـــوى	رقم الصفحة
التشكرات	
الإهداء	
مقـدمـة	أ-ش
الفصل التمهيدي: ملمح تاريخي حول الكتابة السلطانية في عصر الإمارة....... الأموية بالأندلس (138-316هـ/756-929 م)	20-1
أولا: دلالة مصطلح الكتابة السلطانية وأدواتها	2
1- دلالة مصطلح الكتابة السلطانية	2
2-أدوات الكتابة	8
ثانياً: عـوامل تطور الكتابـة السلطانية في عصـر الإمـارة الأمويـة بالأندلـس (138–هـ/756-929م)	11
1-آثار الإنجازات العامة لعبد الرحمان الداخل (138–172 هـ/756-88م)....	12
2-إصلاحات عبد الرحمان الثاني الإدارية..	15
3- سياسة اصطناع بيوتات الكتابة السلطانية و توريث خطتها	16
الفصـل الأول: إدارة الكتـابة السلطانية ورسومـها في عصر الخلافة الأموية بالأندلس (316-422هـ/ 929-1031م)	63-21
أولا:أسباب إحياء الخلافة الأموية بالأندلس	22
1-الأسباب الداخلية	24
2- الأسباب الخارجية	24
3- نتائج استقلالية شخصية الخلافة الأموية بالأندس	25
ثانياً: الدواوين المساعدة للكتابة السلطانية..	26
1- ديوان الرسائل (ديوان الإنشاء)	26
2- ديوان البريد..	38
ثالثا: شروط ورسوم الكتابة السلطانية وكتابها..	46

1- شروط تعيين كاتب السلطان (صاحب ديوان الرسائل.) 47

2- الرسوم الخاصة بكاتب السلطان (صاحب ديوان الرسائل) 54

3- رسوم وخصائص الكتابة السلطانية 57

الفصل الثاني: مظاهر تطور أنماط وصيغ الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلـس 88-64

أولا: المناشير الإعلامية (المعممات) 65

1- منشور إعلان لقب الخلافة الأموية بالأندلس لسنة 316هـ/929م............. 66

2- منشور الخليفة الحكم المستنصر بالله لسنة 363هـ/973م...................... 67

3- منشور الحاجب عبد الملك المظفر لسنة 397هـ/1007م.......................... 69

ثانياً: كتب التولية في الخطط السلطانية 71

1- مرسوم تعيين القاضي محمد بن السليم لسنة 353هـ/964م........................ 71

2- مرسوم تعييـن أصبـغ بن محمد بن فطيـس علـى نصـف كـورة ريـة لسنة 361هـ/971م 73

3- سجل انتداب وتكليف زعماء القبائل سنة 362هـ/972م........................ 73

ثالثاً: كتب الاستفسار أو (تبرير غياب) 76

رابعاً: كتب عرض الحال (التقرير).. 77

خامساً: كتب التهديد المستتر 82

الفصل الثالث: نماذج من موضوعات الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلـس 117-89

أولا: موضوعات المجال السياسي والعسكري 90

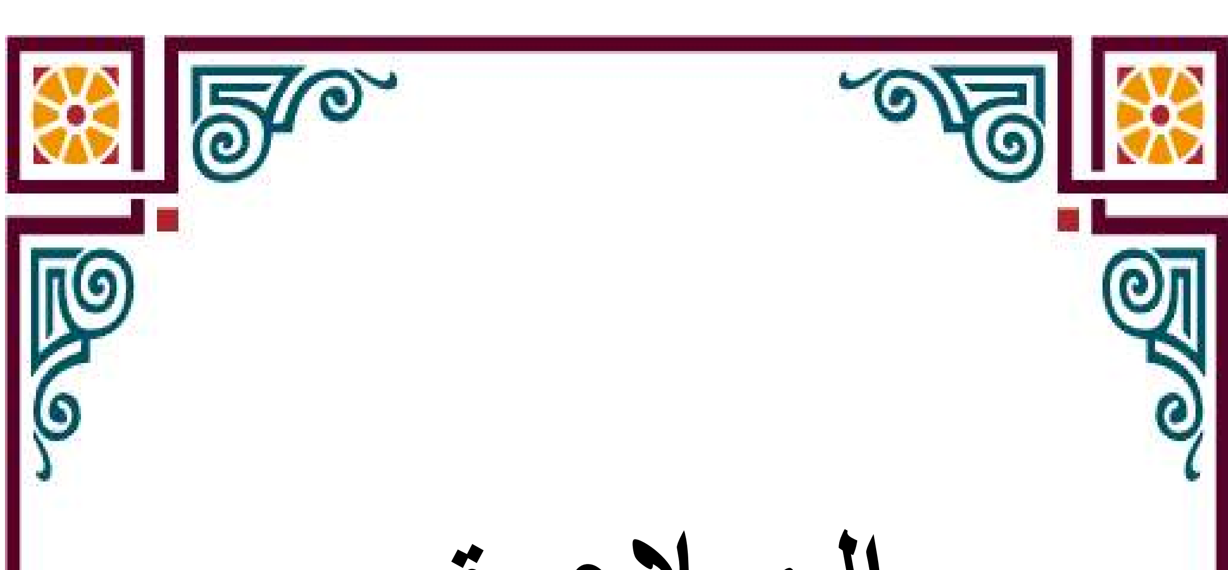
1- كتاب في الآمان لسنة 326هـ/939م.. 90

2- كتاب في وصية الاستخلاف لسنة 381هـ/991م.................................. 91

3- كتاب في الجهاد لسنة390هـ/1000م.. 92

4- كتاب حول الفتنة لسنة 409هـ/1091م.. 95

ثانيا: موضوعات المجال الإداري 97
1- كتاب في العزل الإدراي لسنة 325هـ/937م.. 97
2- كتاب في الترقية 98
3- كتاب في منح الألقاب السلطانية لسنة 99هـ/1009م.................................. 99
ثالثا: موضوعات المجال الاقتصادي والاجتماعي 100
1- كتاب في الاستسقاء لسنة 317هـ/930م 100
2- كتاب في تبرئة الذمة لسنة 355هـ/966م 101
3- كتاب في إسقاط سدس مغرم الحشد لسنة 364 -/974م................................ 103
رابعا: موضوعات المجال الثقافي والمذهبي 105
1- كتاب حول تكريم العلماء لسنة 330هـ/941م.. 105
2- كتاب في التحذير من عقيدة ابن مسرة 107
خامساً: موضوعات مجـال العلاقات الخـارجية... 111
1- كتاب حول العلاقات بأمراء القبائل المغربية 111
- كتاب الهدية لسنة 317هـ/930م.. 111
2- كتاب حول العلاقات بالخلافة الفاطمية 114
- كتاب الطعن في النسب... 114
خـاتمـــة 122-118
المــلاحــق 129-123
قـائمة المصادر والمراجع 146-131
فهرس الموضوعات 150-148



الـمـلاحـــق

- **ملحق رقم (1):** كتاب (جواب) الخليفة المستنصر بالله لسنة 361هـ/971م

- **ملحق رقم (2):** كتاب عهد الحاجب عبد الملك المظفر لسنة 396ه/1006م
للمعز بن زيري بن عطية المغراوي على مدينتي فاس وكافة المغرب

- **ملحق رقم (3):** كتاب الحاجب عبد الملك المظفر لأهل الخدمة

- **ملحق رقم (4):** مرسوم هشام المؤيد لسنة 399هـ/1009م الخاص بجعل عبد الرحمن بن منصور بن أبي عامر وليا لعهده .

- **ملحق رقم(5)**: عبارات نقش أختام الأمراء الأمويين
(138- 316 هـ /756- 929م).

-**ملحق رقم(6):**جدول نقش عبارات بعض أختام خلفاء الأمويين في الأندلس
(316-422هـ/ 929-1031م)






– ملحق رقم (1): كتاب (جواب) الخليفة المستنصر بالله لسنة 361هـ/971م

مرض الوزير جعفر المصحفي مرضا شديدا فأوصى بكتاب إلى الخليفة المستنصر بالله إذا مات بتحقيق بعض المطالب لورثته، فردّ عليه هذا الخليفة على ظهر كتابه بخط يده يعده فيه بتحقيق ما أوصى به ويسأل له الشفاء والعافية وجاء نص هذا الجواب: « قرأنا كتابك بما ذكرت من اشتداد حالك، ووقع يأسك وارتفاع رجائك، فعظم علينا ذلك وكثر غمنا به، وأشفقنا منه ونرجو أن يأتي الله بخير ويعقب بعافية، فإن كان ما لابد من كونه قريبا أو بعيدا، أو تخطانا، فكل ما سألت ورغبت في نفسك وأهلك ومن تتخلف، فعلى أفضل الذي رغبته وأردته وأملته ورجوته، فما أعلم رزية أعظم من رزيتك لدينا، لما بلوناه من شكرك ومجهود حرمتك ومحمود صحبتك، وإنا لم يرد علينا من قبلك و ناحيتك قط ما أغمنا ولا ما أنكرنا ولا سوء ثناء قط بشيء، ظاهرا ولا باطنا، فإن تكن المصيبة فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإن تكن العافية فالحمد لله رب العالمين على جديد أفضاله وجميل بلائه وعلى كل أحواله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[1].

– ملحق رقم (2): كتاب عهد الحاجب عبد الملك المظفر لسنة 396هـ/1006م للمعز بن زيري بن عطية المغراوي على مدينتي فاس وكافة المغرب

« بسم الله الرحمان الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد

من الحاجب المظفر، سيف دولة الإمام الخليفة هشام المؤيد بالله

أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر

إلى كافة مدنيي فاس أهل المغرب سلمهم الله.

أما بعد أصلح الله شأنكم، وسلم أنفسكم وأديانكم، فالحمد لله علام الغيوب، وغفار الذنوب، ومقلب القلوب، ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد، لا رادّ لأمره، ولا معقب لحكمه، بل له الملك والأمر، وبيده الخير والشر، إياه نعبد وإياه نستعين، وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكن، صلى الله على محمد سيد المرسلين، والسلام عليكم أجمعين.

ومتنصلا من هنات دفعته إليها ضرورات، ومستغفرا من سيئات حطتها من توبته حسنات، والتوبة محاء للذنب، والاستغفار منقذ من العتب، وإذا أذن الله بشيء يسره، وعسى

---

(1) ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق حجي، ص ص 69-70.

أن تكرهوا شيئا ولكم فيه خير، وقد وعد من نفسه استشعار الطاعة، ولزوم الجادة، واعتقاد الاستقامة، وحسن المعونة، وخفة المونة، فوليناه ما قبلكم، وعهدنا إليه أن يعمل بالعدل فيكم، وأن يرفع أحكام الجور عنكم، وأن يعمر سبلكم، وأن يقبل من حسنكم ويتجاوز عن مسيئكم إلا في حدود الله تبارك وتعالى، وأشهدنا الله عليه بذلك وكفى بالله شهيدا، وقد وجهنا الوزير محمد علي بن حدلم أكرمه الله، وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا، ليأخذ ميثاقه، ويؤكد العهد فيه عليه بذلك، وأمرناه بإشراككم فيه، ونحن بأمركم معتنون، ولأحوالكم مطالعون، وأن يقضي على الأعلى للأدنى، ولا يرتضي فيكم بشيء من الأذى، فثقوا بذلك واسكنوا إليه، وليمض القاضي أبو عبد الله أحكامه مشدودا ظهره بنا، معقودا سلطانه بسلطاننا، ولا تأخذه في الله لومة لائم، فلذلك طبنا به إذ وليناه، وأملنا فيه إذا قلدناه، والله المستعان، وعليه التكلان، لا إله إلا هو. تقبلوا منا سلاما طيبا جزيلا، ورحمة الله وبركاته» كتب في ذي القعدة من سنة ست و تسعين وثلاثمائة[1].

– ملحق رقم (3): كتاب الحاجب عبد الملك المظفر لأهل الخدمة:

من إنشاء قلم كاتبه ابن برد الأكبر ومما جاء فيه:«وإن من أعجب العجائب ما يجترئ عليه بعض أهل خدمتنا من نبذ عهودنا إليهم بعد توكيدها، وحل عقودنا عليهم بعد تشديدها، ساهين عما يتعرضون له من النقمة، لا يحذرون وقوع المحذور ولا يتوقعون حلول التغيير، وقد وله أفئدتهم جهل الواجب، وران على قلوبهم ما أضاعوه من الحق، فلم يرجوا لله وقارا، ولا وفوا سلطانه إجلالا وإكبارا. وقد قال بعض السلف الصالح: إن من إجلال الله إجلال السلطان عادلا كان أو جائرا. ولا أحسب الذي غرهم بنا، وجرأهم علينا، إلا ما وهب الله تعالى لنا من الحلم مع المقدرة، والكظم عند الحفيظة. وذلك وإن كان سجية غالبة، وخليقة لازمة، فرب شنع تحت مخيل، النعماء، وغصص في شهي الغذاء، وشرق في نمي الماء، وبين أيديكم - معشر الخدمة- ولا أخص بندائي صغيرا ولا كبيرا، ولا أعني بعيدا دون قريب، ولا أنبه غائبا دون شاهد، ونصب أعينكم، وحشو أسماعكم عهد المنصور رضي الله عنه، لم يقدم زمانه فينسى، ولا أتت دونه الدهور فيبلى، ثابت على جماعتكم، ولازم لكافتكم، من خاص وعام، ودان وشاحط، صره التوبيخ باستكتاب الجهلة، واستعانة الضعفة، واستكفاء العجزة، ممن قلت معرفته، واتضعت همته، فلم يبلغ أن يحكم الخط فيقيم حروفه، ويراعى المداد فيجيد

---

[1] مجهول : مفاخر البربر، تحقيق بوباية، المصدر السابق، ص ص129-131.

صنعته، ويميز الرقص فيحسن اختياره، وعجزه الحزم النافذ والحكم الصادع، بأن تكون صدور كتب الاعتراضات وعنواناتها وتواريخها، والأعداد في رؤوس رسومها، بخطوط أيدي القواد والعمال، من كان منهم كاتبا فبيده، ومن لم يكتب فبخط كاتب له معروف، وان تكون تسمية طبقات الأجناد فيها قائمة الخطوط بينة الحروف، وفي تضاعيفه ألية نحن أولى من أبرها، ووفى بها، على أنه ان ورد لأحد من الخدمة بعد وصول ذلك العهد اليه كتاب اعتراض أو عمل في رق ردي، بمداد دني، أو خط خفي، فيه لحن أو كتاب على بشر في عدد أو رأس رسم ما لم يخف أو يقع في حشو او يعتذر منه، ليبطلن سعي كاتبه فيما كتب، وليعاجلن بعقوبة العزل وإغرام المال الثابت عدده في ذلك الفنداق ..

وفي فصل منها: وان قوما من الحضرة قد عادوا لما نهوا عنه، فكتبوا الخط الدقيق في دني الرقق، دقة من هممهم ودناءة في اختيارهم، وجهلا بأن الخط جاه الكتاب، وسلك الكلام، به ينظم منثوره، وتفصل شذوره، ونبله من نبل صاحبه، وهجنته لاحقة بكاتبه، ما اقترفوه من العصيان، وأقدموا عليه من خلف السلطان، وأنا أعطي الله عهدا لئن ارتفع الي بعد بلوغ عهدي هذا أقصى حدود المملكة، وانتهائه أبعد أقطار الطاعة – كتاب على الصفات المذمومة والأحوال المسخوطة، من رق أو مداد او خط، لأوفين لصاحبه بما قدم إليه من الوعيد ان شاء الله، فليحذر من حضر منهم أو غاب أن يخالف ما حددناه، أو يجاوز ما شرعناه».[(1)]

– ملحق رقم (4): مرسوم هشام المؤيد لسنة 399هـ/1009م الخاص بجعل عبد الرحمن بن منصور بن أبي عامر وليا لعهده وهو من إنشاء كاتب الرسائل أحمد بن برد الأكبر

جاء فيه :« هذا ما عهد أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله –أطال الله بقاءه- إلى الناس عامّة، وعاهد الله عليه من نفسه خاصّة، وأعطى به صفقة يمينه، بيعّة تامّة، بعد أن أمعن النظر،وأطال الاستخارة، وأهمه ما جعله الله له من إمامة المسلمين، وعصب به من إمرَةِ المؤمنين، وأتقى حاول القدر بما لا يؤمن، وخاف نزول القضاء بما لا يصرف، وخشي – ان هجم محتوم ذلك عليه، ونزل مقدوره به، ولم يرفع لهذه الأمة علما تأوي إليه، ولم يجرها ملجأ تنعطف عليه –أن يكون بلقاء الله تعالى مفرطا فيها، ساهيا عن أداء الحق إليها. وتقصى عند ذلك طبقات الرجال من أحياء قريش وغيرها، ممَّن يستحق أن يسند الأمر إليه، ويُعَوَّلَ في القيام به عليه، ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهَدْيِه ورعيه، بعد اطراح الهوادة،

(1) ابن بسام : المصدر السابق، ق1، م1 ، ص ص 92-94.

والتبرؤ من الهوى، والتحري للحق، والتّز َلِف إلى الله تعالى بما يرضيه، وان قطع الأواصر وأسخط الأقارب، عالما أن لا شفاعة عنده أعلى من العمل الصالح، [ومُوقِنًا أن لا وسيلة إليه أزكى من الدّين الخالص] فلم يجد أحدا هو أجدر أن يقلده عهده، ويفوّض أمر الخلافة اليه بعده، في فضل نفسه، [وكرم خيمه]، وشرف مركبه، وعلو منصبه، مع تقواه وعفافه، ومعرفته وإشرافه، وحزمه وثقافه، من المأمون الغيب، النّاصح الجيب، النّازح على كل عيب، ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، وفقه الله.

وفي فصل منه: مع أن أمير المؤمنين – أيده الله – بما طالعه من مكنون العلم، ووعاه من مخزون الأثر، أمل أن يكون ولي عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص بتحقيق ما أسنده أبو هريرة إلى النبي صلى الله عليه و سلم: « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه ». فلما استوت له به الأخبار، وتقابلت عنده فيه الآثار، ولم يجد عنده مذهبا، ولا الى غيره معدلا، خرج إليه عن تدبير الأمور في حياته، وفوض إليه النظر في أمر الخلافة بعد وفاته. وجعل إليه الاختيار لهذه الأمة بولاية عهده فيها... وأشهد عليه من أوقع اسمه في هذا الكتاب. وهو – أعزه الله- جائز الأمر، ماضي القول والفعل، بمحضر من ولي عهده المأمون ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور – وفقه الله- و قبوله لما قلده، والتزامه بما التزمه ».(1)

– ملحق رقم(5):عبارات نقش أختام الأمراء الأمويين(138 - 316 هـ /756م-929م).

اسم الأمير	مدة حكمه	نقش عبارة الخاتم	المصدر
عبد الرحمان الأول (الداخل)	138 -172هـ/ 756م - 768م	-بالله يستعين عبد الرحمان وبه يعتصم. - عبد الرحمان بقضاء الله راض .	ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج4، ص 493. ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص48. ابن الخطيب: أعمال ...، المصدر السابق، ج2، ص 20. مجهول عبد

(1) ابن بسام : المصدر السابق، ق1 ، ج1 ، ص ص 91-92 ذكر نص هذا الكتاب، ابن عذاري : المصدر السابق، ج3، ص ص 43-46 . وابن الخطيب : أعمال ، المصدر السابق، ج 2، ص ص 86-87 مع اختلاف بسيط.

			القادر بوباية ، المصدر السابق، ص 160.
هشام الأول الرضا بن عبد الرحمان الداخل	172 -180هـ/ 788م - 796م	-بالله يثق عبده هشام وبه يعتصم.	مجهول: لويس مولينا، المصدر السابق، ص 118.
الحكم الأول الربضي	180 -206هـ/ 726م -822 م	بالله يثق الحكم وبه -يعتصم.	المصدر نفسه، ص 124. ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 68.
عبد الرحمان الثاني (الأوسط)	206 -238هـ/ 822م - 852م	عبد الرحمان بقضاء الله راض، وضعه على نقش* جده عبد الرحمان الداخل.	نفسه، ص 137. ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص70.
محمد الأول ابن عبد الرحمان الأوسط	238 -273هـ/ 852م - 886م	نقش خاتمه الخاص: محمد بالله يثق وبه يعتصم. أما العام: محمد بقضاء الله راض .	نفسه، ص 137. ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص70.
المنذر بن محمد بن عبد الرحمان الأوسط	273 -275هـ/ 886م - 888م	المنذر بقضاء الله راض .	المصدر نفسه، ص 147.
عبد الله بن محمد	275-300 هـ/ م - م	عبد الله بقضاء الله راض .	المصدر نفسه، ص 147.

– ملحق رقم (6): جدول نقش عبارات بعض* أختام خلفاء الأمويين في الأندلس (316-422هـ/ 929-1031م)

اسم الخليفة	مدة حكمه	نقش الخاتم	المصدر

* وأمّا خاتمه فكان نفسه يحمل عبارة "عبد الرحمن بقضاء الله راض" وكان له قبل ذلك خاتم باسمه، فتلف وأمر بطلبه فلم يجده فأعاد نقش خاتم جده عبد الرحمن. فنصر الفتى عندما خرج من عند الأمير بالخاتم لنقشه بعث في عبد الله بن السمير الشاعر وقال له: «إن الأمير أمر بنقش هذا الخاتم، فقل ما ينقش فيه».

فقال : خَاتِمَ للمُلكِ أَضْحَى حُكْمُهُ فِي النَّاسِ مَاضِ
عَابِدًا الرَحْمَنِ فِيهِ بِقَضَاءِ اللهِ رَاضِ

فأستحن بذلك الأمير عبد الرحمن، و أمر بنقشهما في الخاتم. [**ابن حيان**: المصدر السابق، السفر الثاني، محمود علي مكي، ص 294]. **ابن عذاري**، المصدر السابق، ج2، ص81. وقد كان من قبله أمراء بني مروان لا يقتصرون في نقوشهم على شيء واحد، حيث كل واحد يوضع نقشه حسب اختياره... فاتبعه فيه من جاء بعده إلى غاية نهاية دولة الأمويين بالأندلس. [**ابن حيان**: المصدر السابق، السفر الثاني، محمود علي مكي، ص293]. وهو أول من أحدث هذا النقش وبقي وراثة لمن بعده من ولده. [**المقري**: المصدر السابق، ج1، ص 325].

* لقد بحثت عن بقية أختام خلفاء بني أمية الذين أعقبوا الفتنة لغاية نهاية حكم الأمويين بالأندلس لكنني لم أعثر إلاّ على البعض منها.

عبد الرحمان الناصر لدين الله	316هـ-350هـ 912م – 961م	- نقش خاتمه الخاص: خاتم أصبعه بالله ينتصر عبد الرحمان الناصر - أما نقشه العام عبد الرحمان الناصر بقضاء الله راض	ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص156. مجهول: ذكر بلاد الأندلس، المصدر السابق، لويس مولينا، ج1، ص 159. المؤلف نفسه: تاريخ الأندلس، المصدر السابق، عبد القادر بوباية، ص 201.
الحكم الثاني المستنصر بالله	350هـ-366هـ 961م – 971م	الحكم بقضاء الله راض	ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص233. مجهول: المصدر السابق، لويس مولينا،ج1، ص 168. المؤلف نفسه، عبد القادر بوباية، ص 210.
هشام الثاني المؤيد بالله	366هـ-399هـ 976م - 1009م	- هشام بن الحكم بالله يعتصم - هشام بقضاء الله راضي	ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص254. مجهول: المصدر السابق، لويس مولينا، ج1، ص174. المؤلف نفسه، المصدر السابق، عبد القادر بوباية، ص 216.
سليمان بن الحكم المستعين بالله	400هـ/1010م (الأولى) 403-407هـ/ 1013-1016م (الثانية)	سليمان بن الحكم	ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص 92. مجهول: المصدر السابق، لويس مولينا، ج1، ص 202. المؤلف نفسه، المصدر السابق، عبد القادر بوباية، ص240.